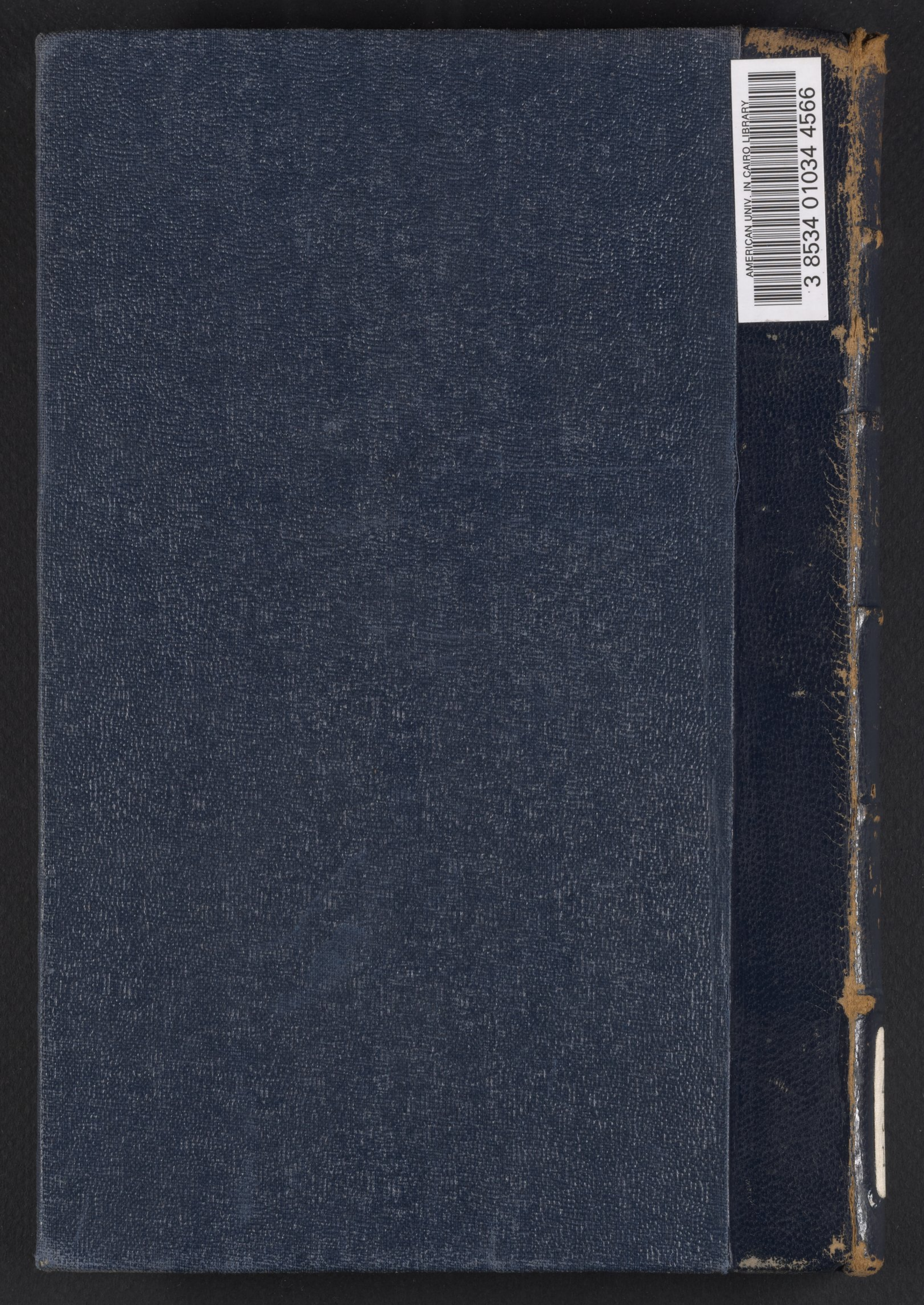
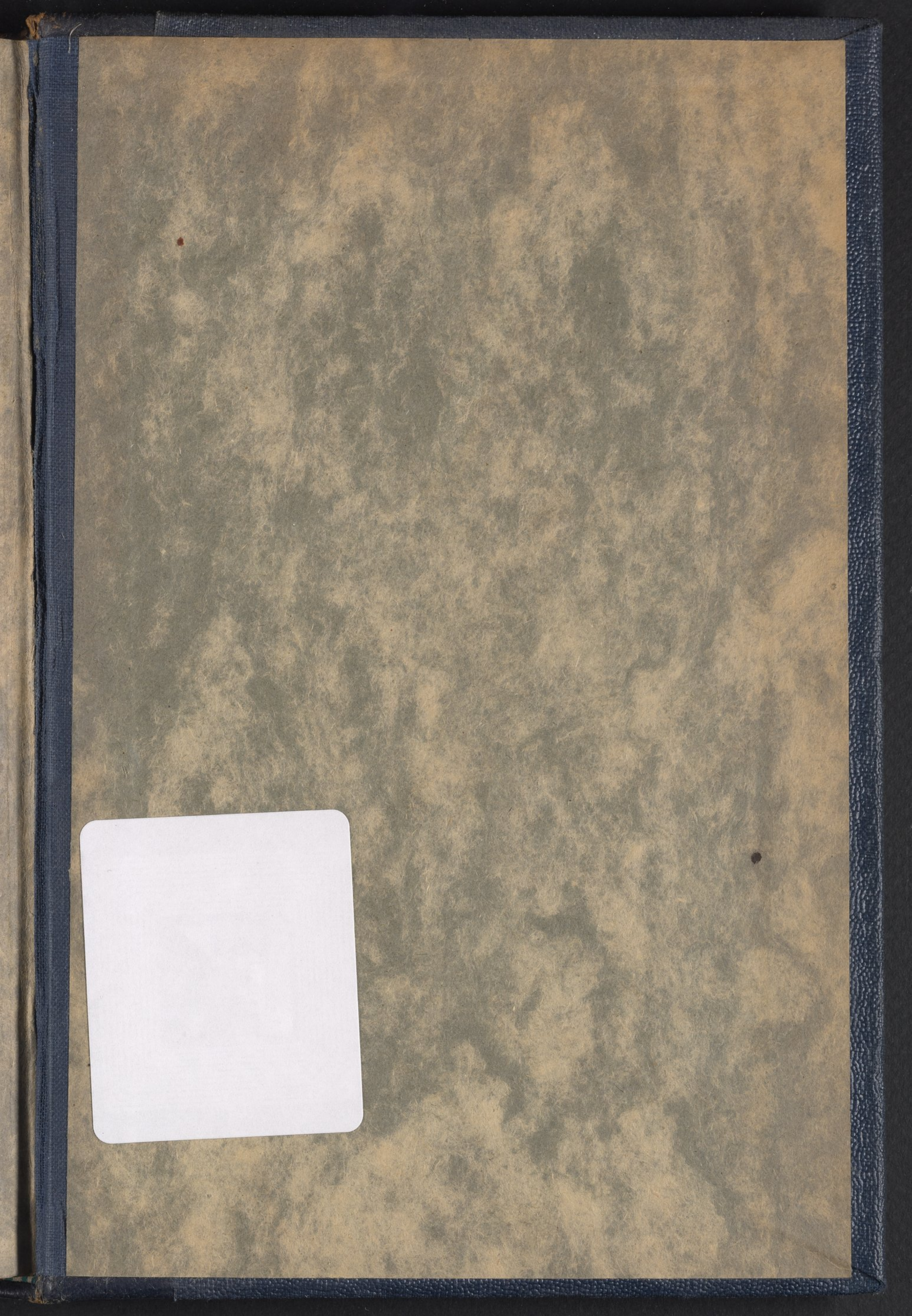
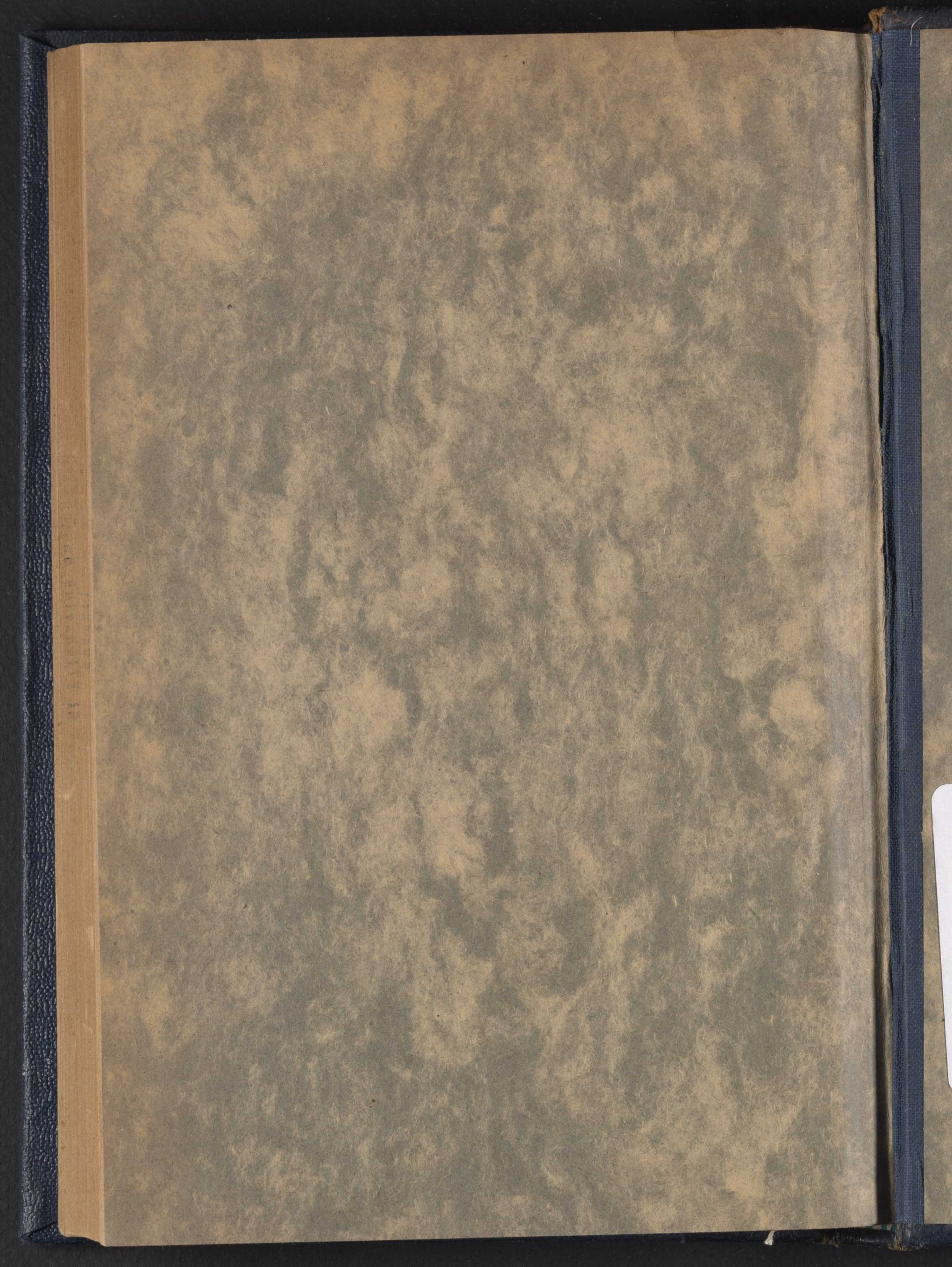
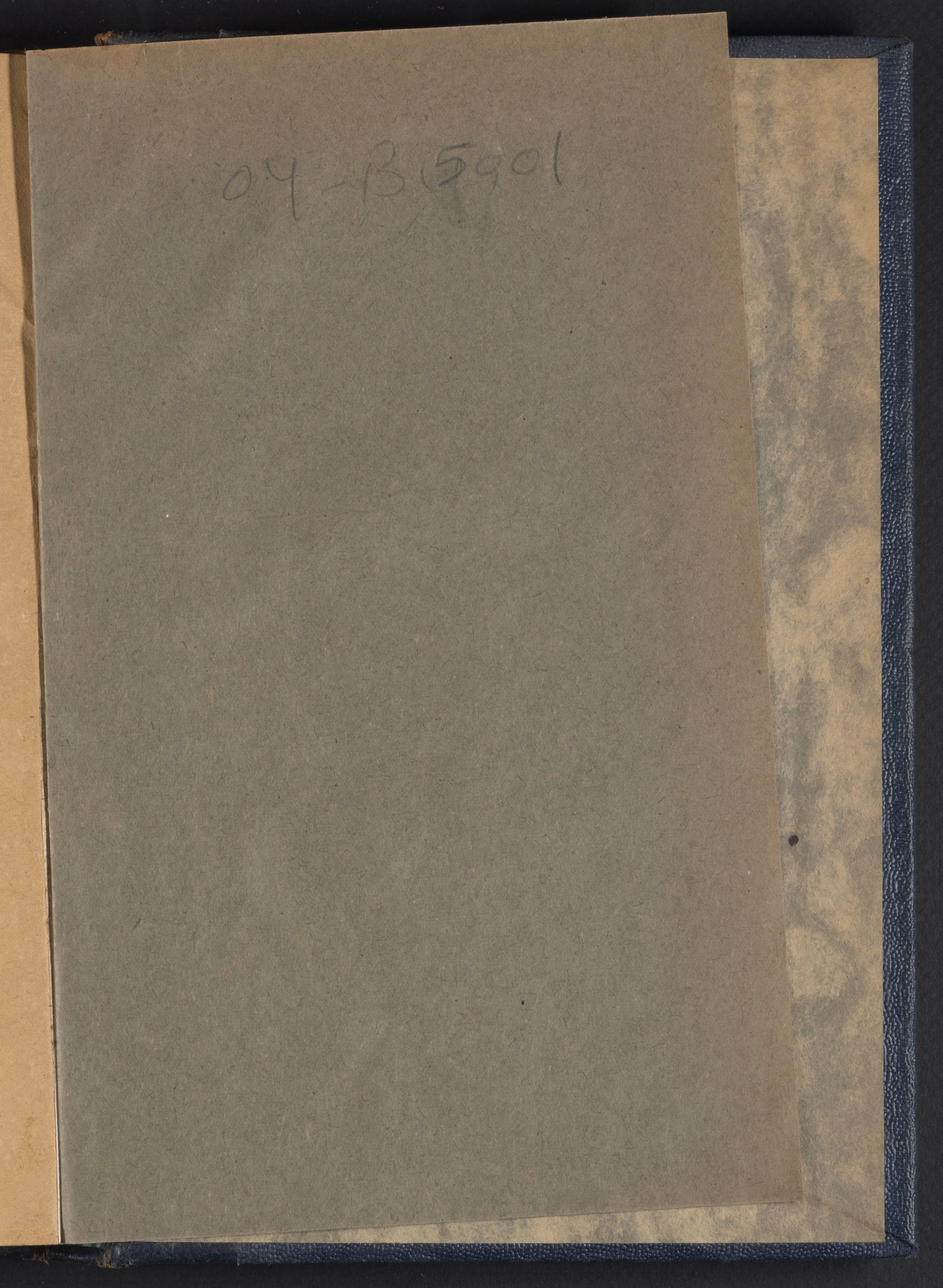

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01034 4566







أوجين يونغ

مسائل الشرق

الإسلام وآسيا
أمام المطامع الأوربية

وهو تتمة كتاب «استعباد الإسلام»

«لتقلل الدول العظمى من جشعها والا اضطرمت نار الحرب بين الاجناس والديانات»

يطلب من

مكتبة زيدان العمومية

بشارع الفجالة في مصر عدد ٦٢

صندوق بوسطة الفجالة نمرة ٢٢ بمصر

ويطلب أيضاً من مؤلفه في باريس بشارع مالاكوف عدد ٥٠

ou chez l'auteur

E. Jung - 50 Avenue de Malakoff - Paris (XVI)

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر

١٩٢٨

المقدمة

ان هذا الكتاب الجديد تتمة طبيعية لكتاب « استعباد الاسلام » الذي طبع في السنة الماضية . وكتابي الجديد طبع على الغرار عينه الذي طبع عليه سابقه فهو موجه الى وطنيينا الكرام يناشدهم بالا يغضوا الأنظار من الآن فصاعداً على تسويد صحيفة الاسم الفرنسوي الذي كان حتى الآن مكرماً من دون أن يستهدف لسهام المنتقدين ، ولا يتم لهم ذلك الا بالانتباه الى نبذ خداع المخادعين ، والامتناع عن اجابة سؤل بعض « المختارين » من غير ما فحص ولا تمحيص .

ولا يغرب عني أن من يبسط هذه الحقائق يتعرض لا ن يعدوه في جنيف ثورياً وفي الوزارات بباريس شخصاً شديد الخطر . وقد ألقى أناساً يشيرون علي بأن أعدل آرائي ويعللوني بأن أصيب منصباً خطيراً تغدق منه علي الاموال من دون أن أعني نفسي بعمل شاق ، فمثل هذه المواعيد تستغوي غيري . فيجب أن ننبذ جميع هذه الامور وراء ظهرنا اذ نحن عائشون في عصر كثرت فيه الاضطرابات ونخشى أن تحدث قريباً حوادث خطيرة فيحسن بنا أن نفكر في التوسل بوسائل نتلافى بها غوائلها وهذا ما عقدت عروة العزم على بيانه في هذا الكتاب غير هياب ولا وجل .

رأت السلطة الفرنسوية في السنة الماضية أن من سداد الرأي أن تحول دون دخول كتابي بلاد الشرق لأسباب واهية فقد قالوا وكتبوا لي رسمياً ان كتابي قد يحدث ثورة في الافكار ويضرم النار في العواطف على أن الحقيقة هي أن وسيطاً شديد الغيرة توهم أنه ينال حظوة لدى شخص موجهة اليه قوارص كلمات في الكتاب بحمله عليه حملة شعواء . أما المخاوف التي ذكرها فقد كانت جميعها مختلقة والشاهد على ذلك الكتاب الآتي الذي انتهى الي من زعيم من زعماء الاسلام وكان له تأثير شديد في :

«أفعمت قراءة كتابك فؤادي بهجة وقوت في الثقة التي ما فقدتها قط

بفرنسا من جهة مستقبل جنسي مع كثرة ما لنا من الخصوم الذين جعلوا دأبهم النحت من أثلتنا .

ان كتابك المنسوجة بردته على منوال مكارم الاخلاق والصدق تبدو بين تضاعيف سطوره طلاقة محيا فرنسا الحقيقية التي لا يلقى كل انسان مندوحة عن حبها .

وحسبنا فخراً وقوة أن يتولى الدفاع عنا فرنسويون كرام المهزة مترفعون عن الدنايا نظيرك . أما الذين يسلقوننا بألسنة حداد فانهم جميعهم على التقريب من رجال الأعمال وأصحاب المصلحة .

ونبلغك بهذا الكتاب ياحضرة السيد شكرنا الجزيل واحترامنا العميق . »

ان مثل هذا الكلام فيه تعزية عن كثير من الدنايا والصغائر !

واذا كان كتابي ممهداً للوصول الى حلول سريعة منطبقة على العدالة ومؤاتية لمصالحنا الحقيقية عددت نفسي سعيداً وسررت باشتغالي بما فيه الخير لبلادنا فرنسا

اوجين يونغ

اكتوبر سنة ١٩٢٧

***

ولما باشرنا ترجمة كتابنا هذا الى اللغة العربية انتهى الينا كتاب من زعيم من زعماء العرب رأينا أن ننشره للقراء فقد أدرك هذا الزعيم الغاية التي نرمي اليها وهذا هو الكتاب المذكور :

... في ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٨

حضرة المسيو يونغ المحترم

لم يكن الاهمال باعثاً اياي على ارجاء مجاوبتك الى الآن وانما أردت قبل أن أكتب اليك أن أطالع كتابيك بتروٍّ وتثبت قبل ابداء الرأي فيهما . أما وقد فرغت من تدبرهما فاليك حكمي عليهما .

تسود كتابيك فكرتان خطيرتان : الاولى وطنيتك المعروفة فانت تجعل المقام الاول لمصلحة وطنك ومستقبله . والثانية معرفتك للعالم العربي معرفة تامة فقد تسنى لك أن تعلم أن الشعب العربي ـ بين الشعوب الشرقية ـ يحرز صفات كريمة كالصفات التي يمتاز بها شعبكم الفرنسوي وهذا ما حملك تميل الى شعبنا ميلا

شديداً صادقاً . وبناء عليه فانت بين عاملين قويين يتنازعانك . أحدهما وطنيتك المحمودة والآخر محبتك للعرب فقد جعلت من وكدك – بما فطرت عليه من الصدق والمروءة – أن يكون لبلادك شأن في تنبيه الشعب العربي من غفلته واخراجه من دائرة خموله والسعي لمحالفته فهو من دون سواه تسهل محالفته

أجل أيها الفاضل . ان هاتين الفكرتين جميلتان وقد أوحتهما اليك مكارم أخلاقك ولكنني أرى ابرازهما الى حيز العمل والتوفيق بينهما بعيدي المنال فان المصلحة الخاصة مقدمة على المصلحة العامة في هذا العصر .

على أن المسلمين عموماً والعرب خصوصاً يجب عليهم – مع ما يحف بمشروعك من مصاعب تحول دون تحقيقه – أن يمحضوك الشكر الجزيل وعرفان الجميل الخالد . وليس ذلك فقط على محبتك الشديدة لهم ولكن على صدقك فأنت لا تداجي ولا توارب فعندك مصلحة فرنسا مفضلة على سواها .

ولا يخفى عليّ ان اقدامك على الدفاع عن العرب وأحسابهم يقتضي شجاعة أدبية سامية .

وأختم كتابي بابداء شكري لفضلك واهدائك وافر احترامي . ك

الفصل الاول

هل الشرق ضد الغرب ؟ . . .

وقعت حوادث خطيرة في الشرق والشرق الاقصى من سنة من الزمان ولم تلفت أنظار الجمهور لانها ضاعت بين أخبار العالم وقد اكتفوا بان يلمحوا اليها تلميحاً ويعالجوها على حدة ولكن لو جمعت هذه الحوادث وبسطت بجلاء ووضوح مع بيان مراميها لتألف منها مجموع يبين حقيقة الموقف وقد انكشفت لمديري بعض الصحف الكبرى فقذفت الذعر على أفئدتهم فلم يتجرأوا على نشرها لقرائهم مخافة أن يدخلوا عليهم الخوف أو انهم رأوا ان واجباتهم تقضي عليهم برفعها الى « من يلزم » فأوعز اليهم بابقائها وراء ستار الكتمان .

وعندي ان الخطر المعروف يقل الخوف منه وقد يتجنب بضغط الرأي العام المتنبه الذي يقضي بتغيير لا مندوحة عنه في رسم خطة سياسية تكون في بعض الاحيان طليقة من كل قيد . فان معرفة سبق وقوع الحوادث واتخاذ التدابير قبل الاكراه على الخضوع لها بحكم الضرورة (وهذا أمر يضعف تأثيرها) تعد من خصائص السياسي اللبيب المرن الخبير بمجاراة الايام والتحول عند مسيس الحاجة . وهذا ما أدركته بريطانيا العظمى في شؤون الشرق كما سنرى ذلك في حينه . وعسى أن نحاذر البقاء منفردين فنعمد الى السير في الشرق على خطة رسمتها يد التعقل والحنكة تنتهي بنا الى غاية محمودة اذ ان صدى عملنا ان حسناً وان سيئاً سيمتد الى افريقية وهي بلاد شديدة الشعور بكل حركة دينية لان التحول لم يبلغ فيها مداه ولا يخفى علينا ما يكون من وراء ذلك الامر من الحوادث المقلقة .

ويجمل بنا قبل أن نعالج طريقة التمهيد لتلك المعضلة الخطيرة أن نحيط بجميع اطراف القضية الآسوية المرتبطة كل الارتباط بقضية البلدان الشرقية المنبسطة على شواطىء البحر الابيض الرومي وقد بسطت ذلك بسطاً اجمالياً في شهر يونيو سنة ١٩٢٦ في كتابي « استعباد الاسلام » ويهمنا الآن أن نتعمق في هذا الموضوع ونقتله بحثاً ونقول كل ما يعرض لنا فيه من دون أن نتمرس بالشخصيات ونجلو وجوه الحقائق . ونتجنب التحيز لرأي من الاراء السياسية

أو لمذهب من المذاهب الدينية وهذا أمر ضروري لانه جاء في بعض المؤلفات التي ظهرت حديثاً اميال تبعث على الاسف فانكرها العقلاء .

ويجب التحرز من التفوه بكلام أو ابداء أحكام اذا ردد صداها في الخارج كانت شؤماً وويلا على الشعوب الغربية المستعمرة وصيرت موقفها محفوفاً بالمتالف . فاذا اتهمت الشعوب الموكول اليها الدفاع عن التمدن والذود عن حياض الحقوق اتهاماً مطلقاً بان العامل المحرك لاعمالها هو الطمع بالكسب كانت هذه التهمة جريمة لا تغتفر . وهل يجوز ان تلصق هذه التهمة بالصينيين وهم امة يرتقي تمدنها الى اكثر من الف سنة أو بالعرب وهم جيل مطبوع على الشهامة ومكارم الاخلاق وقد رفع راية العصيان لاصابة حريته أو بالمصريين وهم الذين علمونا في القدم ونهضوا نهضة مباركة في الوقت الحاضر أو بسكان الهند الصينية ولهم حضارة قديمة أو بالجزائريين والتونسيين والسنغاليين وهم مجبولون من الطينة نفسها التي جبلنا منها . فاذا اجزنا التفوه بمثل هذا الكلام هدمنا ما شيدناه من صرح سياستنا الاستعمارية واثرنا علينا نار الاحن والحزازات

واذا كان هؤلاء الطامعون بالربح يفوهون بكلام يدنيهم منا فما ذلك الا لان لكلامهم معنى يعبر عن عواطفهم الحقيقية ومحبتهم للحرية محبة صادقة مضمرة . أو ان هذه الكلمات تنطبق على اعتقادنا المطلق فيكون انتحال غيرنا لها في هذه الحال طبيعياً ومشروعاً عندنا والا كان تفوهنا بها من باب المخادعة بعثتنا عليه ضرورة موقتة فتظهر والحالة هذه مخادعتنا لجميع الانظار وتجر علينا الويلات

ان « تصرف الانسان في أعماله على هواه » و « تحرير الشعوب المظلومة من نير الظلم » كلمتان عادلتان فان نحن عملنا بموجبهما حرفيا ودافعنا عن العمل على ما ترسمانه استمالتا الينا السواد الاعظم من الشعوب القديمة والحديثة وكانتا من أقوى العوامل على دفع المخاطر التي تهددنا في المستقبل بالحيلولة دون عقد المعاهدات التي يخشى أن تجر المضرات والتقرب الذي تحوم عليه الظنون ويجعلنا في قلق شديد .

ان آسيا تتحرك وقد تلقى الناس هذا الخبر في بدء الامر بشيء من الارتياب ولكن ما لبثوا أن تحققوا صحته . تتحرك آسيا لاننا لم نشأ أن نستبدل

بالاساليب الاستعمارية التي نسير على جادتها نظاماً جديداً فالمال والتسلط معاً يحركان اعمال بريطانيا العظمى وفرنسا وهما اللذان تطمح اليهما ايطاليا واللذان ستعمد اليهما المانيا حينما يتيسر لها ذلك .

فلو كنا قد قلنا للصين حليفتنا في سنة ١٩١٩ بعد ما خمدت نيران الحرب اننا نتنازل عن الحقوق التي تخولنـا اياها الوثائق المعقودة في موانيها ونترك امتيازاتنا التي اصبناها بالقوة واننا نفعل ذلك لاعتقادنا انه عادل ودال على صدق الدخيلة هل كنا نشهد اليوم نفور الصينيين منا على الشكل الذي نراه فيه ؟ وهل يسوغ لنا أن نتوهم ان الصيني في ليفربول والهافر كالصيني الذي في بلاده ؟ لنحكم المنطق فقد جاء في الاقوال المأثورة : « لا تفعل بغيرك ما لا تريد أن يفعله غيرك بك » فلنعمل به وقد يقول بعضهم : لا يزال لدينا وقت لذلك ولـكن أقول باسف اننا تأخرنا في ذلك لاجل المحافظة على كرامتنا الوطنية في أوربا فقد كان الاولى بنا أن نفعل ذلك من تلقاء أنفسنا .

ان الشر هنا وليس في مكان آخر فان نحن بحثنا عنه في المسائل الدينية والخصومات المذهبية والمبـادىء الفلسفية وفي طائفة من الاسباب الاخرى تبعثنا عليها ضرورة الدفاع كنا كمن يعالج النتيجة قبل أن يعالج الاسباب . ولعمري ان محاولة تذليل المصاعب على هذا الوجه والسعي لجعل الناس يعتقدون صحة هذه الاسباب الفاسدة لا يليقان بشعوب بلغت أعلى درجة من التمدن وتباهت بوصولها الى غاية التحول .

فلنحف في البحث عن كثب في شؤون الصين وهي المحور الذي تدور عليه رحى الحوادث الحاضرة . اننا نلقى ثمت امة ميالة الى السلم مقبلة على العمل قديمة العهد في التمدن مولعة بالفنون وقد سبقت الغرب بالوف من السنين في جميع الاعمال . وتعد أنظمتها وشرائعها آية من الايات لا نلقى مندوحة عن النسج على منوالها ولا سيما تنظيم مقاطعاتها وانحائها . ففي القرى أراض خاصة تجري على ملك الافراد واراض مشاعية يقتسمها الاهلون فيما بينهم كل سنة .

ويعد النظام الاداري نوعاً من نظام اللامركزية وهب تجاوز الموظفون الحدود في مزاولة وظائفهم أو استفحل أمر الرشوة فلا يجب أن نقضي العجب

من ذلك فمثل هذا الامر يقع في كل مكان وحسبنا ان نلقي نظرة حوالينا دون أن نستعمل لذلك نظارة مكبرة .

ومعلوم ان الهيئة الاجتماعية محفوظة حفظاً تاماً في الصين والهند الصينية وسيام وملقا فالاسرة فيها مكرمة اكثر مما في غيرها ويجتمع جميع افراد الاسرة في كل سنة حول مذبح الجدود ولا يحول دون هذا الاجتماع الا أسباب قاهرة .

أما المسألة الدينية في الصين فان الصيني مشهور بانتحاله من مبادىء الاديان مايراه أفضل من غيره فهو مشهور بالهوادة والدليل على ذلك هو منحهم امتيازات عظائمهم لجميع المبشرين . ولقائل أن يقول : اذا كان الامر كذلك فلماذا تقع المذابح التي كانت وسيلة لتدخل الدول الاجنبية في تلك البلاد ؟ الجواب على ذلك هو لان بعض المبشرين كانوا يتجاوزون حدود مهمتهم فانهم أرادوا أن ينشئوا دولة ضمن دولة وأن يخلصوا المجرمين من يد العدالة المحلية ويعارضوا أوامر العلماء . وقد جرت حوادث كثيرة من هذا النوع في الهند الصينية من عهد احتلالنا لها فادركت حينئذ الباعث على المذابح . وقد رفعت تقريراً في هذا الشأن الى مرجع عال .

وليست الديانة البوذية مناوئة للديانة المسيحية فقد اتفق لي اني قضيت أياماً في أديار البوذيين فكنت أسمع فيها أصوات النواقيس واشهد حفلات تشبه الحفلات التي يقيمونها في ديورتنا بحسب طقوس كطقوس رهباننا وقد رسمت على الجدران رسوم تمثل العهد القديم عندنا . ومشهور ان البوذية اقدم من الكاثوليكية . وثمت أمر واحد تختلف فيه الديانتان وهو الذي جعل الديانة المسيحية تزهر وتنتشر فانها جلبت الى الشعوب المقيمة على شواطىء البحر الابيض الرومي والمتألفة من سادة ومسودين تلك الكلمة العجيبة « المساواة للجميع في السماء » وقد كان من وراء هذه الكلمات وحدها ثورة اجتماعية فيسوع كان اكبر اشتراكي في العالم وكان مصدراً للخطر . وبعد ما مات انتشرت تعاليمه . وما كان أعظم قوة النصرانية لو كانت قد أضافت من ذلك الحين « المساواة للجميع على الارض » ولكن هذا ليس من مصلحة ذوي الاغراض ويستطيع كل انسان في الصين أن يصير في كل زمان عظيما في امته ان هو

اطاق الامتحانات المحلية والاقليمية والعامة فليس في تلك البلاد من عبودية اجل ان الاخلاق تختلف ولكننا نستنفد مجهودنا على غير طائل لتغييرها فكل شيء يتغير تبعاً للمكان الذي يقيم فيه الانسان والمناخ والعادات فنحن الاوربيين نصبح هناك غرباء ونفقد عقليتنا الغربية ما عدا بعض افراد يعدون شواذ عن هذه القاعدة فالبلاد تأخذنا وتبتلعنا وهذا الامر عينه يجري في الشرق الادنى .

فلا ينبغي لنا والحالة هذه أن نطلق على تلك الشعوب اسم « اسوية » لئلا يدل ذلك على انها من القبائل الرحل المعدودة نصف همجية والضاربة في المجاهل الاسوية فليست هذه الشعوب منها بل هي فروع من الشعوب التي عبرت أفغانستان وايران ومصر والعربية والهند والهندالصينية والصين وألفت مجموع الشعوب الاسوية .

ونقول بالايجاز ان هذه الشعوب لا تصلح ان نجعلها لاتينية أو مسيحية واذا كانت دعوانا أساساً للسياسة العامة في الغرب فلا نلبث أن نرانا ضالين عن سواء السبيل وكل يبتغي في هذا العصر أن يزاول عمله بسلام ويجري المقايضات ويوسع نطاق صناعته وفنونه وتجارته ولكنه يبتغي أن يكون سيداً في عقر داره من دون أن يتسلط عليه جاره أو ان يكره على الامتثال لاوامر الاجنبي فقد كان للقوة زمان وانقضى وابتدأنا نشعر بذلك .

ان جمعية الامم التي انشئت بشق النفس يجب ألا تكون جمعية يسود فيها الاقوياء وهذه الفكرة البارزة بعثت آسيا على تنظيم جمعية امم اسوية هب الاستعمار لمناوأتها . فعلينا أن نمهد السبيل لارتباطها بجنيف لتكونا جمعية واحدة تعمل لهناء وراحة الجميع فيتسنى حينئذ منع وقوع الحروب أجل أن الدعوة الى إشهار « الحرب الصليبية الجديدة » تقتضي أن نمثل للناس شبح البلشفية وليس لهذا الشبح من تأثير في العالم العربي والعالم الصيني ولا في بلاد ايران وبلاد افغانستان ؛ ولكن اذا كانت روسيا تكتفي بمحالفتها لهذه الشعوب الاسوية كمحامية للشعوب المظلومة واذا لم نغير المنهاج الذي نسير عليه اصبح الخطر حقيقياً ولا يلبث أن يحدق بنا .

ولقد أخطأنا خطأ فاضحاً بزعمنا ان الجنس اللاتيني يفضل غيره بالتفوق

العقلي والعلمي والادبي فيجعلنا نسعى لاخضاع العالم لمشيئتنا فكأنه لم يكن شيء قبلنا فنجعل التاريخ يبتدىء من حوادث العهد القديم من دون أن نفتكر بان البلدان الواقعة على البحر الابيض الرومي هي التي كانت لها علاقة بتلك الحوادث وانه وجد قبلنا شعوب عظيمة لها أنظمة سياسية واجتماعية عجيبة فما عدا بلاد الصين القديمة التي يجب أن نجعل تاريخها قريب المتناول للجميع مع ما طرأ عليها من التحول في داخلها من الجهة الاجتماعية يحسن بنا أن نبحث عن انقاض مملكة كهمر العظيمة التي نلتقى في انكور صورة عنها وبقايا القصور الغنية في المكسيك وكولومبيا والبيرو ما عدا مصر وممالك مادي وفارس .

فنحن آخر من جاء ونزعم ان لنا الحق بالتكلم بلهجة السادة فلنتئد في مطامعنا ولنعذ بعقوة التؤدة والتعقل . ولنبدأ بتنظيم داخليتنا وتعديل مطامعنا التي نخشى أن تحرك مطامع غيرنا فان بحرنا الابيض الرومي يدعو كل عنايتنا اليه وهو محور عالمنا القديم وسيصير مركزاً لجميع التحولات في العالم فاليهود المشهورون بتيقظهم شرعوا ينظمون شملهم واحتشدوا في البلدان المحدقة بهذا البحر فهم في الجزائر وسالونيك وفلسطين الخ وقد أدركوا المستقبل بما أوتوا من بعد النظر في التجارة .

ونبسط ملاحظة لطيفة عن اليهود الذين ينتمون الى الشرق فهم منتشرون في جميع أنحاء المعمورة ويديرون جميع الشؤون فبلادنا الاوربية التي تخاف من الشرق اصبحت مغزوة منه فأي شيء يخشون اكثر من ذلك .

فيجب على الشعوب الغربية ان تسوي على شواطىء البحر الابيض الرومي علاقات بعضها بالبعض الآخر وتضع حداً لمطامعها ولا ينبغي للواحد منها أن يستأثر به فيكون عمله مثالا سيئاً ينسج غيره على منواله . ومتى زعم الانسان انه استاذ للبشر وجب عليه أن يزن اعماله بميزان التروي .

ان الشعوب الصغيرة المقيمة على شواطىء البحر الابيض الرومي يحق لها أن تعيش اسوة بغيرها . فاذا كانت الشعوب الصغيرة القاطنة في أوربا مضمونة لها الحرية لان بقاءها ضروري للشعوب الكبيرة فان الشعوب الصغيرة في أفريقيا وآسيا لا تتمتع بمثل هذه الميزة . ومع ذلك اظهر ماضيها انها عظيمة وقوية وهى تبذل المجهود الآن لاستعادة منزلتها القديمة . فلا بد من مداراتها لانها تؤلف من

الوجهة الدينية كتلة لا يستهان بها وتتكلم لغة واحدة وتسعى لربط حظها بحظ آسيا مخافة أن يضحى بها ويوضع على منكبها نير الوصاية ونحن نجهل جهلا تاماً ما للنفوذ الخارجي من النفوذ فيها . ونهمل قراءة مئات من الصحف والجرائد والنشرات المطبوعة باللغة العربية في قارات العالم الخمس والمعبرة عن عواطف هذه الشعوب المهضومة حقوقها فلنحذر هذا الاهمال الفاضح الذي يجر علينا المضرات .

الاسلام قوة لا يسهل القضاء عليها فلا الثقافة اللاتينية ولا غيرها تبلغان منها فليس رسل الاسلام مبشرين ينتشرون في البلدان حاملين التوراة في طليعة فاتحين يحملون في برودهم المطامع ولهذا تكرم وفادتهم ويسمع صوتهم وتروق عقائد هذا الدين عقول الشرقيين والافريقيين اجل انه يجتاز الآن عقبة كؤوداً ليصل الى دور التجدد والاصلاح ويسهل عليه هذا الامر بفضل القرآن فان قوته تزداد فقد شخص من جزائر السوند في هذه السنة ٨٠٠٠٠ حاج يقصدون بيت الله الحرام ولا بد من أن يكون هؤلاء الحجاج قد اتفقوا مع الحجاج الآخرين الذين اجتمعوا بهم على أمور خطيرة تهم الاسلام عموماً .

ويجب أن تكون نهضة العالم العربي السريعة في بلاد الشرق نذيراً لنا وباعثاً على التروي فقد يكون هذا الوسط الذي يقع تحت حواسنا لاعتباره قسما من البلدان الواقعة على البحر الابيض الرومي ولوجود جامعة الجنس بينه وبينها عضداً وحصناً للغرب تبعاً للجهة التي تميل اليها سياسة الشعوب الغربية فاذا اعترفت له هذه الشعوب بأن يكون له الحق بالحياة والحرية كان تأثير هذا الاعتراف شديداً وفصم عرى الوحدة الاسوية التي تدخل علينا الخوف وهذا أمر لا مندوحة عنه لان في أوربا جباراً عنيداً لا يروى غليله وهو المانيا فانها محتاجة الى اراض واسعة جيدة المناخ خصيبة التربة وهي تتوسل بجميع الوسائل للتخلص من الاقاليم الشمالية القاحلة وقد رممت ما تداعى من صرح سؤددها وهي تنوي عضد جميع الذين يساعدونها على ادراك امنيتها فلنتصد لتبسطها مرة أخرى في الشرق والشرق الاقصى حيث يثير لنا عمالها مشكلات خطيرة .

هذه خلاصة القضية المبسوطة الآن للبحث فيجب على لندن وباريس وورومية ان يتفقن على حلّ منطيقي وانساني ولا ينبغي لهن (ولا سيما فرنسا)

أن يتغاضين عن اعادة ذكرى الماضي فما جرى من أشهر من الجهة الدينية يقلق الفكر فكأننا مسيرون بقوة نغضي الطرف عن تدخلها تدخلا منكراً في سياستنا وهي قوة الفاتيكان واليك ما كتبه قبلا الجنرال يرنغ في هذا الصدد :

« تتعارض قوة فرنسا بشدة خضوعها لرجال الدين في رومية . فلنلق نظرة على تاريخ كياننا الوطني . . .

« من الدلائل التي تدل على أفضل ملوكنا وأشد وزرائنا حنكة والازمنة التي تفضل غيرها بالمجد والفخار عراكنا مع رومية الباباوية .

« فلنذكر القديس لويس ففيليب الجميل فشارل الثامن فلويس الثاني عشر فهنري الرابع فلويس الثالث عشر أوريشليو فلويس الرابع عشر في عهد مازاران وكولبير فالجمهورية فالكنفنسيون فبونابرت القنصل الاول فنبصر أمامنا أجمل الصفحات في تاريخنا الوطني . ولنذكر أيضا العقوبات الاستبدادية والمجامع الوطنية ومعاهدات وستفاليا والبيرينه وبيزا وحرية الاديان . . الخ

«ولنذكر في مقابل ذلك فرنسوى الاول والمستشار دوبرا وهنري الثاني وشارل التاسع وهنري الثالث ولويس الرابع عشر بعد تسلط عقيلة منتنون وشاميلار عليه ولويس الخامس عشر ودوبوى ونابوليون بعد اقترانه بماري لويز ونابوليون الثالث وعلاقاته بالمكسيك ورومية فان جميع هذه الامور تذكرنا بأحوال مؤلمة مرت فيها بلادنا وبفوز باهر للبلاط الروماني وبعقد وثائق ضاعت معها كرامتنا كوثيقة سنة ١٥١٦ مثلا ودخول الاكليروس القانوني الى فرنسا ومذبحة عيد القديس برتلماوس ونقض عهد نانت وغزوة سنة ١٨١٤ وعودة اليسوعيين الى فرنسا وسيادتهم المطلقة فيها واعلان العصمة والغزوة الثانية (سنة ١٨٧٠)

« فكأننا حين نتحقق هذه الادوار المتسلسلة عن أغلاطنا الوطنية نرى أن الشرور التي حلت بفرنسا كانت نتيجتها اللازمة هناء رومية وغبطتها .

« واذا وسعنا دائرة نظرنا وجدنا أن الانحطاط الاجتماعي في الشعوب سواء كان في أوربا أوفي غيرها مرتبط بالقوة الدينية المتسلطة على هذه الشعوب.

« ومعلوم أيضا أن البلدان التي ليس لرومية سلطة عليها تزداد قوتها ازديادا»
ثم يقول مؤلف هذا الكتاب :

« . . . تزداد ملاحظات المسيو بريفو بارادول أهمية ان نحن تأملنا في أن هذا الاتحاد (اتحاد الحكومة والكنيسة) اتخذ شكلا خاصا بعد حصر الوحدة المطلقة بالفاتيكان واتخاذ عقيدة العصمة وسيلة لذلك. وما لبثا أن أصبحا كبيري القيمة لان هذه القوة الخفية العظيمة قد تخدم غداً مصالح ايطاليا أو أول دولة تخطب معاهدتها . ولا يخفى أن مصالح كنيسة رومية هي غير مصالح فرنسا لان المجمع المقدس ومعظم رجال الدين في رومية من الاجانب الغرباء عنا فانهم مع ما لهم من حسن الارادة والصدق يفتكرون بالايطالية والالمانية والاسبانية قبلما يتكلمون بالفرنسوية » .

فلا نتهافت وراء أنصار تدخل النصرانية في اعتقادات قسم كبير من العالم فهنالك الغاية التي يرمون اليها والتي تحاول رومية أن تجعل الافكار خاضعة لها

فلكل انسان في هذا العصر الحق بأن يعيش ويفتكر على هواه وأن يعتقد ما يروقه بحيث لا يضر غيره . وهي فكرة تنتشر في العالم فمن يتصدى لها يغرق في تيارها ويجر على نفسه الخراب والموت . فنحن الفرنسويين يجب علينا ألا نوافق على ذلك ولكن لا نضيع دقيقة واحدة لنظهر حقيقة موقفنا فالساعات معدودة .

الفصل الثاني

ما هي الحوادث الخطيرة التي وقعت من شهر مايو سنة ١٩٢٦ الى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٧ وماذا كان لها من الصدى في السياسة العالمية والشعوب في الشرق وآسيا ؟

فلنسردها بحسب ترتيب وقوعها :

قضية الموصل وتسويتها

المؤتمر الاسلامي في مكة

كبار الزعماء السوريين في باريس

مؤتمر ناجازاكي

الشكوك الناجمة عن سكة حديد حيفا

عصبة الجامعة الشرقية

الاتفاق البريطاني الايطالي

قضية الحبشة

قضية واحة جغبوب

قرار جمعية الامم برفض العرائض المقدمة اليها رأسا من الشعوب المشمولة بالانتداب

المعاهدة بين ايطاليا واليمن

المعاهدة بين ابن سعود وعسير

دسائس الكابيتان كاننج

مهمة السر كلايتن

الدسائس الدينية في الشرق

المؤتمر العربي الكبير في الولايات المتحدة

الدسائس المدبرة في فرنسا لحل اللجنة السورية الفلسطينية

الثورة في الصين

تسمية ابن سعود ملكا على نجد والحجاز

المحالفة البريطانية العربية

الحج الى مكة في سنة ١٩٢٧
حوادث مصر
السياسة البريطانية المزدوجة في العراق وفلسطين ومصر
مفاوضة الزعماء السوريين في فرنسا
تصريحات مفوضنا السامي في سورية
قطع العلاقات نهائياً مع الوفد السوري .

وقد كان لكلّ من هذه الحوادث وقع سيء في البلاد وفي الخارج . وسنذكر مجملها بحيث نعود الى الاسباب في الكلام عنها في الفصول الآتية ولم نجمع في فصول خاصة متوالية الا حوادث سورية ولبنان لانها تؤلف موضوعا لا يتجزأ .

قضية الموصل — وقع في ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ الاتفاق بين تركية وبريطانيا والعراق على ولاية الموصل بعد ما مضى وقت طويل قبل الوصول الى تسوية هذه القضية .

ولا بد من القول ان الاتفاق الذي تم في شهر اكتوبر سنة ١٩١٥ بين الحسين ومكماهون لم يجعل ولاية الموصل تابعة للدولة العربية الجديدة وان هذه الولاية البالغة مساحتها ٨٨ الف كيلو متر مربع وسكانها ٨٠٠ الف نفس لم تكن من البلاد المفتتحة . أو لم يقل الرئيس ولسن علاوة على ذلك « لم يبق لحق الفتح أقل قيمة في هذا العصر . »

ولم ينص في معاهدة الهدنة المعقودة في مودروس في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ شيء عن اخلاء الموصل التي كانت القوات العثمانية تحتلها . وكان يجب أن يظل كل شيء على حاله ريثما تبرم المعاهدة النهائية ولكن كانت المادة السابعة من المعاهدة تحتوي هذه الفقرة : « اذا حدث ما يجعل سلامة الحلفاء في خطر كان لهؤلاء الحق بان يحتلوا جميع المواقع الحصينة للدفاع . »

وكان منصوصاً أيضاً في المعاهدة ما يأتي : « يفوض امر الحاميات التي في العراق الى أقرب قائد من قواد الحلفاء » الا ان هذه المادة لا تتعلق بالجيوش المحاربة (وهذا ما فسره فيما بعد الفيس اميرال جالتروب احد موقعي الهدنة)
ومع ذلك اراد الجنرال مرشال المقيم في بغداد ان يتجاهل تلك الاتفاقات

فاستند الى المادة السابعة من دون أن يكون له سبب شرعي وامر باحتلال الموصل زاعماً انه يأسر الجيش التركي ويستولي على جميع معداته وذخائره وسلاحه (٣ نوفمبر سنة ١٩١٨)

وقدشق على علي احسان بك قائد الفيلق السادس التركي الوصول الى اتفاق موقت وانسحب مع جيشه رغبة في تجنب الاشتباك في القتال مع البريطانيين . وماذا كان يأمل الحصول عليه في الحالة التي صارت اليها حكومة الاستانة وتضعضع الاحوال في جميع انحاء السلطنة . فقد كان الحلفاء يحتلون ادنه وأزمير والاستانه وبروسه وادرنه غير مبالين بالعهود المقطوعة .

وحرك البريطانيون عوامل دهائهم لاثارة الاكراد وسكان شمر والنساطرة وكانت غايتهم احتلال ولاية حاكياري في الجهة الشمالية وكركيت في ولاية ديار بكر ليتسنى لهم الاستيلاء على اراضي البترول والفحم في جبل هربور والمنطقة التي الى شرق شابور .

ونظمت في شهر اغسطس سنة ١٩٢٠ معاهدة سيفر ولكن تركية لم توافق عليها .

وأخيراً وقعت معاهدة لوزان في سنة ١٩٢٣ وتلتها مؤتمرات متعاقبة وعقد مجلس التحكيم في الهاي والاتفاق الذي أبرم في سنة ١٩٢٦ .

ويحسن بنا ألا ننسى ان لجنة التحقيق التي انفذتها جمعية الامم الى الموصل قررت تقريراً صريحاً ان ولاية الموصل تعد شرعاً جزاً متمما لتركية ولا يستطيع العراق أن يدعي ان الموصل تخصه لا بطريق الفتح ولا بوجه آخر شرعي فان أكثرية السكان تفضل الحكم التركي على الحكم العربي اذا قضت الحال بعدم تمديد مدة الانتداب البريطاني .

ولم يحدث شيء من هذا القبيل فقد كان من الواجب ان تشبع جميع مطامع الدول العظمى في البترول وكان أن جمعية الامم في جنيف أقرت المزاعم البريطانية بتمديد أجل الانتداب البريطاني للعراق ضاربة عرض الحائط بحقوق أصحاب الحقوق .

وكان لشركة البترول البريطانية الفارسية وشركة البترول التركية وشركة

الستندرد أويل وشركة البترول المكسيكية مصلحة في الاستيلاء على تلك الاقاليم الغنية

ولم يلمح الى انتهاك البريطانيين لحرمة هدنة مودروس اما السكان فلم يكترث لهم ولم تذكر في الاتفاق المسائل الانسانية التي كانوا قد توسلوا بها لايجاد مسوغ لعملهم كموقف الامة الاشورية الكلدانية مثلا . وقسم الاكراد الى قسمين أحدهما في تركيا والآخر في العراق فاستاؤوا من هذه القسمة استياء عظيما وهم يؤلفون مع الترك الذين في ولاية الموصل كتلة سيكون لها شأن في المستقبل .

وقد ندمت بريطانيا على نبذ ما اقترحه الجنرال شريف باشا في شهر دسمبر سنة ١٩١٤ وبلغناه الحلفاء بشأن حرية كردستان . وكانوا يظنون في ذلك الحين ان الحرب ستكون قصيرة الاجل وانهم سينتصرون فيها ولا محالة فلم يبالوا بذلك الشعب الصغير الذي جرّ عليهم الغوائل في اثناء الحرب وافسد على الحلفاء أمرهم فلم يطب لهم التمتع بما كانوا يطمعون به .

وقد تغتنم كردستان الفرصة قريبا للم شعثها لانها غير راغبة في البقاء ممزقة الشمل ولا يمكن الاعتماد عليها كحصن حصين تصطدم به في المستقبل الغزوات الزاحفة بطريق القوقاس . وستعلم بريطانيا قبل غيرها ان الانسان يحتاج في غالب الاحيان الى من هو أصغر منه

مؤتمر العالم الاسلامي في مكة (يونيو سنة ١٩٢٦) — التأم هذا المؤتمر على أثر التئام مؤتمر مصر وكان له اهمية كبرى . وتفاوض المندوبون الذين قدموا اليه من جميع انحاء العالم من دون أن تفسد عليهم عملهم الدسائس الاجنبية التي ذر قرنها في عاصمة الدولة المصرية .

ووافق المؤتمر على الامور الآتية :

١ — السيطرة على تبرعات وهبات البلدان الاسلامية

٢ — تسليم لجنة الاوقاف الاسلامية سكة حديد الحجاز بمقتضى معاهدة لوزان وتفويض احراء هذه الامنية الى حكومة الحجاز .

٣ — حياد الحجاز اي انه لايحارب ولايحارب .

٤ — اقفال أبواب الاراضي المقدسة في وجه التدخل الاجنبي .

٥ — رفض اعطاء الاجانب أي امتياز كان
٦ — اعلان التساهل الديني الخ

وللمادتين الاولين أهمية لم يسبق لها نظير . ففي جميع البلدان المأهولة بالمسلمين اوقاف مخصصة بالحجاز يصرف ريعها في سبيل الحج اليه وتعزيز مدارسه واصلاح طرقه الخ . فيكون المؤتمر قد قرر أن للحجاز الحق بان يطلب من الحكومات المتسلطة على بلدان الاسلام ان تقدم حساباً عن تلك الاوقاف ويكون ذلك أيضاً من واجباته وسيطلب ارجاع مااختلس من أموال الاوقاف .

اما سكة حديد الحجاز (دمشق ـ المدينة) فانها انشئت بتبرعات اكتتب بها جميع المسلمين في العالم كله . فهي والحالة هذه ملك لهم ويحق للحجاز من دون سواه أن يسيطر عليها ويستثمرها . وقرر المؤتمر انشاء خط حديدي من جده الى مكة فالمدينة

وأشار المؤتمر الى رغبة الاسلام في الرجوع الى مزاولة تقاليدهم المقدسة والتملص من كل تدخل اجنبي والمسير على الطرق المؤدية الى غاية العمران وتوسيع نطاق الوسائل التي تبذل لتحسين الصحة العامة والمحافظة عليها وتعزيز التعليم العام وتأليف كتلة متحدة متماسكة مع بقاء علاقاتهم ودية بالبلدان المجاورة والشعوب الاجنبية .

وابدى جلالة ابن سعود مقاصده في الجلسة الاولى التي رأسها وقال انه يجب أن يوضع حد للانقسامات والخصومات بين الفرق الدينية التي كادت تفت في عضد الاسلام .

ومما لا بد من الاشارة اليه هو ان تركيا انفذت الى المؤتمر مندوبين من اشهر الدهاة في السياسة فان حكومة انقره مع كونها علمانية وميالة الى البوذية لا تنسى ان الترك لا يزالون مسلمين وانه لا ينبغي ان يهمل في السياسة شيء من الاشياء قد يحتاج اليه

مؤتمر ناغازاكي — عقد مؤتمر الجامعة الاسوية في شهر اغسطس سنة ١٩٢٦ ولكن لماذا اختيرت ناغازاكي من دون سواها لاجتماع هذا المؤتمر ؟ أو ليست اليابان حليفة للدول الغربية . أو لم تنم باميالها الاستعمارية في منشوريا وكوريا وفورموزا ؟

ان اليابانى لم يشعر والحق يقال الا بجميل مكره عليه للجنس الابيض وهو نظير جميع سكان الشرق والشرق الاقصى لا ينسى ابداً الاهانة وقد ساقوها اليه مرتين بعد الحرب فان بريطانيا العظمى فصمت عرى المحالفة التي كانت معقودة بينها وبين اليابان وذلك طمعاً بخطب موالاة الولايات المتحدة وقد حقرت تلك الحليفة الامينة من دون أن يكون لها سبب معقول وكأنها وافقت سكان أميركا الشمالية وسكان المستعمرات البريطانية المستقلة على احتقار الشعوب الملونة. ثم انهم لم يرضوا في جنيف بان يعترفوا بالمساواة بين جميع الاجناس.

ولا يخفى ان الاسباب المبنية على اختلاف الاجناس تعد فظيعة في عصرنا هذا وقد بالغت كندا واستراليا في الدعاية الى التفريق بين هذه الاجناس. ولما رأى الصفر انهم منبوذون محتقرون عند اصحاب الحل والعقد في الدول العظمى سعوا الى الاتحاد لمناهضة البيض المفاخرين بلون بشرتهم. ولا بد من أن يكون الناس قد لاحظوا ما كان من استرخاء اليابان في الحوادث الصينية الحالية وسنعود الى الكلام في هذا الصدد.

وقد اختيرت اليابان مركزاً للمؤتمر لان القوم فيها كانوا في سنة ١٩٢٥ قد بالغوا في الاحتفاء بسون يات سن في كوب وقدجاهر هذا الاخير بوجوب اتحاد جميع الاسويين ليسهل عليهم خلع نير البيض الطغاة ثم التسلط عليهم.

وافتتح المؤتمر في أول اغسطس ودام ثلاثة ايام وقد كثر القيل والقال عند التئام المؤتمر للمرة الاولى ولكن القرارات التي وافق عليها سبعة وثلاثون مندوبا يمثلون الصين والهند وسيام واليابان والفليبين وكوريا (ولم ترسل تركيا وبلاد فارس وافغانستان وجمهوريات السوفيات والبلاد العربية ممثلين) كانت في غاية الاهمية.

ومن أهم مقرارت هذا المؤتمر:

الغاء المعاهدات المعقودة من جهة واحدة أو المكره احد الجانبين على عقدها.

المساواة بين جميع الاجناس

تحرير الشعوب الاسوية المتسلط عليها الاجانب الآن.

انشاء مصرف كبير اسوي .
الغاء الفوارق الاجتماعيةو الدينية
انشاء مدرسة جامعة للجامعة الاسوية
انشاء مراكز للدعاية في آسيا .
انشاء سكك حديد في آسيا
اعلان السلام العام المبني على المساواة والعدالة .

ان هذه المقررات تدل على ان جمعية الامم الاسوية انشئت .

اجل ان هـذه الجمعية لا تكون واسعة النطاق في بدء الامر لان حركة المبادىء في آسيا بطيئة ولم يستكمل التسلح جميع عدده فلابد من القوة لتأييد الحق ولا يخفى ان الحوادث الجارية الآن في الصين وتأليف جمعية الجامعة الشرقية تبين بصراحة ان الامور جارية في مجراها .

جمعية الجامعة الشرقية — التأم مؤتمر في اودسا في شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ حضره سفراء روس وسياسيون قدموا من تركيا وايران وافغانستان والصين وكان هذا المؤتمر مكملا لمؤتمر ناغازاكي واجتماع انقره الذي تم قبل هذا المؤتمر ببضعة اسابيع ولم تكن مندوحة عنه لضمان سلامة كل بلاد من البلدان التي اشتركت فيه . فلم توقع تركيا على وثيقة الموصل الا مكرهة وذلك خوفاً من أن تجد نفسها بين نارين : اليونان من الجهة الغربية وقد قامت ايطاليا مقامها فيما بعد وبريطانيا العظمى من جهة العراق . وظل التهديد متواصلا من جهة أزمير . وكانت ايران تلقى نفسها محصورة بين العراق القابضة بريطانيا العظمى على خناقه والهند . وشعرت افغانستان بان ما يهدد ايران سيصل اليها في نوبته . وكانت هذه الدول تعلم حق العلم انهن عاجزات عن أن تقاوم كل منهن منفردة غزوات الدول الاوربية الكبرى فرأين رأيا منطقيا يوافق موقفهن فانهن قطعن العهود على تسوية كل خلاف يقع بينهن بالتي هي أحسن وعلى تأمين سلامة كل منهن والامتناع عن تهجم الواحدة منهن على غيرها .

الاتفاق البريطاني — الايطالي : — تعودت بريطانيا العظمى في كل زمان أن تعاهد في القارة بلاداً على الاشتراك معها في الحروب الخارجية فتقدم هذه البلاد جنودها في مقابل ما تأمله من المرافق والغنائم وقد يكون في غالب

الاحيان وهمية وهي لا تفعل ذلك الا تجنبا للنفقات ولاخفاق المساعي . وقد بقيت فرنسا الكريمة الصافية النية تمثل هذا الدور على ملعب السياسة البريطانية ولكنها ثابت الى نفسها بعد الحرب العالمية الكبرى وشاهدنا على ذلك حوادث تركيا والصين وهي لم تفعل ذلك بفضل تبصر حكامها في عواقب الامور فهؤلاء منقادون الى السياسة البريطانية بل بمداراة الرأي العام الفرنسوي فالامة الفرنسوية لا تبتغي البتة ان يظل أبناؤها يسقطون في ميادين القتال وهي غير راضية عن المعارك الناشبة في سورية ومراكش .

ورأت بريطانيا العظمى ان اليونان هي العامل الذي تنشده الا ان اخفاق مساعيها الحربية واحتجاجات الشعب اليوناني وضعا حداً لهذه المعاونة الموهومة .

تحولت وزارة الخارجية البريطانية أنظارها الى ايطاليا حين أنست في شعبها مطامع لا يروى لها غليل وميلا الى نيل مقام سام في العالم وطموحاً الى انشاء امبراطورية واسعة تجدد مجد الامبراطورية الرومانية القديمة وخصوصاً لانها لم تكن مرتبطة بعهود ما مع غيرها من الدول ولانها كانت تبتغي أن تصيب أوطارها باستنادها الى مناصرة غيرها . فرضيت ايطاليا بما اقترحته عليها بريطانيا العظمى ووالى الجنرال كلايتن في رومية الابحاث السياسية والعسكرية مع الحكومة الايطالية في المسائل التي قد تدعوها الاحوال الى التدخل فيها في الصين أو في غيرها من الديار الشرقية .

وباشرت لندن العمل بحنكتها المشهورة فلم تسند مصر بما كان من أمر واحة جغبوب في ليبية فهذه الواحة تابعة لمصر ولكن بريطانيا العظمى شاءت بتركها ايطاليا تحتلها أن تجعل مصر بين عاملين شديدين من جهة الغرب ومن جهتي الشرق والجنوب .

وكانت المعاهدة البريطانية الايطالية المعقودة على شؤون الحبشة أول مرحلة من مراحل الوفاق بين الدولتين ولكنها لفتت أنظار جميع الدول . وأول ذلك العمل أي السهولة التي عاملت بها دولتان غربيتان الدولة الوحيدة الحرة المسيحية في أفريقية على وجوه شتى ولا سيما في جنيف . واتفقت الدولتان المتعاقدتان على تعاطي الاعمال التجارية والعسكرية على ما يروقهما فاحتج الرأس

طفري الى جمعية الامم في ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .

وتعد المعاهدة بين ايطاليا واليمن (٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦) من نوع آخر وهي محصورة في الاعمال التجارية ولكن رومية تضمر أغراضاً أخرى وقد نشرت جريدة المقطم الكبرى في القاهرة كلاماً ينم عن مخاوفها من هذا القبيل فأجابتها « التريبونا » بأنها بالغت في هذه المخاوف .

ولا يذهب عنا أن ايطاليا طلبت من جملة المطالب التي طلبتها في أثناء الحرب الكبرى أن تستولي على اليمن في مقابل مشاطرتها الحلفاء أعباء القتال لزعمها أن لها حقوقاً جنسية وتاريخية وجغرافية وسياسية وحربية في بلاد اليمن . ولما أقمت النكير في صحيفتي « الشرق العربي » على هذه المزاعم الواهية نظروا اليّ بمقلة الارتياب واتهموني بالميل الى ألمانيا .

قد يوسع نطاق المطامع الايطالية ولكنا نكرر ما قلناه في سنة ١٩١٧ وهو ان الامام محمود يحيى جعل اليمن مقبرة للجيوش التركية ولديه الآن جيش قوي كثير العدد والعدد يردّ خاسئاً خاسراً كل من يطمع فيه .

أما الطمع باستخدامه لمحاربة جلالة ابن سعود ملك نجد والحجاز فانه ضرب من الغرور فالامام حريص علي البقاء في بلاده الواسعة الغنية وليس له من مصلحة في خدمة المطامع الاوربية .

وبادر ملك نجد في ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ الى ابرام معاهدة مع الامام السيد الحسن بن علي الادريسي امام عسير توضع بموجبها هذه البلاد تحت حماية نجد وغايته من وراء ذلك التصدي لذلك التهجم الذي لم يوجه اليه رأساً واحباط مساعي الذين كانوا ينسجون برود الدسائس .

ولم تقف همة البريطانيين والايطاليين المتحدة عند هذا الحد بل رمت الى غاية أبعد تنتهي بعقد محالفة وثيقة العرى بين الدولتين . فغرضهما أن تصبحا نصيرتين للتحالف العربي المنوي انشاؤه وأن توفرا الاسباب التى تعجل تأليفه ثم تحالفانه وتستثمرانه بأساليب شتى . واذا كانت ايطاليا قد قبلت أن تمثل هذا الدور فما ذلك الا لأن شريكتها وعدتها بمرافق جلى . أو لم يدر في لندن في الدوائر الرسمية ذكر التخلي عن الانتداب الفلسطيني لايطاليا ؟ أو لم يدر أيضاً في رومية ان فرنسا تبتغي أن تتملص من الانتداب لسورية لتتركه لايطاليا

وذلك على أثر مضايقة فرنسا من بعض الجهات السياسية من دون أن يعلموا ان في باريس أذاناً مرهفة وأذهاناً تنكر هذا الامر .

وفي فصل الشتاء الاخير سعى الكابتان كاننغ — المعروف في المغرب الاقصى — لدى الجمعية السورية الفلسطينية في القاهرة ليقنعها بقبول فكرة التحالف العربي الشمالي تحت السيادة البريطانية .

وان الحرية التي اعادوها الى شرق الاردن وبعض حوادث تتعلق بالعراق والمعاهدة المعقودة مع جلالة ابن سعود على قاعدة المساواة تدل على ما هو جار الآن من التحول .

واشعرت ايطاليا تركيا بمضايقتها لها بطلب مد لواء سيادتها فوق جزيرة كستلوريزو .

قرار جمعية الامم : — أثيرت حادثة غريبة في جنيف في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦ حول البلدان المشمولة بالانتداب فان لجنة الانتدابات لدى جمعية الامم اقترحت أن يدعى للمثول أمامها أصحاب العرائض المقدمة اليها من البلدان المشمولة بالانتداب فاعترض السر اوستن تشمبرلن على تدخل اللجنة في ادارة هذه البلدان ونهض المسيو بريان ضد ذلك الاقتراح قائلا انه يجب منع اللجنة عن أن تصير آلة في أيدي المشاغبين وجاراه على رأيه ممثلو زيلندا الجديدة وافريقية الجنوبية والمسيو فندرفلد مندوب بلجيكا .

واتهم المسيو دي جوفنل اللجنة بعد ايام قليلة بانها كانت سبب اطالة ثورة الدروز .

وعادوا في شهر نوفمبر الى المباحثة في الموضوع فقال المسيو بريان والسر اوستن تشمبرلن أن أسباباً سياسية تمنعهما عن الموافقة على الاقتراحات المقدمة والجواب على الاسئلة السنوية المطروحة فنزل المجلس عند رغبتهما .

فظهر للجميع أن الدول المنتدبة تستذري بسلطة فعلية وتأبى تأدية الحساب بالتفصيل وقد رأت البلدان الشرقية أن تلك الدعوى متجاوزة الحد وقد زاد استياؤها من جراء هذا الامر وخيل اليها أن الانتداب لانهاية له وكان الاعتقاد بهذا الامر بالغاً أشده في البلدان المشمولة بالانتداب A .

وفقدت جمعية الامم بهذا الامر ما كان باقياً لها من كرامة المنزلة في الشرق .

وكان في دورة انعقاد الجمعية في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٧ أن الشعوب الصغيرة في أوربا شعرت بالامر عينه فليست الخطب الرنانة والالفاظ الفارغة من المعاني هي التي تعيد الى الناس الثقة بالجمعية فقد قال المسيو مارنكوفتش وزير خارجية يوغو سلافيا « ان جمعية جنيف فقدت أهميتها وعادت جماعات الدول العظمى الى ما كانت عليه قبل الحرب

« فلا يسع الدول الصغيرة والمتوسطة أن ترضى بأن تمثل دور الشاهد في هذه الجمعية . . . وسيقرر حظ جمعية الامم في أثناء الدورة القادمة » .

وليس لمحكمة العدل العليا في الهاي سمعة أفضل فان الحكم الذى أصدرته في قضية الموصل جللها بجلباب الاحتقار وبناء عليه لم يبق لمتوسطي الحال والصغار الا أن يؤلفوا كتلة ليردوا عنهم مطامع الكبار .

الفصل الثالث

بلدان آسيا والشرق الادنى

فلنبحث الآن في دسائس الاستعماريين وتهديدهم لجميع شعوب الشرق والشرق الاقصى ولابد من هذه التوطئة لبيان أسباب سخط آسيا وموقفها الحالي فتسرب أوربا تسرباً بطيئاً أو سريعاً الى الربوع الشرقية يعد تهديداً لا تلقى لها مناصاً من اتقائه . أجل ان تيقظ آسيا لا يبعثها على نبذ العلاقات الاقتصادية الضرورية والمفيدة ولكنها تشترط في ذلك ألا يتخذه الاوربيون وسيلة للتسلط كما تفعل الولايات المتحدة في المكسيك بل تطلب منهم أن يسلكوا مسلك فرنسا في مصر قبل سنة ١٨٨٠ .

مصر : — ان مصر وان تكن معدودة جغرافياً من أفريقية تعد بموقعها الاستثنائي وعلاقاتها المتواصلة بالشرق وبجامعتها وبديانتها وبتاريخها بلاداً شرقية

وقد جاهر مصطفى كامل على رؤوس الاشهاد بهذه الكلمات :

« المصريون سادة بلادهم ولكنهم يكرمون وفادة الجميع » وهي تعبر عن عواطف جميع المصريين ولكنها لم ترق البريطانيين فانهم عند أقل حادثة يوجهون الى ثغر الاسكندرية أساطيلهم المرابطة في مالطة .

وقد لجأوا الى هذا الامر من مدة قريبة لما طلبت حكومة مصر الغاء مركز المفتش العام للجيش المصري وهو منصب مسند الى انكليزي .

وتذكر مصر ذلك الوقت السعيد حين كانت فيه الصناعات المختلفة رائجة فيها وحين كانت مصانعها تصنع كل شيء من الابرة الى السفن الحربية . ولا تنسى أبداً مآثر محمد علي وانتصاراته حتى اليوم الذي تصدت له بريطانيا وأوقفت كل عمل فكان ذلك سبباً لموت سليله ابراهيم وأكره الخديوي عباس الاول على اقفال المدارس العالية وجميع المصانع من غير ما استثناء وتخفيض عدد الجند وجعله ١٨ ألفاً وذلك سنة ١٨٤٢ .

ويقال ان الغاية من زيارة جلالة الملك فؤاد الاخيرة للندن عقد معاهدة

بين بريطانيا ومصر وكتب أخيراً مكاتب جريدة باريسية ان مصر قد تدخل في جمعية الامم المؤلفة منها الامبراطورية البريطانية بقي أن نعلم ماهو رأي المصريين أعضاء الوفد وخلف المأسوف عليه زغلول باشا الزعيم الكبير والوطني العظيم الذي كان لمصرعه رنة أسى شديد عند جميع المصريين .

ان لندن تدري كيف تستعمل جميع وسائل الاقناع الممكنة فعقد المعاهدة مع جلالة الملك ابن سعود أطلق يد الحكومة البريطانية ومكن وزارة الخارجية من الاصرار على نبذ مطالب مصر بشأن الغاء منصب المفتش العام للجيش المصري ولكنها سلمت بمثل هذه المطالب في العراق . ونراها الآن تسعى لعقد معاهدة مع مصر مع نيلها ضمان حرية ترعة السويس ومياه النيل والمحافظة على برنامج مالية السودان بفضل ما ستقطعه مصر من العهود قريباً وغايتها من وراء ذلك أن تجعل لملك مصر أعظم منزلة في الاسلام وفلسطين وقد تنوي أن تجعل هذه المنزلة تتخطى الى سورية . فيكون لها من ذلك ما يجعل ابن سعود متهيباً عند مسيس الحاجة ووضع مصر يدها على بلدان الشرق الادنى اما رأساً واما على يد أمراء من الاسرة المالكة ثم انها تقوم بخطة أوربية فتضطر فرنسا الى قبول الحل الذي تكون هي قد مهدت له فتمد مصر على هذا الشكل لواءها فوق البلدان الشرقية وتعقد معها بريطانيا العظمى محالفة مؤملة انها تصير مصراً غريقة في بحر فضلها بتوسيع نطاقها وزيادة سؤددها .

ان هذا المشروع عظيم ومدبر تدبيراً يدل على الحنكة ولكن هل يصح تحقيقه ؟ من يعلم ؟

ومن جملة الامتيازات التي تبتغي بريطانيا الاحتفاظ بها حماية الاجانب ويكون لايطاليا واليونان حليفتي بريطانيا الخيار في قبول هذه الشروط ولكن فرنسا التي كانت كل شيء لمصر وكانت فيها دائماً بالقلب والفكر واللغة وعلمائها وأعمالها هل ترضى بأن تفقد ذلك المقام الادبي الرفيع ؟ وهل يصبح الفرنسويون مظللين بكنف حماية بريطانيا العظمى في مصر ؟ ما أعظم سقوطنا في الشرق ! فيجب على رجال سياستنا أن يتوسلوا بوسيلة يخففون بها عنا وطأه هذه البلية

البلاد العربية الوسطى والحجاز — ان جلالة الملك ابن سعود الذي ذكرنا عنه في سنة ١٩٢٤ في كتابنا « الثورة العربية » ان نجم سعده ابتدأ يلمع يظهر

يوماً فيوماً انه ملك شديد التيقظ فله سلطة لاتقاوى في الاقاليم الواسعة الممتدة من مسقط الى الكويت ومن الكويت الى العقبة ومن العقبة الى حدود اليمن وقد انتخب ملكا لنجد والحجاز واقتبس من أوربا محاسن اختراعاتها العلميـة (فالتلغراف اللاسلكي يربط الرياض عاصمته بالمدينـة ومكة) مع بقاء بلاده سليمة كاملة وهو يسعى للاستفادة من الثروة المضمرة في أحشاء أرضه ويبذل المجهود ليجعل القبائل الرحل تستقر في أماكنها وتعنى بزراعة الارض .

ولم يبق في بلاد الحجاز نهب ولا اعتـداء على القوافل وتعالج القبائل التي عينت حدودها زراعة الارض فالنظام سائد فى كل مكان .

وقد سن للحجاز دستور نهائي فى ٢٩ أغسطس سـنة ١٩٢٦ جعلت تلك البـلاد بموجبه « مملـكة دستورية اسلامية مستقلة تمام الاستقلال فى الداخل والخارج » يتولى شؤونها ملك يقلد السلطة نائبه العام ومديري الخطط ورؤساء المصالح . ويجتمع فى كل أسبوع مجلس اعلى مؤلف من الموظفين الذين ذكرناهم ومن ستة أشخاص يعينهم الملك وهو يوافق على قراراته .

وفى جدة والمدينة عاملان يؤازر كلاً منهما مجلس ادارة وليست مهمة جلالة ابن سعود الصعبة تنظيم بلاده الداخلي أو استمالة الفرق الاسـلامية الاخرى اليه بل يجب عليه أن يحذر الدسائس الغربية من البريطانيين والايطاليين وغيرهم من الشعوب الاوربية .

ولم يلق بدأً في سنة ١٩١٦ حين ضم اليه ولايات الخليج الفارسي عن عقد معاهدة مع بريطانيا العظمى تدور على هـذه الولايات وقد نشرت جريدة الفنيكس (التي تصدرها في مصر عقيلة دي ساذ بوان) في شهر فبراير الماضي نص اهم مواد هذه المعاهدة المجحفة :

١ — يجب على الامير صاحب الحكم ان يعين في حياته خلفه بشرط ألا يكون خصما للحكومة البريطانية .

٢ — تساعد الحكومة البريطانية ابن سعود على رد غزوات المتهجمين عليه وعلى أعقابه من بعده من أي دولة اجنبية كانت (وهي تضع شروطا لهذه المعاهدة تجعلها في حل منها اذا شاءت)

٣ — يعاهد ابن سعود على ألا يعقد اتفاقا أو معاهدة والا يفاوض دولة

من الدول الاجنبية ويعاهد على اشعار بريطانيا العظمى بكل محاولة تعمد اليها دولة من هذه الدول للتدخل في شؤون بلاده .

٤ — يعاهد ابن سعود على عدم تخليه عن شيء من بلاده أو عن تسليمه اياه لغيره أو عن رهنه أو عن تأجيره لاي دولة كانت أو لاي كان من رعايا أي دولة كانت من الدول الاجنبية بلا رضى الحكومة البريطانية وان يقبل ما تمده من المشورات بلا قيد ولا شرط .

وكانت لندن تبتغي بطرق الارهاب وبواسطة عمالها السريين أن تكره جلالة ابن سعود على ابرام مثل هـذه المعاهدة في جميع ممتلكاته (شمر وعسير الخ) ولـكنها اصطدمت بصخرة صماء فان ابن سعود نبذ ما اقترحته عليه نبذاً صريحا . وكانت بريطانيا ترى انه لا بد لها من مداراة الرأي العام العربي والاسلامي فاذعنت لصلابة عود ابن سعود وانفذت السر جلبرت كلايتن الى البلاد العربية مفوضة اليـه ان يفاوض الملك ابن سعود في عقـد معاهدة كالمعاهدات التي تعقد بين الاقران والامثال بعد ما رأت ان ذلك المليك اصبح عظيم الحول والطول (٢٥ مايو سنة ١٩٢٧)

وتمت المصادقة على المعاهدة الجديدة في ١٧ سبتمبر ١٩٢٧ وهذا نصها :

« جلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية في ما وراء البحار وامبراطور الهند فريق اول

وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما فريق ثان

يرغبان في توطيد دعائم العلاقات الودية بينهما وضمان مصالحهما وقد قررا عقد معاهـدة ودية واتفاق وعينا مفوضين لهذه الغاية فصاحب الجلالة البريطانية عين السر جلبرت فلكنهام كلايتن وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما عين صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز

وبعد ما فحص سمو الامير فيصل بن عبد العزيز والسر جلبرت فلكنهام كلايتن اوراقهما الرسمية المخول اليهما بموجبها تفويض تام ووجداها قانونية اتفقا على المواد الآتي نصها :

المادة الاولى — يعترف صاحب الجلالة البريطانية باستقلال بلاد صاحب

الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما استقلالا تاماً مطلقا .

المادة الثانية — بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما سلام وصداقة وكل من المتعاقدين الساميين يعاهد على المحافظة على حسن العلاقات بالآخر وعلى بذل المجهود بكل ما لديه من الوسائل لكي لا يدع بلاده تستعمل قاعدة لاعمال غير شرعية وموجهة لبلبلة السلام والسكينة في بلاد الآخر .

المادة الثالثة — يعاهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما على المحافظة على الحجاج المسلمين الذين من الرعايا البريطانيين أو من المشمولين بحمايتهم ويسهل لهم الوسائل التي يتمتع بمثلها الحجاج الآخرون ويصرح بانهم سيكونون راتعين في حمى الامان هم ومقتنياتهم في اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة — يوافق جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما على ان اموال الحجاج المذكورين الذين يلقون منيتهم في بلاده ولا يكون لهم فيها وكلاء شرعيون ترسل الى المعتمد البريطاني في جده أو الى أي موظف كان يفوض اليه المعتمد المشار اليه استلام هذه الاموال بحيث يعاهد هذا الموظف على تسليمها للورثة الشرعيين للحجاج المتوفين مع الاحتفاظ بعدم تسليم هذه الاموال الى المعتمد البريطاني الا بعد تتميم المعاملات المطلوب تتميمها في المحاكم ذات الاختصاص وبعد دفع الرسوم المنصوص عنها في انظمة الحجاز ونجد .

المادة الخامسة — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما حين يكونون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو في البلدان المشمولة بحماية صاحب الجلالة البريطانية

ويعترف أيضاً جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية وجميع الذين يتمتعون بحماية صاحب الجلالة البريطانية حين يكونون في بلاد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما اذ أنه من المقرر أن مبادىء الحق الدولي المعمول بها بين الحكومات المستقلة تكون محترمة .

المادة السادسة — يعاهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما على المحافظة على العلاقات الودية والسلمية ببلاد الكويت والبحرين وسواحل عمان فان لحكومة صاحب الجلالة البريطانية علاقات بها تقررت في معاهدات .

المادة السابعة — يعاهد ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما على التعاون مع صاحب الجلالة البريطانية بكل ما لديه من الوسائل لالغاء النخاسة .

المادة الثامنة — يصادق كل من الفريقين المتعاقدين الساميين على هذه المعاهدة ويتم تبادل المصادقة حالما يستطاع ذلك وتصبح مرعية الاجراء حين يتم تبادل المصادقة وتظل معمولا بها سبع سنين تبتدىء من تاريخها واذا لم يشعر أحد الفريقين المتعاقدين الساميين الآخر قبل انقضاء السنين السبع المذكورة بستة أشهر بنيته على الغاء المعاهدة بقيت هذه المعاهدة مرعية الاجراء ولا يعتبر انتهاء مدتها قبل انقضاء ستة أشهر على تاريخ اشعار أحد الفريقين الآخر برغبته في فسخ المعاهدة .

المادة التاسعة — يبطل عمل المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما (حين كان سلطان نجد والبلاد التابعة لها في ذلك العهد) في ٢٦ دسمبر سنة ١٩١٥ من تاريخ المصادقة على هذه المعاهدة .

المادة العاشرة — نظمت هذه المعاهدة باللغتين الانكليزية والعربية باعتبار النصين قانونيين واذا وقع خلاف على تأويل شيء من نصوص هذه المعاهدة اعتبر النص الانكليزي حاسماً للخلاف .

المادة الحادية عشرة — تعرف هذه المعاهدة باسم « معاهدة جدة » .

وقعت في جدة يوم الجمعة في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق لليوم ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٤٥

التوقيع

جلبرت فلكنهام كلايتن

فيصل عبد العزيز السعود

ولم يذهب عن جلالة ابن سعود ما كان من امر مهمته الخطيرة وهي تجديد مجد العالم العربي في بلاد الشرق فاراد أن يوجه أولاده الى الدول العظمى ليباشر معهن علاقات متواصلة فذهب بكر اولاده الى مصر لزيارة جلالة الملك فؤاد وشخص الامير فيصل ثاني انجاله الى أوربا . ولما كان الامير في فرنسا اهدته الحكومة الفرنسوية نشان جوقة الشرف من درجة كوما ندور .

وظهرت حركة شديدة في شهر مارس سنة ١٩٢٨ موجهة الى الخليج الفارسي وشرقي الاردن فارسل السر جلبرت كلايتن في الحال الى جده وقد يشتد الخلاف عند سواحل الخليج الفارسي وينتهي الامر باستيلاء جلالة ابن سعود على شرقي الاردن .

ومما يؤسف له ان الصحافة الفرنسوية الكبرى تستقي اخبار الحوادث الجارية في تلك الجهات من وزارة الخارجية أو من سفارة بريطانيا العظمى وتأبى نشر الاخبار الصحيحة عن هذه المسألة الخطيرة وحين تتكلم عن ملك الحجاز ونجد تنعته بنعوت يصح أن ينعت بها العيارون والسفاحون والافاكون

اليمن : — في بلاد اليمن خمسة ملايين نفس ويتولى شؤونها الامام محمود يحيى وهو زعيم ديني موفور الكرامة متحدر من الامام علي ابن ابي طالب ومشهور بحسن ادارته. ولما سقط عنه النظر في امر المدافعة عن بلاده من الترك الذين كانوا يرهقونها بمظالمهم وكان ينكل بهم تنكيلا تولى مع حكومة انقره صلات وثيقة وقد استقدم اليه فريقا من رجال الترك وأرسل ممثلا سياسيا الى تركيا .

ومع ما هو عليه من الاخلاق القديمة لا ينفر من العادات الحديثة وهو يدبر كل شيء بذاته . ومع ادخاله الى بلاده الكهرباء والتلغراف اللاسلكي والادوات والالات المخترعة حديثاً لم يفتح ابواب بلاده لدخول الاجانب اليها . اما المعاهدة التي عقدها مع السنيور غسباريني حاكم الاريتره وممثل الحكومة الايطالية فان الغاية التي يرمي اليها من ورائها هي ان يضمن مصارف لثروة اليمن تلك البلاد العربية السعيدة . وهو عاقد العزيمة على توسيع نطاق هـذه الثروة واجراء أعمال الحفر في تربة بلاده حيث يأمل أن يعثر على بترول وذهب وغير ذلك من المعادن الثمينة وقد خلفت مصوع عدن في التجارة بطريق الحديدة

ولم تنظر بريطانيا العظمى بعين الارتياح الى هذه المعاهدة لان الامام كان قد ابى أن يوقع معاهدة نظيرها مع السر جلبرت كلايتن . وصاحب اليمن يرى انه من مصلحته ان تكون له علاقات بجميع الشعوب الاوربية .

الا انه مع ما له من النفوذ الديني لا يستطيع ان يمثل دورا خطيراً في البلاد العربية فان أكثرية السكان فيها على مذهب اليزيدية وهو يقرب من مذهب السنية . وموقع اليمن في جنوب شبه جزيرة العرب وهي ليست حصينة ومرهوبة الجانب الا في نجودها ويحيط بها جيران اشداء من جميع الجهات حتى من الجهة الشرقية أيضاً .

والمفهوم هو ان ايطاليا التي تقدر المعاهدة التي عقدتها مع الامام يحيى حق قدرها والتي تجعل ميناء الاريتره بلدا تجاريا عظيما مع معرفتها ما تجنيه من علاقاتها السياسية باليمن تتوسل بما تستطيعه من الوسائل للاقتراب من مركز الاسلام الحقيقي في الشرق الادنى . وادركت هذه المرة ما ارتكبته من الخطأ في سنة ١٩١١ بمخالفتها لنصائح الكونت تورنيلي ومساعدتها للسيد الادريسي في عسير بدلا من أن تحرك الثورة العربية على ما اقترحناه عليها في ذلك العهد ولكن لم يكن على رأس الحكومة مسوليني في تلك الايام بل رجال يلتهون بالمماحكات السياسية . ولا بد من أن يأسف السنيور مسوليني لانه لم يكن في ذلك العهد صاحب الامر والنهي في بلاده . وكثيراً ما تسنح فرص مؤاتية لا تتكرر .

عسير : — وتوهم السيد الادريسي انه سيمد سيادته الى مدى بعيد فاصاخ لما كان الاوربيون يزينونه له واحتل مدنا في اليمن وكان من مصلحة بعض الدول أن يحركوا عوامل الخصومات ويثيروا دفين الاحن بين زعماء العرب للحيلولة دون تأليف الاتحاد العربي العام .

ولما شعر السيد الادريسي بالخطر بعد ما انتزع منه الامام يحيى الاقاليم التي استولى عليها لجأ الى حماية ابن سعود جاره الشديد البأس وعقد معه في ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ معاهدة المعنا عنها قبلا وقد تمت هذه المعاهدة على يد الشريف السيد احمد السنوسي الذي وضع نصها :

١ — يعترف الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بان الحدود القديمة

المبينة في الاتفاق المعقود في ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ بين سلطان نجد والامام السيد محمد على الادريسي الذي كانت تابعة له أصبحت تابعة من هـذا اليوم لملك الحجاز وسلطان نجد بموجب هذا الاتفاق .

٢ — ليس لامام عسير أن يباشر مفاوضات سياسية مع أي حكومة كانت أو أن ينال أقل امتياز تجاري بلا رضى سابق من جلالة ملك الحجاز .

٣ — ليس لامام عسير أن يشهر الحرب أو يعقد الصلح الا بموافقة ملك الحجاز .

٤ — ليس لامام عسير أن يتخلى عن قسم من البلاد المبينة في المادة الاولى

٥ — يعترف ملك الحجاز بسلطة امام عسير على الاقاليم المبينة في المادة الاولى .

٦ — يعترف ملك الحجاز بان ادارة شؤون عسير الداخلية من خصائص الامام بحيث يزاول السلطة طبقا للشريعة والعدالة .

٧ — يعاهد ملك الحجاز على دفع كل اعتداء يقع على بلاد عسير من الداخل أو من الخارج

٨ — يعاهد الفريقان على احترام منطوق هذه المعاهدة واجراء نصوصها

٩ — تصبح هذه المعاهدة مرعية الاجراء بعد أن يوقعها الفريقان المتعاقدان

وكانت هذه المفاوضات الجزيلة الفائدة لجلالة ابن سعود وللسيد الادريسي قد جاءت في حينها ولاسيما للامام فان العثور على بترول في جزائر فارسان أثار المنافسة بين ايطاليا وبريطانيا العظمى وقد يكون هذا الامر وخيم التبعة على عسير . وكان امتياز استثمار البترول قد منح لبعضهم ولكن لما لم يتمموا الشروط المقيدين بها حلت محلهم شركة البترول الانكليزية ومضت في عملها فكان من ورائه فوائد جمة لصاحب عسير ضمنت له القوة والسؤدد .

ولا بد من أن يكون جلالة ابن سعود راضياً عن هذه الحالة السعيدة فانه يرمي الى غاية اقتصادية معززة بالمنطق وهي أن يبحث عن الكنوز المخبؤة في البلاد العربية ويجعل البلاد تستفيد منها وأن يدعوا اليه الاوربيين ليساعدوه على ادراك ضالته المنشودة مع محافظته على سيادته المطلقة رغبة في احراز المال

اللازم لتوسيع نطاق مملكته وبقائه مستقلا عن الدول الغربية ويقال ان البريطانيين عثروا على منابع بترول في الاحساء المجاورة للخليج الفارسي .

شرق الاردن — اقليم صغير غير ثابت على حاله وهو بين سورية وفلسطين وممتلكات ابن سعود . ويتولاه الامير عبد الله أحد انجال الملك حسين وليس مركز هذا الامير ثابتا فان عرشه متقلقل وللجنود البريطانية فضل عليه في بقائه على عرش الامارة ولكنه لا يأمن جانبهم دائما فيكفي أن تقضي عليهم الاحوال يوماً من الايام بان يطلبوا من ملك الحجاز خدمة يكون قضاؤها قضاء على صاحب شرق الاردن . ويطمع الصهيونيون بهذا الاقليم القليل عدد السكان ولكن لاتدل قرائن الاحوال على أن الخطر الذي يهدد شرق الاردن قريب الوقوع وذلك بسبب المعضلة التي يجتازها اليهود في فلسطين . وشاءت بريطانيا العظمى أن تجري في المدة الاخيرة على المنهاج الذي سنشير اليه فيما بعد فرأت ان المصلحة تقضي بتغيير موقفها في هذه البلاد فاستبدلت بجميع الوزراء ماعدا رئيس الوزارة مستشارين بريطانيين (يوليو ١٩٢٦) وقد منحت شرق الاردن استقلاله بموجب معاهدة ابرمتها معه ونظمت مجلساً اشتراعياً منتخباً واختارت الوزراء من بين أعضائه وتقدم بريطانيا العظمى جميع المستشارين الفنيين وتكون مدة المعاهدة سنتين فالاستقلال اذن اسمي فقط .

فلسطين — لاتفتأ هذه البلاد التاعسة ترفع كل سنة ظلامتها الى لجنة الانتدابات في جنيف مقيمة النكير على الانتداب البريطاني فانه تحول في الحقيقة الى ادارة استعمارية بحتة .

وشكت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني في شهر أوغسطس سنة ١٩٢٦ من عدم العمل بالمادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم وتأسفت لعدم تمكنها من دحض البراهين المخالفة للحقيقة التي يدلي بها المنتدب بلسان ممثليه في جمعية الامم .

وطلبت أن توضع موضع الاجراء المادة الثالثة من صك الانتداب وهذا نصها : « تعاهد الدولة المنتدبة ما ساعدتها الاحوال على تنشيط الاستقلال الذاتي المحلي » وشددت في طلب انشاء حكومة مستقلة وطنية وعقدت الحكومة الفلسطينية — أعني الحكومة البريطانية — في شهر اكتوبر سنة ١٩٢٦ قرضاً

يبلغ ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه لانفاقه على الاشغال العامة ولاسيما على انشاء مرفأ حيفا وسنعود الى الكلام عنه وانشاء خطوط حديدية جديدة وطرق مركبات الخ .

وقدم بيان جديد في شهر ابريل سنة ١٩٢٧ الى جمعية الامم بطلب انشاء حكومة عربية مستقلة عن كل وصاية أو انتداب وشدد النكير على أعمال السلطة التي تلحق غضاضة بحقوق العنصر العربي وطلب الغاء جميع الامتيازات الممنوحة للصهيونيين .

واشتد الهياج لما شاع أن بريطانيا العظمى تفكر في ترك فلسطين لايطاليا. ما أغرب هذا الامر أتتصرف الدولة المنتدبة ببلاد — من صنف الانتداب A — وبسكانها بغير رضاهم وخلافاً للعهود المقطوعة فى جنيف .

أما العرب فقد كانوا يرون في ذلك فقدان جميع أسباب الحق والعدالة وفقدان الثقة في أعمال الدول العظمى

ونحن نرى في فكرة تنازل بريطانيا العظمى عن فلسطين لايطاليا شركا يجعل الايطاليين يعللون النفوس بالآمال الفارغة ومما يؤيد اعتقادنا هذا هو ان مرفأ حيفا المنوي انشاؤه لتصيير هذه المدينة مركزاً تجارياً خطيراً على شاطىء البحر الابيض الرومي تنحصر فيه تجارة أسيا سيوصل رأساً بخط بغداد وسترسل اليه جميع حاصلات الاقاليم الاسوية وعلاوة على ذلك سيكون الطريق الحربي الاكبر للهند والقاعدة الحربية اللازمة لبريطانيا العظمى . فان التنازل عن القطر الفلسطيني لحليف اليوم (وقد لا يكون حليفاً في الغد لان الغد مجهول) يعد غلطة فظيعة فالافضل ارجاع حرية هذه البلاد اليها بضمان استقلالها والتوثق من جعلها مصرفاً للتجارة والصناعة البريطانيتين .

ولنبحث الآن في المسألة الصهيونية التي تكلمنا عنها في مؤلفاتنا السابقة فان كلامنا عنها في ذلك الحين حرّك موجدة الصهيونيين وأنصارهم علينا . ولم يفهموا ان من واجبات المؤرخ أن يتناوب الوقوف على التوالي في كل جهة من جهتي الحاجز ويفحص المسألة من وجهيها . وحيث كنا نعرف الحالة النفسية عند الفريقين كان لنا سبيل الى وجود حلّ عادل وقد يكون من وراء ذلك اثارة سخط جميع الناس علينا .

قلنا قبلا ان الجمعية العربية احتجت على الصهيونية وقد يكون الصهيونيون

عجلوا في الوصول الى مطالبهم ولجأوا الى الضغط ليصيبوا الاعتراف بالامة اليهودية كأمة منظمة تستطيع من بعض الوجوه أن تتولى شؤونها بنفسها في المسائل الطائفية محضاً .

وتجتاز الصهيونية معضلة شديدة فان عدد المهاجرين اليهود الى الخارج « ١٣٠٠٠ » يزيد على عدد القادمين منهم الى فلسطين « ٧٣٠٠ » في سنة ١٩٢٥ وقد قلت المزروعات وأقفل نحو مئة مصنع من المصانع الصناعية بحكم الضرورة .

ان هذه الازمنة الحرجة التي يفهمها الانسان في مسألة من هذا النوع مع أشخاص ينتمون الى جميع طبقات الهيئة الاجتماعية والى جميع البلدان ولم يتعودوا العمل ستذلل ولا مراء ولكن هذا عرض من فيض .

ويحسن بنا أن ننظر الى العمل الصهيوني في نفسه مع ملاحظة صفاته والجهات التي أخطأوا في تسييره اليها وامكان نجاحه وما يتصدى له من العقبات .

نعلم أن الشعب الاسرائيلي الذي يسيئون معاملته في بعض البلدان نشد وطناً وفضل أن يصيب الوطن الذي وقعت فيه حوادثه التاريخية ولكن حيث كان هذا الاقليم ملكا للعالم العربي لم يكن من الحكمة للصهيونيين أن ينادوا على رؤوس الاشهاد قائلين كما لا يزال كثيرون منهم يقولون : « نحن في بلادنا وقد عدنا اليها بقوة حقنا التاريخي » فالعرب يجيبونهم قائلين : « أتيتم اليها بقوة الفتح وقد كنا طردناكم منها » .

فاذا عرضت المسألة على هذا الشكل استبهم حلها وكانت باعثاً على الاختلافات وهذا الامر يبتهج له كثيرون . فان وعد بلفور والحراب البريطانية نفرا الفلسطينيين من البدء ولكن لا فائدة من الكلام عن الماضي الآن ولا سبيل الى الرجوع اليه فالامر الجوهري هو ايجاد حل يوفق بين مصالح الجميع .

ان الصهيونيين عملوا أعمالا جميلة في فلسطين فبجهدهم العظيم وبالاموال الطائلة المنفقة أصبحت أراض واسعة تدر لبناً وعسلاً وشيدت المعامل والمستشفيات والمدارس للجميع على السواء للمسلمين كما لليهود . وقد أرى كثيرون من العرب أصحاب الاملاك ببيع أراضيهم ووجد غيرهم اليسر بالعمل عند الصهيونيين . فقد عادت الحضارة الى هذه البلاد بعد ما كان الترك قد تركوها بوراً متعمدين تدميرها .

ويسهل التفاهم بين الصهيونيين والعرب وذلك بامتناع الاولين عن التبجح بدعاوي مبالغ فيها وبنبذ الاخيرين تحريش ذوي المصلحة فهؤلاء يزينون لهم البقاء في بلادهم ذوي الحل والعقد فيها من دون أن يروا بين ظهرانيهم دولة في دولة .

وابتدأت بريطانيا العظمى تصرف عنايتها عن الصهيونيين شيئاً فشيئاً لاضطرارها الى مداراة العرب وهي تبالغ في عملها وتوسع فسحة الخلف بين الفريقين لان اتحاد الجنسين الساميين اتحاداً وثيقاً لا يخلو من جرّ الخطر عليها إذ يكون من نتائجه نهضة عجيبة في البلدان العربية بامداد اسرائيليي العالم اياهم بالمال وبما يمنّ عليهم الموسويون به من المساعدة السياسية لما لهم من النفوذ العظيم في جميع عواصم الدنيا .

ثم ان بريطانيا العظمى ترى أيضاً ان من مصلحتها أن تجامل الفاتيكان وهو معاد لليهود إذ لا تصل اليهم سلطته وهذا سبب آخر جوهري من الاسباب الباعثة على تحول السياسة البريطانية .

ونعتقد انه لو كانت اللجنة التنفيذية الصهيونية في لندن قد قللت من ثلاث سنوات من المجاهرة بالاعتصام بالسياسة البريطانية وفهمت مصالح الصهيونية الحقيقية ومستقبلها لتغير موقفها تغيراً يبعث على الارتياح ولا يزال أمامها متسع من الوقت لاصلاح ما فاتها ولا سيما اذا أصمت أذنيها عن سماع أقوال المتطرفين . ويحق للذين يمدون الصهيونية بالاموال الوافرة أن يتدخلوا في الامر

ونقول الآن انه وان كانت قد ظهرت الى الوجود بعض أحوال غير ملائمة في الشرق فقد بقيت أبواب الاتفاق مفتوحة بين العرب والصهيونيين بحيث تبنى على قاعدة مصلحة الفريقين الحقيقية ولكن هذا الامر يقتضي دقة ودهاء ومواظبة لما يقوم في وجهه من العراقيل فالايام كفيلة بتذليل المصاعب على شريطة العمل في النور ليكون كل شيء معروفاً معرفة حقيقية .

وقبل أن ننتقل الى موضوع آخر نذكر على سبيل الذكرى ـ لنبين تدخل ايطاليا تدخلا حقيقيا ثابتا في جميع شؤون الشرق ـ البيان الآتي الذي صدر في ٨ يونيو سنه ١٩٢٧ .

« استقبل السنيور مسوليني الدكتور جاكوبسن مندوب اللجنة التنفيذية

للجمعية الصهيونية في العالم فبسط المندوب الصهيوني لرئيس الوزارة في اثناء الحديث الذي دام أكثر من نصف ساعة العمل الذي يعمله الصهيونيون في فلسطين من دون أن تضعف عزيمتهم فوافقه السنيور مسوليني على تأليف جمعية ايطالية فلسطينية تعنى بتوثيق عرى الاتحاد بين العناصر الايطالية واليهودية . وكان الدكتور جاكوبسن يوالي اجتماعاته بالدكتور كلينلر أحد زعماء الحركة الصهيونية في ايطاليا . »

ونذكر أيضاً أن اللجنة التنفيذية المركزية للسوفيات حركت حفيظة الدوائر الصهيونية العليا بما اتخذته من التدابير فان هذه الدوائر تخشى المهاجرة الى فلسطين وقد قررت اللجنة انشاء جمهورية يهودية مستقلة استقلالا اداريا وستخصص للجمهورية الجديدة ارض في حكومة خرسون تكفي لاقامة ٢٥٠٠٠ اسرة اسرائيلية .

العراق : — كان مفتتح سنة ١٩٢٦ شؤماً على العراق ففي ١٣ يناير أبرمت الوثيقة الجديدة التي مدّد بموجبها الانتداب البريطاني للعراق مدة خمس وعشرين سنة وذلك بناء على حل جمعية الامم للخلاف الطارىء بين تلك البلاد وتركيا .

وفي المادة الاولى من هذه الوثيقة فقرة تمكن من الغاء المعاهدة اذا أصبح العراق عضواً في جمعية الامم . وكأن بريطانيا ترغب لاستمالة العالم العربي اليها في تعجيل هذا الحل فقد جاء في التقرير الذي قدمته في سنة ١٩٢٦ عن ادارة العراق ما يأتي :

« ان حكومة العراق المشيدة على قاعدة قانون التنظيم برهنت في ثمانية عشر شهراً قضتها في العمل الجدي عن مقدرة حقيقية في ادارة الشؤون وقد اظهر أول برلمان عراقي أن الموضوعات التي بسطت لديه سويت على ما يلائم مصالح البلاد وعلى مايقضي به عليها الوجدان . وبعدهذا الاختبار المقنع اصبح العراق قادرا على الانتظام في سلك جمعية الامم . ويتسع نطاق التجارة في العراق شيئاً فشيئاً . »

ويقال ان جلالة الملك فيصل نزيل لندن الآن يبتغي أن يتنازل عن هذه الحق . ولماذا ذلك ؟

ولم يبق في العراق الا فصيلة من المشاة الهنود . فان الجيوش البريطانية

برحت العراق في شهر مارس سنة ١٩٢٧ وأنجز الجيش الوطني معدات تنظيمه وقدوقعت حادثة تستوقف الانظار في هذا الصدد فان حكومة العراق لم تشأ أن يكون على رأس الجيش الوطني مفتش عام أجنبي فقبلت استقالة الماجور جنرال دالي في شهر يوليو سنة ١٩٢٧ وان بريطانيا العظمى بعد ما أصرت على بقاء مفتش الجيش العام البريطاني في مصر لم تصر على بقاء مفتش عام بريطاني في بغداد . ان في هذا الامر اسراراً سياسية غامضة .

وثمت مسألة خطيرة لم تنجل لنا بعد وهي هل بقي الموظفون السياسيون ومعاونوهم والمندوب الملكي في البلاد أم برحوها ؟ سنعرف ذلك فيما بعد :

وكيفما كان الامر فالعراق سائر الى استعادة قسم من استقلاله فياليت هذه الدولة تدري كيف تتوسل باتخاذ التدابير اللازمة لاستمالة العنصرين التركي والكردي المقيمين في ممتلكاتها وعقد معاهدات مع البلدان العربية الاخرى وجيرانها فانها لا تستطيع وحدها أن ترد هجمات الغزاة .

تركيا : — هي أول حكومة دكتاتورية في العالم انبثقت من الحرب وهي تواصل بلا انقطاع ولا تبرم عمل التجديد الوطني وانهاض بلادها من عثارها . وقد كان تأثيرها في قومها شديداً بحيث ان الترك صاروا يميلون في الوقت الحاضر الى مزاولة جميع الاعمال التي كانوا في الماضي يتركون مزاولتها « للرعية » وهم الآن يعملون على مناظرة الاجانب في التجارة والصناعة وقد أمكنهم أن يستغنوا عن كثيرين من كبار التجار والصناع الاجانب فهجر هؤلاء الاستانة وذهبوا الى غيرها للعمل . أجل أن ثغري الاستانة وازمير فقدا كثيراً من منزلتهما التجارية ولكنهما لا يلبثان أن يعودا الى النشاط شيئاً فشيئاً .

تقف الآن تركيا موقف المتأمل في ما يجري حولها وتنتظر ما يخبئه لها المستقبل وقد أوصدت أبوابها في وجوه الاجانب ولم ترخص بالاقامة في بلادها الا للبلغار ليشتغلوا في التجارة ويعنوا بشؤون الصناعة (يونيو ١٩٢٦) وهي تأمن جانب جارتها هذه وقد كانت حليفتها في سنة ١٩١٤ ولها جرّ مغنم من بقائها على الحياد ومناصرتها لها .

ويفهم رئيس الجمهورية التركية كنه الحقائق فهماً مقروناً بالحنكة والدهاء فانه لما شعر بان الخطر يهدده من كل جانب عقد وثائق مع جيرانه تقضي

بامتناع كل منهم عن الاعتداء على غيره وبتكاتفه معه اتقاء لما قد يطرأ من الحوادث في المستقبل واليك اهم الوثائق المعقودة :

مايو ١٩٢٦ — معاهدة حياد لخمس سنوات مع ايران

سبتمبر ١٩٢٦ — مشروع معاهدة مع روسيا تماثل المعاهدة السابقة

اكتوبر ١٩٢٦ — معاهدة وداد ودفاع متبادل مع الصين

اكتوبر ١٩٢٦ — معاهدة تجارية واقامة في البلادين المتعاقدتين مع المانيا

نوفمبر ١٩٢٦ — محالفة مع روسيا (أودسا)

يوليو ١٩٢٧ — مفاوضة مع يوغوسلافيا لعقد اتفاق عسكري

على ان جميع هذه المعاهدات لا يراد من ورائها التهجم والاعتداء بل يراد بها الدفاع عن الوطن والمحافظة على كيانه . وهل يسع أحداً أن يحيل عليهم باللائمة ؟ وقد كانت مسألة الموصل درساً شاقاً للترك الذين فقدوا كل ثقة بجمعية الامم (١) ومديري شؤونها ولا تستطيع أن تغضي الطرف على مقاصد ايطاليا وتهمل اتخاذ الاحتياطات اللازمة وان توزيع السلاح على القبائل الكردية عند الحدود التركية الايرانية وتحريضها على الثورة بواسطة العمال البريطانيين رجاء أن يحدث تباعد بين تركيا وايران جعلا الترك متحفظين كل التحفظ (سبتمبر ١٩٢٧) .

---

(١) ونشرت جريدة « مليت » — وهي صحيفة شبه رسمية — مقالة بتوقيع محمود بك نائب سيرا جاء فيها ان تركيا قررت أن تبقى بعيدة عن جمعية الامم حباً بتعزيز مصلحة الوطن . واليك خلاصة المقالة :

« ان تركيا من أنصار جمعية أمم عامة يتمتع جميع أعضائها بحقوق متساوية أما جمعية الامم الحالية فليست سوى آلة في أيدي بعض الامم الكبرى ولا سيما بريطانيا العظمى وهذا الامر ظاهر كالشمس في رائعة النهار من قرارات كثيرة وضعتها جمعية جنيف وهذا هو السبب الذي من أجله تأبى الولايات المتحدة الاميركية الانتظام في سلكها . واذا لم تدخل فيها الولايات المتحدة وروسيا وتركيا تعذر عليها أن تعمل لالقاء السلام في العالم وهو ضالتها المنشودة وكل يدري انها عجزت عن أن تدرك غاية محسوسة فى قضية نزع السلاح .

وقد أظهرت جمعيـة الامم للشعوب انه لاينبغي أن يعتمد على ما تلهمه العواطف الانسانية ولا على الأنظمة السلمية بل على القوة . »

وقد شاء مصطفى كمال أن يتأكد مساندة أحلافه له مساندة جدية عند التهجم عليه وأن يدعو شعوب الشرق جميعها الى التألب حوله وهو يفاوض حكومة ايران في انشاء سكة حديد تمتد من طرابزون الى طهران ثم تتصل ببلاد الافغان وسيكون هذا الخط الحديدي حربياً وتجارياً معاً .

ويحسن بنا أن نقول ان ايطاليا تطمع في انشاء علاقات وثيقة بينها وبين تركيا وهي تؤكد انه لا يكون أقل خطر من مهاجرة الايطاليين الى بر الاناضول وان لها على ذلك شواهد عديدة في البرازيل والارجنتين والولايات المتحدة وتونس ومصر . ومعلوم ان الايطاليين المعروفين بالقناعة والنشاط يحملون معهم الى البلدان التي يؤمونها عنصراً قيما يجلب لها الثروة . واذا كانت الولايات المتحدة تقيم العقبات في وجه الذين ينتجعونها فليس الامر كذلك في غيرها من البلدان وقد ظهرت نتائج المهاجرة الايطالية في المدة الاخيرة في الارجنتين (١) كما ظهرت أيضاً في تونس وكما ستظهر قريباً في جنوب فرنسا : وقد اتخذت الولايات المتحدة بعض التدابير بشأن طلب المهاجرين الايطاليين التجنس بالجنسية الايطالية ولم يخف ان الايطاليين الفاشستي يقسمون على أن يكونوا مخلصين للولايات المتحدة ولكنهم يشترطون في ذلك أن يكون هذا الاخلاص خاضعاً لاخلاصهم لحكومة رومية . وحيث لم يكن للجمعية الفاشستية في الولايات المتحدة من غاية الا خدمة ايطاليا . وحيث كانت لا تعلق الا أهمية

---

(١) بيونس آيرس في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٧ — توالي صحيفة « لابنسا » حملتها على سياسة المهاجرة الايطالية وقد وقعت حادثة في ريو دي جانيرو في مؤتمر اقترح فيه المندوبون الايطاليون وضع المهاجرة تحت مراقبة لجنة خاصة فعارضهم مندوب أرجنتيني فرفع السفير الايطالي الامر الى وزير الخارجية وهذا أنحى باللوم على المندوب الارجنتيني على موقفه حيال هذه القضية . وكان بعد ذلك أن نشرت جريدة « لابنسا » كل ما دار من المكاتبات حول شكوى السفير الايطالي فأثارت الخواطر في البلاد .

وقالت جريدة « لابنسا » في مقالة افتتاحية : « ان ما يبديه السفير الايطالي من النشاط في قضية المهاجرة أصبح أمراً لا يطاق فعلى رئيس الجمهورية اجراء ما يلزم في هذا الصدد » .

ثانوية بالمصالح الاميركية رأت حكومة الولايات المتحدة أن تحرم أعضاء هذه الجمعية حقوق الجنسية الاميركية .

وليس مصطفى كمال بمغفل فيذهل عن المبدأ المأثور : « دعهم يأخذون قدم أرض عندك فلا يلبثون أن يأخذوا أربع أقدام » . وينوي الغازي أن يستثمر احشاء تربة بلاده ويحاذر أن يدع الاموال الاجنبية تستعبد مشروعاته وسبق لنا القول ان البلاد العربية تسير على منهاج السياسة عينها .

وفي أنحاء الموصل الشمالية الباقية في يد الترك أراض غنيـة بالبترول وقد عمدت الدول ومن جملتها ايطاليا الى التوسل لنيل الامتياز باستغلال هـذه الاراضي . ومن الراجح ان تركيا ستتحذر جد التحذر من الحبائل التي ينصبونها لها وانها تؤثر البقاء صاحبة السيادة المطلقة في بلادها والمسيطرة على ثروتها الطبيعية

ان الجمهورية التركية مع ما جاهرت به من المبادىء العلمانيـة لا تزال تهتم بشؤون المسلمين وقد جاهرت بذلك في مؤتمر مكة ويظهر ذلك للمتأمل الذي يتتبع سياسة تركيا بالتفصيل في البلقان حيث يؤلف المسلمون جمعيات مسموعة الكلمة ومع ذلك لا تحول هذه الامور دون علاقاتها المتواصلة بالبوذية .

ونقول بالايجاز وقد ذكرنا ذلك في مؤلفاتنا السابقة ان تركيا تحول أنظارها الآن الى آسيا مع بقائها سائرة على الانظمة والعادات والطرائق الغربية . فهل من أحد يلومها على ذلك ؟

ونورد الآن مقالة نشرت باسم مستعار «رينه دابرياس» لاحد كبار الاستعماريين في ٧ اوغسطس سنة ١٩٢٦ في « جريدة الاستعماريين والجيش الاستعماري المتحدين » بعنوان « الصداقة الفرنسوية التركية » وفيها تأييد لما ذكرناه قبلا .

« ان الذين يعرفون الشرق الادنى بلغ منهم الاضطراب والتأثر لما قرأوا في الجرائد التصريحات التي فاه بها سفيرنا في انقره (المسيو البير سارو) عند رجوعه الى فرنسا .

ليس من وجه للتعجب مما يفعله ممثلنا وهو قبل كل شيء رجل سياسي ولكن كيفما كان الامر يجب أن ننتبه فلنذكر أول اتفاق عقد بيننا وبين انقره وهو اتفاق شؤم عقده رجل شؤم (المسيو فرنكلين بويون) وبناه على الشؤم

فلا ندع الاوهام تستهوينا تلك الاوهام التي تعيد ذكرى الماضي وتلمح تلميحاً معنويا الى المستقبل .

ان سفيرنا لا يعرف الترك معرفة حقيقية فانهم يخدعونه بما يبدونه من اللطف كما خدعوا سلفه وكما يخدعون جميع الناس . فالسياسة تخضع ككل شيء لمنطق لا تلين مجسته ونخشى أن يجر هذا المنطق الى حوادث وخيمة التبعة في شرقي البحر الرومي فتكون حوادث مفعمة خطراً وخالية من المجد والكسب فالاتفاق الذي أبرم في أنقره والفكرة التي أوحته والصداقة التي اقتضت منح امتيازات كثيرة لاستمالة الرأي العام التركي كل ذلك وهمي ولا يمكن أن يكون غير وهمي . فهو ينطوي على الخداع والسخط والرغبة في الانتقام فلننذر الغرور جانباً ولا نجري في تركيا وراء ضالة منشودة لن ندركها أبد الدهر ما دام في الامر احتكاك بسبب المسؤولية الملقاة علينا في المسألة السورية . فانا في عملنا هذا نسعى وراء المحال كما كان يفعل المسيو دي جوفنل في بيروت فانه كان يهيىء المواد لتشييد صرح يصعب تشييده في الاحوال الحاضرة . ويدري العاقل أن معالجة هذه الأمور تدعو الى حوادث مفجعة وتطوح بفرنسا الى المتالف .

ان الذين يتتبعون وهم في انحاء سورية الشمالية مجرى السياسة التركية فيها والخطة التي تسير عليها في الوقت الحاضر يعلمون أننا مستهدفون لنبال الحوادث الاليمة المفاجئة . فأصبحت فرنسا آلة يتصرف بها على هواهم رجال السياسة في أنقره بعد ما رأوا ما رأوه من الامتيازات التي نتخلى لهم عنها والاميال السلمية التي تحرك افكارنا فياليتنا نقف عند هذا الحد .

يستغل مصطفى كمال الحالة الحاضرة استغلالا يدل على دهائه فهو وانصاره يدرون ما يريدون أن يصيبوه منا ونحن على ما نحن عليه من نبالة المقاصد وعواطف الانسانية وما ينوون أن يفعلوه من وراء سياستهم التي نعضدها من دون أن ننظر الى العواقب

ولا بد لنا من أن ننتظر أن الترك يعودون الى طلب تصحيح الحدود بين سورية وتركيا كما فعلوا بعد سيفر وأنقره ولوزان فان تركيا لم توافق قط على احتلال الدول الاوربية للبلاد التي فوض اليها أمر الانتداب لها وأنكرت المصور (الخريطة) التي رسمت لها بعد تقرير هذا الانتداب ولم تتخل عن حدودها القديمة

وهي تعمل للحصول عليه بقطعها مرحلة بعد مرحلة وقد قرر مدبرو شؤونها أن تكون غاية المرحلة الاولى نهر العاصي .

وقد اصبح برنامج حكومة أنقره في الشرق محصوراً بكلمة واحدة وهي «تركيا في العاصي» وهي تعمل على تحقيقه بأخذها من سورية مايمكنها أخذه بدون تحرج ولاتأثم . وان نحن توهمنا انها تقنع بماتمنحها اياه كل مرة كنامنخدعين فانماتناله كل مرة يسكن حدة مطامعها موقتاً ولكن لايطفئه ابداً . فبالامس تخلينا لها عن عين تاب وكليس واليوم عن باياس وغداً يأتي دور انطاكية وسنرى ما يكون فيما بعد

ونخلط الاماني بالحقائق في ميلنا الى السلم ونشبه النعامة التي تخبىء رأسها لتنجو من مطاردة الصياد

وليست عواطف الصداقة التركية نحونا الا كالبرق الخلب والاوهام البراقة وأضغاث الاحلام وليس اتفاق انقره الجديد الا صورة حقيقية عن السياسة التي تتحداها ولا يسهل ازالة الويلات التي وقعت قبلا فالحوادث التي تحاول أن تجعلنا ننساها وقعت وأصبح بينها وبين الحوادث التي تحاول محوها من التاريخ وهدة عظيمة .

فان بوزنطي وأورفا ومرعش وعين تاب وبهندور وحاجيلار وغيرها تدل جميعها على حوادث حقيقية ولم تنقطع الصلات التي تربطها بالحوادث الحالية في سورية . فلنتجنب التزوير في التاريخ لان الستار لم يلق بعد على آخر فصل من رواية تركيا مصطفى كمال (١) »

رينه دابرياس

ايران : — أو بلاد فارس مملكة من أقدم الممالك المعروفة وقد طرأت عليها تقلبات متعددة وحدث مرات كثيرة انها توهمت انها معرضة لفقدان استقلالها

---

(١) اجتمعت بالمسيو هنري دي جوفنل في ١٢ نوفمبر في سنة ١٩٢٥ في باريس فحذرت مفوضنا الجديد في سورية من التسامح باعطاء الترك أراضي جديدة من سورية كان حفظها منوطاً بنا على ماقررته جمعية الامم في صك الانتداب والا فاننا نستهدف لمسؤلية كبيرة في المستقبل . فهل يبقى من سبيل لان نرجع الى سورية ما نكون قد وهبناه بلا مسوغ شرعي . فلم يعمل المسيو دي جوفنل برأيي واتفق مع المسيو البير سارو على منح الترك أراضي جديدة .

وكان ذلك للمرة الاخيرة من أربعين سنة الا أن أحوالاً سعيدة مقرونة بوطنية صادقة ساعدت هذه البلاد على الخروج من المأزق الذي تورطت فيه فهي مع فتح أبوابها في وجه جميع الاكتشافات والاختراعات شديدة الحرص على المحافظة على حريتها واستقلالها وقد ألغت أخيراً امتيازات الاجانب فيها ولم يستطع أحد أن يمنعها عن ذلك .

وحيث كانت محصورة بين الهند الانكليزية والبصرة رأت أن تهتم بأمر سلامتها فعقدت معاهدة مع تركيا وأفغانستان وروسيا . وحيث كانت تأبى أن تكون خاضعة من الجهة الاقتصادية لاحكام سكك الحديد وطرق الانهار البريطانية المنشأة والمقرر انشاؤها صممت على قبول مشروع سكة حديد تمتد من طهران الى طرابزون وسيكون هذا العمل صدمة شديدة لسيادة بريطانيا التجارية . ومعلوم أيضاً ان ألمانيا أنشأت لها مركزاً قوياً في ايران ولا سيما من جهة الطيران

وحيث كانت مقيدة لمدة سنوات بشركة البترول الانكليزية الفارسية لاستثمار قسم من بترولها عمدت الى استثمار آبار جديدة للبترول في مناطق جديدة والتنقيب عن معادن ثمينة في جبالها .

وان ايران المعدودة من دول جمعية الامم لا تميل كثيراً الى المنهاج الذي تسير عليه ادارة هذه الجمعية . ففي شهر مايو سنة ١٩٢٦ قدم الامير عرفه مندوب ايران الاول الى سكرتير الجمعية العام بياناً فيما بسط فيه احتجاجات الدول الصغيرة التي قدمت في دورة انعقاد سبتمبر سنة ١٩٢٧ ويتضمن هذا البيان اعتبارات خطيرة واليك خلاصته :

الى حضرة السكرتير العام

حيث كان مجلس جمعية الامم قد أنشأ لجنة تعنى بدرس المسائل المراد بها تأليف المجلس وعدد أعضائه وشكل انتخابهم أقدم لكم بالايجاز نظرية الوفد الايراني في هذا الصدد مع التعليمات التي انتهت الي من حكومتي بهذا الشأن .

وعندي انه لو كانت الجمعية قد جرت من بداية تأسيسها على طريقة التبادل لما كانت المصاعب الحالية قد طرأت فليس الخطأ واقعاً على أعضاء الجمعية غير الدائمين لسعيهم وراء تثبيت مركزهم والبقاء فيه الى ما شاء الله لحين يبقى الانسان خمس سنين أو ست سنين في مركز تطمح اليه نفسه يتعوده ويشق عليه

الانفصال عنه وعلاوة على ذلك يجب أن نعلم ما هو السبب الذي من أجله نرى ان جميع أعضاء الجمعية على التقريب يسعون لنيل مركز في المجلس . وأظن — اذا لم أكن منخدعاً — ان السبب في ذلك هو ان السلطة ليست متساوية بين الجمعية والمجلس . وقد يشعر المرء في بعض الاحيان انه يريد أن يجعلها تذعن لارادته ونرى من جهة أخرى ان المجلس لا يعتد بالجمعية ولا يطلعها على مباحثاته ففي الاجتماع الاخير الذي عقد فوق العادة انقضت أيام ونحن لم نعرف شيئاً مما كانوا يتناقشون فيه في جلسات المجلس الخاصة ولم ندر شيئاً مما يجب علينا أن نوقف حكوماتنا على كنهه وقال لي فريق من زملائي انهم ينوون اقامة النكير على مثل ذلك الامر واعتقد ان من واجب كلٍّ منا ومن مصلحة جمعية الامم نفسها ألا نكتم شيئاً عن اللجنة وألا نطرح شيئاً من نظرياتها بكل تجرد .

وفي أثناء انعقاد الجمعية في المرة الاخيرة سمعتهم يقولون غير مرة : أفلا يكون أفضل أن يحافظ على الحالة الحاضرة في ما يتعلق بتأليف المجلس وأن يسار على خطة التبادل أي أن يعين في كل سنة في المجلس ستة أعضاء غير دائمين تبعاً لموقع بلادهم الجغرافي وجنسهم وموقفهم التجاري ومدنية أعضاء جمعية الامم وأن يستبدل بهم غيرهم في السنة التالية . فاذا جرت الحال على هذا المنوال انتفت المناظرة وبات الجميع راضين . واذا زيد عدد الكراسي الحالية كرسياً أو كرسيين في هذه السنة قدم في السنة القادمة طلبات جديدة وظل الباب مفتوحاً في وجه الطالبين .

واتشرف في ختام تقريري المجرد عن كل غرض بان اطلعكم على ماتلقيته من التعليمات من حكومتي فان ايران لاتعارض أبداً دخول المانيا في جمعية الامم وتخصيص كرسي دائم لها في المجلس ولكن اذا منحت دولة أخرى غير المانيا كرسياً دائماً طلبت ايران كرسياً لها وأملت من مجلس الجمعية أن يجيب طلبها العادل فان ايران الوطن القومي للجنس الآري وقد أدت خدماً جليلة للمدنية وان موقعها الجغرافي في وسط آسيا ومساحتها البالغة مليوناً وست مئة الف كيلومتر مربع وحضارتها القديمة وفنونها وآدابها تخولها الحق بأن يكون لها كرسي في المجلس الى جانب غيرها من البلدان المحترمة . وايران هي البلاد الاسلامية الوحيدة

التي تمثل في جمعية الامم أربع مئة مليون مسلم منتشرين فى جهات العالم الاربع .

وتقوم ايران باعباء مايطلب منها نحو جمعية الامم من انشاء هذه الجمعية ولها ما عدا ذلك الفضل فى المحافظة على المادة العاشرة من عهد جمعية الامم باقتراعها السلبي لاعتبارها هذه المادة أساساً جوهرياً للجمعية . »

وعقدت ايران في المدة الاخيرة خمس معـاهدات واتفاقات مع حكومة السوفيات منها معاهـدة الحياد عند حدوث حرب بين أحد المتعاقدين وبلاد أجنبية . وعهد متبادل على تجنب أحدهما مقاتلة الآخر واتفاق تجاري .

وحدث أخيراً أن الاميركيين الموظفين في وزارة المالية في طهران برحوا هذه المدينة واستبدل بهم المانا وسويسريين . وقد اصبح المدير والمفتش الاكبر المانيين وناظر الخزانة العام سويسريا وسيستبدل بكثيرين من الاميركيين الموظفين في الوزارات الاخرى غيرهم .

افغانستان — وحيث كان موقع هذه البلاد مماثلا لموقع ايران شعرت باحتياجها الى موالاة جيرانها والمحافظة على كيانها الوطني . فلايستغويها حب العظمة والمجد وهي ترحب بجميع الاكتشافات الحديثة ولـكن الاختبار جعلها كثيرة التحذر من صداقة الدول الـكبيرة وعطفها عليها . وحيث كانت بلاداً اسلامية عدت نفسها كجسم واحد مع البلدان العربية وبادرت الى ارسال وفد كبير لحضور مؤتمر مكة

الهند : — هي بلاد الاسرار وقد كانت شبه جزيرة الهند تخصنا في مامضى وفيها تنبض الآن حركات تذهب عنا حقيقتها . وكل ما تنشره الصحف عندنا يعزى الى خلافات شاجرة بين المسلمين والهندوس وكثيراً ما يثير هذه الخلافات حكام لهم مآرب في القاء بذور الشقاق بين سكان تلك البلاد وليس ذلك كله إلا حوادث محلية . على أن أكثرية القوم يحركهم غلاة الوطنية الذين يرغبون في أن يروا بريطانيا العظمى تتصرف بين ظهرانيهم بغير ما تتصرف به مع رعاياها وهم لا يثبطهم شيء عن المجاهرة بالعصيان حين يرون الفرصة ملائمة لذلك . فأن غاندي ماض في عمله ويزداد خذله للحكومة ويؤلف المسلمون البالغ عددهم مئة مليون قوة هائلة لا يستطيع شيء التصدي لها . فالهند تكاد تكون مستعدة للتحرر النهائي . وقد يستطيع البريطانيون ان يتجنبوا وقوع هذا الخطب الجلل بالاسراف في الـكرم ومكارم الاخلاق والتقليل من مباهاتهم الجنسية والاكثار

من المرونة السياسية . فهل ادركوا ذلك ؟ تدلّ قرائن الاحوال انهم يعملون للوصول الى هذه الغاية .

الهند الهولندية : — اشتد الاضطراب في هذه المستعمرة الهولندية في فصل الصيف الماضي ولكن أخمدت نائرة الفتنة ويقال ان للسوفيات يداً في ذلك الهياج وقد بث عمال موسكو مبادئهم بين السكان .

فلنبد رأينا في هذه المستعمرات وفي غيرها من الاقاليم : ان للحكومة السوفيات أغراضاً تقصد من ورائها تفكيك أوصال العالم ولا تعتريها سنة ولا نوم لنيل مبتغاها وذلك مقرر في برنامجها الا ان الشعوب الاسوية والافريقية لا تنتحل أبداً مذهب البلشفيك وان تكن تستقبل بالترحيب اقتراح السوفيات وذلك لانها تشعر بنفور من هذا المذهب وان ما يقربهم منه هو انكارهم للاستعمار وتوثبهم لمناهضته وميلهم الطبيعي الى الحرية فعلى الشعوب الغربية أن تتحفهم بطرق الاصلاح اللازمة وتحسين أحوالهم تحسيناً يفسد أعمال المحرضين . وينبغي للشعوب المستعمرة أن تنتبه وتنظر الى الموقف الحالي والحالة النفسية الحاضرة وتعمل المقتضى . ولا فائدة من القاء التبعة على الجيران فان امعان الانسان في الفحص عن هفواته الشخصية أكبر مصلح لها .

سيام : — رأينا سيام ترسل مندوباً من لدنها الى مؤتمر ناغازاكي فماذا تأمل هذه البلاد التي يتولى شؤونها حكام عقلاء ولها جيش من الابطال وهي ترحب بكل ما من ورائه فائدة ؟

ولكي يفهم الانسان حقيقة هذه البلاد يجب أن ينظر الى الماضي فانها لم يطرأ عليها الا خلاف قصير المدة وان يكن شديداً مع فرنسا جارتها في الهند الصينية . فانها كانت قد غزت الكمبودج واللاوس وعبرت نهر الميكونغ واحتلت بعض الجهات في انام ولكنها أجبرت على اخلاء كل ما احتلته ومن ذلك الحين صارت علاقاتنا بها ودية وقد برهنت في سنة ١٩١٤ عن صداقة ثابتة لنا وحسن جوار .

أما بريطانيا العظمى فانها لم تحسن التصرف من هذه الجهة فقد احتلت ولايات برمتها في شبه جزيرة ملقا وذلك لانها كانت تبتغي هذا الامر ولكن مثل هذا الحادث لاتنسج عليه عناكب النسيان .

وعليه فينبغي لسيام أن تحاذر جارتها الشديدة البأس التي أظهرت جشعاً فاحشاً في مثل تلك الاحوال كما كانت قد فعلت من سنين في برمانيا ورأت سيام أن تحتاط لنفسها خوفاً من تهجم جديد عليها قد لاتأمن عاقبته . فان جمعية أمم آسوية دون سواها تستطيع أن تضع حدا لتلك المطامع المتجاوزة الحد وتساعد على استرجاع ما اغتصب بطريق الاكراه .

وقد كان المحرك الوحيد لعمل سيام هذا غريزة المحافظة على كيانها .

الصين : — لاحاجة لنا الى تكرار ما بسطناه في الفصل الاول من هذا الكتاب فان الصين كيفما كانت الحركات الداخلية التي تتخبط فيها تتحول بسرعة وسترجع قريباً الى تقاليد الجدود التي تقدر من دون غيرها ان تعيد اليها السكينة والوحدة أي اسناد الاحكام فيها الى امبراطور . فليس لصاحب موكدن أولغيره من القواد الذين تردد الصحف أسماءهم المقدرة والسلطة الكافيتان للقيام بهذه المهمة فقد سودوا صحيفتهم بعلاقاتهم بالدول الاجنبية ولا يليق الجلوس على العرش الا لسليل سلالة وطنية امبراطورية صينية .

وريثما يتم للصين ذلك فهي تظل مثابرة على التسلح واسترداد ما فقدته من الحرية في أعمالها مع عقد المعاهدات مع جيرانها .

ومن أهم الحوادث حادثة يونان السياسية التي وقعت في شهر يونيو وفاز فيها الجنرال هوجويو أحد زعماء الوطنيين في كنتون وليس لفرنسا جارة هذه الولاية الواسعة التي تتصل بها بلوكاي وسكة الحديد ماتخشاه في الوقت الحاضر . وانما وجهت الصين نظرها الى بريطانيا العظمى من جهة برمانيا لانها لم تر بعين الرضى احتلال البريطانيين لتلك البلاد وكانوا قد قرروا أن يضربوا الضربة القاضية في الصيف الماضي بمساعدة التيبت والجيوش المغولية ولكنهم أرجأوا ذلك الى فرصة أخرى لان المعدات اللازمة لم تتوفر لديهم جميعها .

وفي بلاد يونان والولايات الاخرى التي في غربي الصين مسلمون كثيرون يرصدون الحركات الدائرة في مكة والعالم العربي

اليابان: — ان هذه الامة النشيطة طمعت بالتسلط على آسيا جمعاء بالاستناد الى محالفتها لبريطانيا العظمى الا أن أمانيها خابت بدسائس الدول العظمى اللواتي

نبذنها بسبب لونهـا فلم تستطع اغضاء الجفن على القـذى وباتت تنتظر الساعة لتترأس عند مسيس الحاجة الحركة الآسوية . ويجب على الانسان أن يعرف الشرق الاقصى حق المعرفة ويدرك عقلية شعوبه المختلفة ودهاء رجال سياسته وكبراء القوم فيه ليتسنى له أن يعرف كنه افكار زعمائه ويصبح عنده نوع من التكهن . فالياباني الذي مرت عليه أدوار التحول موصوف بعلو الهمة والاقدام وهو لايطوي الكشح على الاذى ولايرضى بان يتجرع الغصص وان يك ذلك في السر لأنه أنوف عزيز النفس . والياباني تاجر شديد التيقظ وقد وسع نطاق صناعته وأصبح صاحب المنزلة الأولى في تجارة المحيط الهادىء . فان هو تمكن من اقناع الصينيين بحرج موقفهم الدولي وان هو افهمهم بانهم يمكنهم أن يعولوا عليه في المستقبل فحينئذ لاتلقى الدول العظمى بدأ من ترك تلك البلدان .

روسيا : — أصبحت روسيا السوفياتية دولة آسوية كبيرة ولها في تلك القارة أعمال خطيرة متواصلة ولسنا الآن في مقام البحث فى الطريقة البلشفية التي لايخشى أبدا من ارسال وشائجها في افئدة الناس في البلدان القوية كفرنسا مثلا حيث الارض موزعة على السواد الاعظم من السكان أو آسيا لمخالفة هذه الطريقة لنظام الاسرة والاحوال الادارية والسياسية والدينية عنـد المسلمين والبوذيين والبرهميين .

ولايخفى أن قوة روسيا الحمراء تستند الى المبدأ الذي تبثه وهو حماية الشعوب الضعيفة من الاستعمار الغربي وقد يكون أن زعماءها لايرمون في عملهم هذا الا الى تقويض أركان الهيئة الاجتماعية الحالية وقد اشهروا عليها حرباً عوانا . وقد يترجح أن الطريقة التي جرت عليها البلشفية مع البلدان الآسوية كانت مؤاتية لما تشعر به هذه البلدان من القلق ومما يثبت هذه النظرية تألبها جميعها حول روسيا وعقدها معها المحالفات

وكانت الغاية التي ترمي اليها روسيا من وراء محالفتها لالمانيا تفكيك أوصال العالم المتمدن وقد عللت حكومة الريخ بأخذ الثأر من اعدائها وزينت لها امكان حدوث ذلك بسهولة . وكانت تنال في مقابل ذلك سلاحاً تجهز به البلدان الآسوية . وأصبحت آمنة السرب من جارتها التي عاهدتها على الحياد التام . أجل ان بريطانيا العظمى تستطيع أن تعالنها بالعداء والتهديد ولـكن اين وكيف يتسنى لها ذلك ؟

الفصل الرابع

سورية ولبنان

(من مايو الى دسمبر ١٩٢٦)

ليس صحيحاً ان جميع الناس في سورية ولبنان راضون عن السلطة الفرنسوية بالرغم من الصمت الذي عقب ما كان يذيعه المسيو دي جوفنل في خلال اقامته في الشرق من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٥ الى شهر يونيو سنة ١٩٢٦ .

وقبل أن نبسط الحوادث الكثيرة التي وقعت من شهر يونيو سنة ١٩٢٦ الى أيامنا هذه نرى أن نبسط للقراء تصريحات بعض كبار القوم لاظهار حقيقة الحالة النفسية العامة السائدة في تلك البلاد .

اقترح المسيو دي جوفنل في ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٦ على زملائه في المأدبة الشهرية التي تأدبها نقابة الصحافة اللاتينية أن يعقدوا أحد مؤتمراتهم المستقبلة في دمشق مركز مسير التمدن اللاتيني نحو الشرق في الديار السورية وفيها تنتج المواد الاولية للمنسوجات المحتاجة اليها فرنسا . وأذاع خبر تقرير السلام في البلاد التي سيتسع من الآن فصاعداً نطاق اليسر والاقبال فيها .

وكان هذا المندوب السامي يتكلم عن الطيران في ذلك العهد مبيناً أهمية مركز سورية كقاعدة جوهرية لخطوط الجو الدولية الكبيرة المتجهة نحو آسيا (بيروت سايغون . وبيروت دكر) .

ولما أدبت مأدبة ختام المباراة الزراعية الاقليمية في مايانس في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٦ قال المسيو دي جوفنل وكان باقياً في منصبه كمندوب سام في الشرق :

« حين يفهمون ان سورية ولبنان أقليمان متممان لفرنسا وانه اذا كانت ثروتنا متقلقلة لافتقارنا الى المواد الاولية اللازمة لصناعة المنسوجات وحين لا يجدون لهذه الصناعة في سورية الصوف والحرير فقط وهما يستغلان

منها الآن بل أراضي واسعة يزدع فيها القطن لفرنسا تضمن ثروتنا وثروة لبنان وسورية وتوطد أركان الانتداب على قوة أقوى من القوة المسلحة وهي قوة المصلحة المشتركة » .

ونشرت جريدة الماتان في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٦ رسالة من مدير اللجنة الوطنية لمستشاري تجارة فرنسا الخارجية فنقتطف منها العبارات الآتية :

« قد نستطيع أن نجني من مستعمراتنا مقادير الدخان اللازمة من اللفائف الشرقية لجميع حوانيت الدخان في فرنسا . فالدخان من أكبر موارد الثروة في الجزائر وفي سورية ولبنان خصوصاً يستغلون أصنافاً من الدخان تفوق في جودتها جميع أصناف الدخان المعروفة . فماذا تنتظر شركة حصر الدخان لتوسيع نطاق صناعة اللفائف الشقراء في هذه المستعمرات . . . »

ونشر المسيو بيار لنايل أحد النواب السابقين ورئيس لجنة فرنسا ـ الشرق في جريدة « البارول فرنسيز » :

« نحن في سورية ونحن فيها من وقت طويل . . . وسنبقى فيها وهذا أمر مقرر على رغم من المسيو هوماي الذي لا يحب الجمعيات الدينيـة وعلى رغم من السنيور مسوليني الذي يرغب في أن ينتزع منا بعض أراضٍ على شواطىء البحر الابيض الرومي ولكن يجب أن نقول بكل صراحة في جنيف وباريس اننا لا نميل البتة أن ندع أحداً يحل محلنا .

وحيث كنا قد بينا أوجه المسائل بكل جلاء نقول انه يجب علينا أن نسير في سورية على سياسة الحزم والمثابرة وسياسة فرنسوية بنوع خاص ولو كان في هذا التصريح ما يسوء المحرضين .

ولا يخفى أن علاقاتنا القديمة بها وما جدنا به عليها من الخدم وتسوّد لغتنا ومعاهدنا فيها كان يجب بعد انتصارنا الاخير أن تجعلنا ننبذ ما قدموه لنا من الانتداب المحقر بحسب اقتراح المستر ولسن لبلاد فيها نفوذ فرنسوي تقليدي وليس هذا من أقل المواقف الغرارة التي نشأت في معاهدة فرسايل بالهام من روح كلفينوس مما نظمه الانكلوسكسونيون لسقوط فرنسا في الشرق . . .

لم تأت الساعة بعد لازالة حدود لبنان التي يعترف له بها التقليد الفرنسوي والتي نالها منا في سـنة ١٩٢٠ فان المدافعين عنه في البرلمان (لا يزال فيه من

يدافعون عن لبنان) يرون من واجبات شرفهم أن يردوا الضربات التي يوجهها اليهم أعداء السياسة الفرنسوية في الشرق . »

وعقدت جمعية العلوم الاستعمارية اجتماعاً في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦ في لجنة فرنسا — اميركا فأشار الجنرال ويغان الى ابقاء البلاد على تقسيمها الحالي الذي أنشأناه وتخويل المفوض السامي سلطة تكاد تكون مطلقة مع حقوق الاحتفاظ «Veto» وسن الدولة المنتدبة للقوانين الاساسية ثم قال :

« لوكانت هذه البلدان قادرة على تولي شؤونها بنفسها في اجتياز المراحل الطويلة في الطريق المقضي عليها السير عليه لما كانت قد وضعت تحت الوصاية التي يسمونها الانتداب . »

ونشرت جريدة الطان خلاصة الخطب التي القيت في هذا الاجتماع وقدضنوا علينا وعلي رئيسي الجمعية السورية العربية والجمعية اللبنانية في باريس بحضوره .

وأعلن المسيو بريان في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦ من على منبر مجلس النواب ما يأتي :

« ان فرنسا في سورية كما هي في المغرب الاقصى وقد يريد بعضهم أن تخلي هذين الاقليمين وقد يريدها أيضاً أن تنسحب من تونس وقد أثبتت في أثناء الحوادث الخطيرة انها تعرف كيف تضطلع باعباء واجباتها بعزيمة صادقة وانها لا تزال مرهوبة الجانب ولا ترضى بوجه من الوجوه أن ينتقصوا قوتها وسؤددها . (تصفيق حاد)

وقد استنفد ممثل فرنسا مجهوده لتحرير سورية ولكن ما ذا يكون يا ترى لو هجرت فرنسا هـذه البلاد المعتبرة هي فيها حكماً ترضي حكومته ولم تنهض بأثقال الانتداب لادارة شؤون أقوام مختلفة تأوي اليها ؟ »

٦ دسمبر سنة ١٩٢٦ : — نشرت الصحف في هذا التاريخ البلاغ الآتي :

« قرىء في الجلسة الاخيرة التي عقدتها غرفة تجارة ليون بحضور حاكم مقاطعة الرون مشروع رسالة موجهة الى وزير الخارجية فوافقوا عليه بالاجماع ثم وضع على بساط البحث وفيه احتجاج شديد اللهجة على امكان ترك الانتداب الفرنسوي لسورية وتذكير بما لفرنسا من الحقوق الثابتة فيها . ولما ألمّ هـذا المشروع بمسألة الحرير في ليون ذكر ان سورية تنتج في السنة ٣ ملايين كيلوغرام

من الفيالج يستخرج منها ما يزيد على ٢٥٠ ألف كيلو غرام من الحرير الذي تباع أصنافه الممتازة في أسواق ليون وألمع أيضاً الى نفوذنا الادبي والعقلي في سورية وختم بما يلي :

انه يكون اجحافاً بحقنا يا حضرة الوزير أن تستفيد دولة منتدبة غير فرنسا من هذه المنافسات وهذه الجهود وياليتنا نعلم انهذه الاراجيف ستكذّب وانه لا مسوّغ قانوني لما يشاع عن تخلينا عن انتدابنا .

ونعتقد ان الكلام الآن عن هـذا التخلي يكون خالياً من المعنى كما كانت الحال في سنة ١٩١٥ وقد لا نفهم كيف ينتقل عمل التمهيد للسلم الذي عالجناه من سنة ١٩١٩ الى غيرنا وقد أوشك أن ينتهي . فنحن في سورية من قرون فتركنا اياها على هـذه الصورة انكار للقضية التقليدية العزيزة لدينا وتعريض المصالح الخطيرة المختلفة للتلف . وقد تقوم قائمة وطنيينا المقيمين في الشرق على انسحابنا من تلك البلاد . »

وظهرت مقالة في « الجورنال » بتاريخ ٨ سبتمبر سـنة ١٩٢٦ بقلم المسيو هنري لوكاس يدور الكلام فيها على القطن والصوف وكان كثيراً ما يدس اسم سورية بين أسماء المستعمرات .

ويظهر مما تقدم بيانه ان كل الادلة تشير الى تأييد النظرية الاستعمارية كالحقوق الثابتة والبلاد المتممة والاستعمار والشعوب المختلفي الالوان وثمن خدمتنا وعجز البلاديين الخ فلا نفكر الا بأنفسنا وقد ذهلنا عن كون مصالحنا (حيث لا بد من الكلام عن المصالح في هـذا العصر) كان يجب أن تبعثنا على تعديل سياستنا لتكون هـذه المصالح ثابتة . ويوافق أن نفند في الحال هذه المزاعم وهي أساس عملنا وأن نقصي عنا هذه المزاعم الباطلة .

ان فرنسا دولة كبيرة اسلامية من دول البحر الابيض الرومي وتقضي عليها مصالحها السياسية والاقتصادية بأن يكون لها صلات وثيقة بالشرق وهذا هو السبب الذي من أجله كانت في جميع المفاوضـات التي دارت قبل الحرب وفي أثنائها وبعدها تحافظ على حقوقها المزعومة في سورية ولبنان ولم يخض أحد في مجال الكلام عن الحقوق القديمة من دون أن يفتكر بأن مملكة بيت المقدس كانت نتيجة فتح انتزعه منا العرب بعد مئة وخمسين سنة . فلا ينشأ حق عن

هـذا الامر . ولو كان الامر كذلك لـكانت انكلترا تطالب بما لها من الحق في فرنسا وقد احتلت بعض أقسامها في أثناء عدة قرون ولـكان لايطاليا الحق بأن تطالب ببلاد غاليا واسبانيا بالفرانش كونتاي والعرب بجنوب فرنسا حيث رسخت قدمهم .

وليست حماية المسيحيين سبباً كافياً لاحتلال البلاد . أجل ان فرنسا كانت حامية للمسيحيين ولـكن لفظة « حامية » يقصد بها معنى « الملاذ » واذا سلمنا جدلا بهذه القضية المبسوطة كان لنا حقوق الحماية على بلاد الصين جمعاء للسبب الآنف الذكر .

انه كان لنا والحق يقال في تلك البـلاد نفوذ أدبي عظيم بين المسيحيين والمسلمين على السواء ولـكننا فقدناه الآن . ولا يأوي الى هـذه البلاد أقوام مختلفة الالوان على ما يزعم المسيو بريان وليس فيها عشرون جنساً ومذاهب دينيـة لا تحصى على ما يقولون (١) فليس فيها الا جنس واحد وهو الجنس العربي وقد تألف مع تعاقب العصور من عناصر مختلفة كما هي الحال في فرنسا وفي غيرها من الدول الحديثة قبلما تألفت وحدتها الحالية ولكن بين المسيحيين طوائف عـديدة وطقوس مختلفة فبطاركتهم وأساقفتهم شـديدو الاعتصام بالامتيازات التي أصابوها بموجب العهود المقطوعة بين تركيا والدول الاوربية وبموجب البراءآت السلطانية التي نالوها على التوالي باجبار الدول العظمى للباب العالي على منحها . فاذا نزعنا هذه الامتيازات (سنرى فيما بعد طريقة نزعها) زالت بعض أنواع النفوذ المنكرة حتى يمكننا أن نقول ان بعض الزبائن الشديدي

---

(١) كتبت الجمعية السورية الفلسطينية في المذكرة التي قدمتها لجمعية الامم في اجتماعها السابع ما يأتي :

١ » — مزقت سورية جغرافياً تمزيقاً شوهها فقد اقتسم الفرنسويون والبريطانيون هذه البلاد فيما بينهم . ثم عاد الفرنسويون وسلخوا عنها جزءا في الشمال وارجعوه الى تركيا وأرجعوا اليها أيضاً جزءاً آخر في مفتتح هذه السنة .

٢ » — قسمت سورية الى ٥ دول انشئت على قاعدة المذاهب الدينية وجعلت السلطة الفرنسوية من كل طائفة دينية شعباً يتميز عن غيره لتزعم أن سورية « فسيفساء شعوب »

التمسك بنا يولوننا صفحهم معرضين عنا ولا يبقى معارضون في سبيل انشاء الوحدة السورية . وقد شهدت ما يقرب من هـذا الامر في مقاطعة فولي في التونكين حيث كان سلفي أوسع المجال في وجه المبشرين بدلا من أن يجبرهم على المحافظة على الحياد التام .

أما عجز لبنان وسورية عن تولي شؤونهما بنفسهما فانه خطأ فاضح فقد منح لبنان من سنة ١٨٦٠ نظاماً خاصاً دولياً فوض العمل به الى موظفين نهضوا باعباء مهمتهم أحسن نهوض في ادارة شؤون بلادهم . وكانت سورية ولاية تابعة للسلطنة العثمانية وقد قدمت للسلطنة وزراء اشتهروا بحسن الادارة والمقدرة السياسية وقدمت لها أيضاً أعضاء لمجلسي الشيوخ والنواب وولاة وموظفين كثيرين تقلدوا وظائف خطيرة في الادارة الملكية والادارة العسكرية وغير ذلك من فروع الادارة وابتدأت من سنة ١٩١٩ تنظم أحوالها واذا كان قد حدث في بدء الامر بعض حوادث تدل على الاضطراب فليس ذلك بالأمر العجيب فهذا طبيعي في كل بلاد حديثة العهد في الحرية أولم يحدث مثل ذلك في بولونيا وتشكوسلوفاكيا . أما مقـدرة الزعماء فان أمما كثيرة في أوربا تتمنى لو كان فيها أمثالهم :

وأقول أخيراً أنه ليس لثمن الخدم التي قدمناها لهم شأن في هذا الموضوع فان حروب سورية وكيليكية وحروب الانحاء الشمالية (مرعش عينتاب الخ) قد كلفتنا نحو عشرة مليارات انفقت بلا جدوى وذلك لما كنا نرتكبه من الخطأ في السير على منهاج سياستنا وقد كنا نستطيع بهذا المبلغ وبمعاونة أصدقائنا وحلفائنا أن نفعل افعالا عجيبة تستميل جميع البلدان الشرقية العربية الى موالاتنا وخطب مودتنا .

لقد كان لنا في تلك الاصقاع أصدقاء شدوا ايديهم بحبلنا معتصمين وذلك بما كان لنا بين ظهرانيهم من الشهرة البعيدة فقد كانوا جميعهم يعتقدون أننا أنصار المظلوم وحماة الملهوف وقد كان ميسوراً لنا أن نستفيد من موقفنا الادبي عندهم . ولكن هل فعلنا ذلك ؟ انها مسألة فيها نظر .

مضى عليّ ثلاث وعشرون سنة ولي علاقات شديدة بالعالم العربي الشرقي ولي اطلاع على تاريخه فهو ميال الى الحرية وكان الامر متعلقاً بحكامنا في سنة ١٩١٢

أن يجعلوا ذلك الشعب حراً قبل الحرب العالمية وقد يكون من وراء ذلك منع حدوث هذه الحرب أو على الاقل تخفيف ويلاتها .

وكان في اثناء الحرب ان عرب الشرق الذين انتظموا الوفاً في سلك جيوشنا أو في سلك جيوش الملك حسين بعد ثورة سنة ١٩١٦ في العراق ايضاً ساعدونا مساعدة فعالة وقد اعترف لهم بانهم كانوا يقاتلون معنا جنباً الى جنب . وانما فعلوا ذلك لانهم كانوا يبغضون الترك بغضاً شديداً ولانهم كانوا يسعون وراء استقلالهم . وكانوا يثقون بمواعيد الحلفاء وبالوثيقة المعقوده بين حسين ومكماهون وقد عينت فيها حدود السلطنة العثمانية حدوداً جديدة للدولة العربية ولولا مناصرة العرب وبسالة المصريين لسقط قنـال السويس وتعرفت الهند بغزاة يؤمونها بطريق ايران .

وقسمت البلاد بعد الانتصار بين امتين حليفتين وعقب هذه القسمة الاحتلال العسكري والاختلافات المتواصلة والحروب الفظيعة ولم يتغير الا اسم المعتدين وقد اخطأت فيما نشرته جريدة « الديبيش كولونيال » من أول فبراير الى ٥ منه سنة ١٩٢٧ في مقالات لا تخلو من الافكار الصحيحة من بعض الوجوه :

« ان الحركة الثورية التي اهتزت لها سورية ليست حركة محلية . أجل انها كانت محلية في بدء الامر ولـكن الاحزاب السورية الوطنية المتطرفة استغلتها من ١٥ أوغسطس سنة ١٩٢٥ وتولت ادارتها من الوجهة السياسية وناصرتها العناصر الثورية من الخارج وقد كانت على اتصال بها .

وليست الثورة السورية سوى حادث من حوادث الحركة العامة الموجهة ضد الاوربيين والممتدة من الصين الى المغرب الاقصى ولا تستند هذه الحركة الى العواطف الدينية كالجـامعة الاسلامية مثلا فهي تستثمر وتؤلف الاحزاب الوطنية المحلية المنبثقة من روح العداء للاجانب والمستمدة من مبادىء ولسن التي اخطأ باذاعتها في الشرق حين لم تكن الدول العظمى قادرة على اظهار قوتها وحين كانت تذعن لمطالب تركيا الكمالية .

وكانت مصر المركز الفكري لهذه الحركة في الشرق الادنى وقد هللنا بغباوة لهياج هذا القطر على بريطانيا وليس من حسن السياسة أن يشمت الواحد

بعصاب جاره في الشرق ولا ينجو من الخطر من يعضد بغير تروّ حركات الوطنيين التي لا يدرك رأينا العام مرماها الموجه لمناوأة الاوربيين .

وتقضي الضرورة على الدولتين الموجه اليهما التهديد وهما بريطانيا وفرنسا في هذه الحركة العامة بان تتحدا للمقاومة »

ان منشىء هذه المقالة غير الموقعة هو ولامراء من غلاة انصار الاستعمار وان عملت الحكومة باقتراحه انتهى بها الامر الى مآلا تحمد عقباه .

وقد ابتدأت الحركة الاستقلالية العربية في سنة ١٩٠٤ قبلما اذاع ولسن مبادئه ولكن العرب كانوا يتجرعون كؤوس المظالم من قرون . على ان بدء نهضتهم يرتقي الى أواخر القرن الثامن عشر على يد عبد الوهاب جد ابن سعود في نجد . أما النهضة الادبية والسياسية فانها تبتديء حوالي سنة ١٨٦٠ .

وكان تأليف الجمعيات في مصر لان المشنقة كانت عقاب من يقدمون على تأليفها في تركيا كما هي الحال الآن في البلدان المشمولة بالانتداب ، فكان ثمت الحزب الوطني العربي والنادي السوري وجمعية الاتحاد السوري وتألفت اخيراً الجمعية السورية الفلسطينية في سنة ١٩١٨ . ولم يتسرب أدنى عنصر خارجي لتقوية عزائم هؤلاء الوطنيين ولم يدفعهم الى عملهم ادنى فكرة تجعلهم يبغضون الاجانب . ولكن لا بد من اتهامهم بهذه التهم التي تبرر الاحتلال وعندهم ان كل المستندات تجوز لبلوغ غايتهم .

وقد كتبت في المصنفات التي وضعتها قبلا وايدت كلامي بالبرهان الساطع من دون أن ينبري أحد لتكذيبي — بل اكتفوا بان يضربوا حول هذه المصنفات نطاق الصمت — ان دول الغرب ومن جملتهن المانيا كنّ حتى سنة ١٩١٤ متفقات على اقتسام ميراث السلطنة العثمانية عند زوالها من الوجود . فكانت بريطانيا العظمى تطمع ببترول الموصل وحنطة وادي دجلة والفرات وضمان انشاء خطا ثان للهند وهو خط بري يمتد من فلسطين الى الخليج الفارسي . وكانت فرنسا تجاهر بانها ستصيب استقلالها الاقتصادي بما تجنيه من القطن في كيليكية وحلب ومن الحرير في لبنان ومن الحنطة والصوف في سوريا وكانت ايطاليا مقتنعة بالاستيلاء على القسم الغربي من الاناضول . وكانت روسيا تكتفي بقسم من تراقية والاستانة وطرابزون وارمينيا وكردستان .

ويعلم جميع الناس ما كان فيما بعد مما يتعلق بنا : الحرب فالخسارة المؤلمة فاختلاس الاموال فتنكر العالم العربي والاسلام علينا .

وكانت الجرائد تنشر المقالات المسهبة بعنوان : « الى الشام » و « نحن سادة الاسلام » وتوالى وقوع الحوادث الحربية وانا بصفة كوني موظفاً من موظفي المستعمرات السابقين اعرف كيف يذيعون مثل هذه الاراجيف واضرب هنا مثلا على ذلك : كنت في سنة ١٨٨٦ سكرتيرا للمسيو بول بير أول مقيم عام فرنسوي في انام وتونكين وكان والدي مدير مكتب وزير الحرب في باريس فكتبت اليه بايعاز من المسيو بول بير تقريراً ضمنته كثيراً من الاخبار الدقيقة عن الحوادث الجارية فكنا في ذلك الحين نقاتل عند حدود كوانغ سي قبيلة التوس حليفتنا المخلصة وعدوة الاعلام السوداء وبالطبع اثنينا على حلفائنا وكان من نتيجة ذلك التقرير ارسال برقية من باريس طلب فيها رجوع القائد العام مع جميع اركان حربه وعين قائد آخر من قواد الجيش قائداً عاماً خلفا له وأمر بالا يأتي عملا من الاعمال بلا اجازة في من المقيم العام أجل انه لم يكن في ذلك الحين سوى رجلين وهما الجنرال بولانجه وزير الحرب والمسيو بول بير المقيم العام اما الآن . . .

ولا يخفى ان المقاطعة أعلنت بيننا وبين العالم العربي من اليوم الذي احتللنا فيه مدينة دمشق ودككنا مملكة سورية دكا . وزاد الخطب تفاقما بتخلينا لتركيا عن اراض سورية لم نكن سوى امناء عليها وقد فعلنا ذلك مرتين . واشتد ايضاً النفور منا من جراء المذابح التي حدثت من سنتين ولا تزال .

اما الخسارة فلم تكن متساوية عند الجميع فانا خرقنا حرمة قانون جمعية الامم وانشأنا مصرفاً للاصدار ووضعنا عملة مماثلة لعملتنا ونزعنا الذهب من البلاد وجررنا عليها الخراب . وهم الآن يسعون لاصلاح الخطأ ولكن لا بد قبل كل شيء من ارجاع الذهب المحتكر ليكون ثمت رأس مال يضمن الاوراق الجديدة.

وألم الماماً بذكر النهب الفاضح وهو لعمري نتيجة مؤلمة لحروبنا . وقد وجد مئات الموظفين الذين ارسلناهم الى تلك البلاد ان الحالة فيها حسنة وهم لا مطمع لهم الا باستمرارها .

على ان الانتداب على ما وضع له من الابتداء يخول المنتدب انارة اذهان

الناس في البلاد المشمولة بالانتداب « بمشورات ادارية ليس الا » .

وقد نقح المنتدبون هذه المبادىء قبل ان توضع موضع الاجراء ووافقت جمعية الامم عليها في يوليو سنة ١٩٢٢ من دون ان يستشار في ذلك من يهمهم امرها . وهذا هو منبع الشر .

ان اعادة ذكرى هـذه الامور الماضية ضرورية لادراك أهمية الحوادث التي سنذكرها فان المسيو دي جوفنل قبل ما عاد من بيروت الى باريس في شهر يونيو سنة ١٩٢٦ اراد أن يمثل امام جمعية الامم وفي يده برنامج واسع يتضمن الاصلاحات التي عملها فاتخذ تدابير سريعة من دون أن يستشير في شأنها من يعنيهم أمرها وقد ألغيت تلك التدابير فيما بعد وكانت عواقبها وخيمة . ونورد مثالا على ذلك القرار المتعلق باختصاص المحاكم العادية في مسائل الاحوال الشخصية . أجل ان الاصلاح ضروري وكانت الوحدة مما لا يستغنى عنها إذ أنه من الواضح ان حقوق القضاء المختلفة التي وضعتها السلطنة العثمانية بناء على طلب الدول للمحافظة على حقوق رعاياها والمتمذهبين بمذهبها لم يبق لوجودها مسوّغ في الحكومات الجديدة ولكن لا ينبغي أن تعالج الامور من آخرها قبل أولها وهذا أمر يفهمه الاداريون المحنكون ولكن يجهله السياسيون فقد كان الاولى أن يبتدئوا بالطلب من سورية ولبنان أن يسنا قانوناً مدنياً ضرورياً لهما ثم يقرراه بالاقتراع . وقد باحثت فريقاً من المسلمين في هذا الشأن من مدة طويلة فوجدتهم موافقين عليه كل الموافقة . وكان فى الاصلاح ما يبعث المسيحيين على عدم التخوف من تطبيق نصوص القرآن بحقهم وعلى تقربهم مدنياً من وطنييهم الذين يدينون بغير دينهم وهذا دليل على التقدم وعلى القاء السلام في القلوب ونقول بعبارة اخرى انه التقرب الذي لا يرغب فيه من لهم مصلحة في تطبيق المبدأ المأثور : « فرق تسد »

وقد ساء قرار المسيو دي جوفنل جميع الناس لانه لم يمهد له بالقانون المدني فانكر علماء المسلمين ووجهاؤهم تدخل الاجانب في شؤونهم لزعمهم ان لهم الحق من دون سواهم في تقرير ما يجب ادخاله من الاصلاح . وانكر أيضاً بطريرك الموارنة هذا القرار الذي الغي بعد ما أجل اجراؤه في ما يتعلق بالمسلمين .

ولم يكن حظ الدستور اللبناني افضل من حظ هذا القرار لانهم لم يتروووا

في وضعه ويمكن القول ان هذا الدستور وضع على هذا الشكل ليقال فيما بعد ان اللبنانيين لا يصلحون لتولي شؤونهم بانفسهم مع ما أظهروه من السوابق من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٩١٤ . وكان من نتيجة القوانين التي أدخلتها الدولة المنتدبة تعيين وزراء كثيرين وممثلين (نواب منتخبين وأعضاء مجلس شيوخ معينين) وموظفين كثيري العدد ووضع ميزانية تنؤ بها البلاد . ولا يخفى ان مندوب المفوض السامي يشهد جميع جلسات البرلمان ويحتفظ بحق النهي والمعارضة ونقول بالاجمال ان جميع الموظفين الفرنسويين لا يعتبرون الحكومة الوطنية مرجعاً لهم ولا تستطيع هذه الحكومة أن تعزلهم أو أن تنقلهم وهي تدفع لهم رواتب باهظة وقد كان لبنان مستقلا في عهد الترك اما الآن ؟ . . .

وعينت السلطة المنتدبة احمد نامي بك الشركسي حاكما في سورية . وقدم الامير شكيب ارسلان واحسان بك الجابري مندوبا المؤتمر الفلسطيني واحزاب الاستقلال في سورية تقريراً الى لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف في ٧ يونيو سنة ١٩٢٦ وهذه خلاصته :

« رأى الوطنيون السوريون بناء على مشوراتكم فوائد الاتفاق مع فرنسا وتوسلوا في الداخل والخارج بالوسائل لدى السلطات الفرنسوية ليقنعوها بالموافقة على شرعية أمانينا المنطبقة على روح عهد جمعية الامم .

وقد ذهبت سدى جميع المساعي المصروفة الى هذه الوجهة فبقى المفوض السامي مصراً على تأويل روح العهد على ما يوافق افكاره الاستعمارية وهو يعد قبول مطالب السوريين تحقيراً لسؤدد فرنسا ومجدها . وأجاب أخيراً بانه يرفض هذه المطالب .

ونبين لمقامكم البعد الشاسع بين مبادىء العهد ومبادىء المسيو دي جوفنل بذكر الحوادث الآتية :

١ — فصل لوائي الاسكندرونة وانطاكية عن سورية وضمهما الى المفوضية العليا التي عينت لكل منهما حاكما فرنسوياً .

٢ — التخلي للترك عن أغنى وأخصب الاراضي بجوار كليس بحجة تنقيح معاهدة أنقره .

٣ — انتهاك حرمة الحريات على اختلاف أنواعها حتى فى الاماكن التي لم تعلن فيها الاحكام العرفية

٤ — انتهاج خطة الارهاب باجراء الاعدام من دون حكم وبمجرد التهمة البسيطة .

٥ — تفاقم اعتداء الماجورين للقتال من الارمن والشركس وهذا أمر تحققته السلطات الفرنسوية عينها .

٦ — وختم المسيو دي جوفنل عمله بتعيين شركسي غريب عن أماني الوطنيين ببرنامج مبهم مبني على آمال بعيدة زعيما لبعض الخوارج من الحزب الوطني وقلده شبه سلطة حكومية وهو يظن أنه أعاد السلام الى البلاد ونزل على أماني الامة .

اطلاق المدافع مؤخراً على دمشق اطلاقاً دام ست عشرة ساعة متوالية قتل في أثنائها سبع مئة نفس من النساء والاولاد والشيوخ . . .

ومن واجباتنا أن نعلن أننا بضمان حماية جمعية الامم ولايمكن أن تعتبر بلادنا مستعمرة أو خاضعة لحماية تحت أي اسم كان ولا سبيل الى تطبيق الخطة التي يسيرون عليها في الريف على بلادنا . فنحن بحماية الحقوق المتفرعة على الحرب العالمية ونحن نقاتل في سبيل حريتنا التي ضمنها العهد والدول وسنثابر على الجهاد ولو نزع منا سلاحنا واذا اقتضى الحال ذلك عمدنا الى المقاطعة . فجمعية الامم مستودع لجميع العهود المقطوعة ولا يسعها أن تصم أذنيها عن سماع ظلامتنا وانصافنا فذلك نطلبه منها من دون أن نعبث بكرامتها . »

ونشرت الجمعية السورية الفلسطينية فى ١٥ يونيو نشرة بينت فيهـا بجلاء حقيقة المسائل كلها وفندت ما اتهموها به وبسطت برنامج الحكومة السورية الذى تطلبه الامة جمعاء .

وفى أثناء ذلك الحين فتحت أبواب المفاوضات بين الوفد السوري فى جنيف ووزارة الخارجية ولعمر الحق ان نشر هذه الامور يعد عبرة للمعتبر .

المسيو شكري جاسر فلسطيني الاصل وقد جاهد من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٢٣ في سبيل الشرق وحريته جهاداً مشكوراً . ولما عاد أخيراً من رحلة طويلة في أميركا الجنوبية استأنف علاقاته بالجمعيات السياسية الممثلة بلاده وقدم

في ٧ مايو سنة ١٩٢٦ تقريراً الى المسيو لوسيان هوبر رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ أرسل الكلام فيه حول الخطة التي يجب أن يسار عليها للوصول الى عقد صلح بوقت قريب وأرسل التقرير في اليوم عينه الى المسيو بريان رئيس الوزارة في ذلك العهد .

وأخذ المسيو لوسيان هوبر المسيو جاسر الى وزارة الخارجية في ١٤ مايو وبعد ما سمع المسيو بريان بيان المسيو جاسر أثنى عليه وفوض اليه أن يذهب الى جنيف ويطلب من اللاجنة أن تقدم مطالبها خطياً . وقال : « اذا كان في عمل المسيو جاسر ما ينجي جندياً فرنسوياً واحداً من الموت فاني أدخر له شكراً أبدياً » .

ووصل المسيو جاسر الى جنيف في ١٥ مايو فلم ير له بداً من الانتظار لان المندوبين كانوا متغيبين وأخيراً تمكن من مفاوضتهم فى ٢٠ و ٢١ مايو وعاد المسيو جاسر الى باريس وبيده مطالبهم المكتوبة .

واتفق ان عيد العنصرة وقع عند وصوله واستطاع فى ٢٦ مايو أن يقدم نسخة عن هذه المطالب الى المسيو لوسيان هوبر فحملها هذا الى المسيو بريان وقدمها اليه مع تقرير شخصي وأوعز الى المسيو جاسر فى ٢٧ مايو بأن يذهب لمواجهة المسيو بيسلون وهذا أجل المواجهة الى ٣٠ مايو وطلب من المسيو جاسر أن ينتظر التعليمات فى هذا الشأن . وأرسل المسيو جاسر فى ٣١ مايو كتاباً الى المسيو بريان .

ودعا المسيو ليجه المسيو جاسر اليه في أول يونيو وأبدى له شكره وأكد له أن المفاوضات سيكون لها نتيجة حسنة ولكن الجهة الفنية سيفوض أمر درسها الى المسيو بونسو .

وقال له المسيو بونسو في ٢ يونيو أنه لا يمكنه أن يتخذ أدنى قرار بشأنها قبل مفاوضة المسيو دي جوفنل الذي عاد من سورية .

وفى ٤ و٩ يونيو عاد المسيو جاسر الى مخاطبة المسيو لوسيان هوبر بالتلفون قائلاً له انه مضطر الى القول للجنة بانها حرة فى أعمالها . ثم انه سافر الى جنيف وأوقف اللاجنة على حبوط مسعاه .

ولما عاد الى باريس فى ١٦ يونيو وجد كتاباً من المسيو لوسيان هوبر يلومه

فيه على النشرة التي وجهتها اللجنة الى جمعية الامم خلافاً للعهد المقطوع فاجابه المسيو جاسر بان الخطأ يجب أن يقع على دوائر الوزارة فانها لم تجب على مارفع اليها تكراراً من الرسائل التي تذكرها بالمسألة السورية .

ولقي المسيو لوسيان هوبر المسيو دي جوفنل فقال له هذا انه يرغب في مواجهة المسيو جاسر . وكتب اليه رسالة بعدد٥٤٧ من المفوضية العليا في لبنان وسورية بباريس بتاريخ ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٦ . وعقدت اجتماعات متوالية في ١و٢ يوليو في المفوضية العليابشارع الاونيفرسيته ثم في شارع كونده عدد١٤ بحثوا فيهافي المطالب والاقتراحات السورية واتفق الفريقان على صيغة وضعاها.

وبعد هذه الاجتماعات خاطب المسيو جاسر المسيو ليجه بالتلفون فسر هذا الاخير بما عرفه منه وقال له انه سيجعل المسيو بونسو يدعوه اليه صباح الاثنين.

وفي ٧ يوليو ضرب له المسيو بونسو موعداً للاجتماع به في الغد فرجا منه المسيو جاسر أن يوافق على الشروط التي تم الاتفاق عليها ولكنه عرف فى الغد أن الحكومة قطعت جميع المفاوضات في هذا الصدد .

وفي١٠ يوليو كان المسيوجاسر فى جنيف ورجع منها فى١٦ يوليو الى باريس .

وبعد ذلك دار حديث بين المسيو كورنو عضو مجلس الشيوخ والمسيو جاسر والمسيو بيسلون على المسألة السورية فوافق المسيو بيسلون على جميع الاقتراحات المقدمة وأكد أن السلم سيتم ولكنهم لا يسعهم فى الوقت الحاضر الا المحافظة على الصمت في ذلك الشأن

وفي ٥ أوغسطس حدث حادث يشبه الحوادث التي تجري في الملاعب فان المسيو جاسر تلقى من احسان بك الجابري أحد أعضاء الوفد السوري رسالة يخبره بها أنه وصل الى باريس مع الوفد بناء على دعوة من الحكومة الفرنسوية لاستئناف المفاوضات . وكان احسان بك الجابري قدأضاع عنوان المسيو جاسر فسأل وزارة الخارجية عنه فأجابوه أنهم لايعرفونه .

وطلب الوفد المؤلف من الامير شكيب ارسلان والامير ميشال لطف الله واحسان بك الجابري من الحكومة أن يكون المسيو جاسر وسيطا بينه وبينها

وأوقف الوفد المسيو جاسر في ٦ أوغسطس فى نزل الماجستيك على مادار بينه وبين المسيو دي جوفنل من الاحاديث

وخاطب احسان بك الجابري المسيو دي جوفنل بالتلفون في ٧ أغسطس طالباً منه أن يخبره عن نتيجة المفاوضات السابقة فأجابه المسيو فرنسوى سكرتير المفوض السامي بأن الاوراق قدمت للوزارة ولها وحدها الحق لاصدار القرار النهائي .

وكتب الوفد في ١٤ أغسطس الى المسيو بريان جواباً شديد اللهجة وقال له انه واقف نفسه على القضية السورية وراغب في الانتهاء الى النتيجة المتوقعة .

ودفع المسيو جاسر هذا الكتاب الى المسيو ليجه عند الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين فضرب له المسيو ليجه يوم الاربعاء في ١٨ أغسطس موعداً للاجتماع ولكنه ارجأ في اليوم المعين الاجتماع الى الغد .

وخاطب المسيو بونسو الوفد بالتلفون في ١٩ أغسطس قائلا ان مشروع درس معاهدة الصلح مقيد في جدول أعمال مجلس الوزراء .

وفي ٢٨ أغسطس غادر الامير شكيب ارسلان باريس عائداً الى جنيف لانه لم يصل اليه أقل خبر من الوزارة في القضية التي قدم الى باريس لأجلها . وكان المسيو جاسر يخاطب بالتلفون وزارة الخارجية على غير جدوى فلم يتنازل أحد الى الرد عليه .

وصحت عزيمة احسان بك الجابري على السفر حين رأى ما كان من صمت الحكومة صمتاً لا يستطيع له تأويلا وحين علم ان جمعية الامم موشكة أن تلتئم .

ولا بد من القول ان الامير شكيب ارسلان واحسان بك الجابري كان قد فوّض اليهما تفويضاً تاماً أن يفاوضا الحكومة الفرنسوية في عقد أي اتفاق كان معها وكان يكفي أن يطيرا برقية الى الثائرين فيخلدوا الى السكينة . وهذه هي شروط الصلح وبأزائها ملاحظات المسيو دي جوفنل المفوض السامي :

١ — الاعتراف باستقلال سورية	على مثال العراق
٢ — تعاهد فرنسا بناء على الصداقة والمحالفة اللتين تربطهما بسورية على ادخال سورية كعضو في جمعية الامم	على النوع الذي عاهدت بريطانيا العظمى بموجبه في ما يختص بالعراق

٣ — لا ينبغي أن تؤلف الدول السورية المختلفة الا دولة واحدة ويجب أن نقول بالاختصار انه يلزم اعادة الوحدة السورية بضم بلاد العلويين اليها ما عدا لبنان

اذا رضوا بذلك بعد المفاوضة

٤ — يجب الاستفتاء في الاراضي المنضمة الى لبنان ويحق لسكان هذه الاقاليم أن يختاروا بحرية الدولة التي يريدون أن يتبعوها .

مع تحكيم فرنسا والالتجاء الى جمعية الامم

٥ — يجب أن تنتخب جمعية دستورية بملء الحرية لسن دستور البلاد ووضع شرائعها .

لا يكون ذلك الا بعد الاخلاد الى السكينة

٦ — ينسحب الجيش الفرنسوي من الاراضي السورية حين يتألف جيش وطني بتدريب معلمين فرنسويين تطلبهم الحكومة المنظمة وللجيش الفرنسوي الخيار في ابقاء حامية في لبنان .

٧ — تتكرم فرنسا بتخصيص مبلغ من المال لترميم الجهات التي دمرتها قنابل المدافع

٨ — تذيع الحكومة المنظمة عفواً عاماً بلا شرط وبلا قيد من الحكومة الفرنسوية .

يكون ذلك بعد الاخلاد الى السكينة

٩ — يحق لسورية أن تعين ممثلين سياسيين لها في الخارج على انه في البلدان التي لا يكون لها ممثلون فيها يكون الممثلون الفرنسويون ممثلين لها .

في باريس والخارج بعد انتظامها في سلك جمعية الامم

١٠ — تقبل سورية بأن يكون لدى حكومتها وفي اداراتها مستشارون فنيون فرنسويون تكون الحكومة السورية مرجعهم ويكون تعيينهم بموجب وثائق مبرمة بحرية .

لا أريد ذلك

١١ — يمنح حق الافضلية للصناعة والاموال الفرنسوية في جميع المشروعات التجارية والصناعية

واستثمار الموارد الطبيعية في البلاد حين لا يستطيع السوريون أن يقوموا بهذه الاعمال .

١٢ — تعقد القروض اجمالا فى فرنسا أو بواسطة الحكومة الفرنسوية

١٣ — تعقد محالفة بين فرنسا وسورية تعاهد فرنسا بموجبها على الدفاع عن سورية من غزوة الاجنبي وفي مقابل ذلك تعاهد سورية انه اذا اشتبكت فرنسا بحرب تقدم لها جنوداً يحدد عددهم وتسلحهم وتجهزهم الحكومة الفرنسوية .

هذه هي الشروط المقترحة . ولا بد من القول بانه حدث هجوم شديد على دمشق في ٢٠ أغسطس ولا عبرة للتكذيب الرسمي الذي نشر بهذا الشأن وقد اصبنا بخسارة عظيمة في ذلك الهجوم وأثرنا علينا جميع الامراء الكبار في بلاد العرب .

فما هو سر موقفنا يا ترى ؟ ولماذا لم نوافق على وثيقة الصلح التي قبلناها مبدئيا وكانت مبنية على أساس عادل . وقد تساهل الوفد السوري تساهلا عظيما . واجتمعنا به اجتماعاً طويلا في ١٤ أغسطس في سان كلود وتحققنا انه كان ميالا الى الصلح وانه سيكون له من الآن فصاعداً علاقات ودية بفرنسا ولما أبديت شيئًا من التطير بشأن الموافقة على الوثيقة لم يشأ أعضاء الوفد أن يصدقوني . والسبب في ذلك هو ان وراء الظواهر مصالح لا يعد غيرها شيئاً مذكوراً فلنفكر في ما هو جار في تونس وقد تكون النتيجة في الشرق أوفر عائدة منها في تونس . أما فرنسا . . . فلا سبيل الى الكلام عن مصلحتها .

وقد أرسل الى سورية جيوش كثيرة منذ ذلك الحين ففيها الآن اكثر من ستين ألفاً والنفقات تزيد وفرنكنا يهبط . ومما يدعو الى الاسف في هذه الحوادث هو ان الاسر التي خر أولادها قتلى في تلك البلاد من شهر يوليو سنة ١٩٢٦ فما بعد يحق لها ان تناقش الحساب أولئك الذين رفضوا عقد صلح محفوظة فيه كرامة الحكومة

وكان في أثناء ذلك الحين ان مسألة الجنسية كانت تقيم الرأي العام الوطني

وتقعده في سورية ولبنـان وفي جميع البلدان التي تقيم فيها عشرات ومئات الالوف من المهاجرين من هذين الاقليمين

وقد جاء في معاهدة لوزان ان رعايا الدولة العثمانية البائدة المقيمين في البلدان الاجنبيـة يجب عليهم أن يختاروا جنسيتهم في آخر شهر أغسطس ويجب أن يتم هذا الاختيار في القنصليات أو في دوائر البوليس وتشترط فرنسا لذلك هذه الصيغة :

« لا تكتسب الجنسية الا بموافقة الحكومة الفرنسوية »

والذين لايختارون جنسيتهم قبل التاريخ المعين يبقون من تبعة الدولة التركية ويفقدون حق حماية سفراء فرنسا وقناصلها في البلدان الاجنبية .

فاحتج اللبنانيون والسوريون على هذا القرار الذي دس في معاهدة نظمت من دون أن يستشاروا في امرها فانهم يرون فيها مساً لكرامتهم الوطنية ولا سيما بعد هذه الكلمات : « بموافقة الحكومة الفرنسوية » ورفعت الجمعية اللبنانية في باريس احتجاجاً الى لجنة الانتدابات منكرة تجاوز الدولة المنتدبة حدها .

وأجابت وزارة الخارجية على الملاحظات التي قدمت لها بما يأتي بتاريخ ٣ أغسطس :

« جاء في المادة الرابعة والثلاثين من معاهدة لوزان : « اذا رضيت بذلك الحكومة صاحبة السلطة » ولاتلقى الحكومة الفرنسوية بدأ من العمل بموجب هذا النص . . .

« ويصعب على الدولة المنتدبة العمل بغير هذا النص الذي يهم في الدرجة الاولى سلامة الدول المشمولة بالانتداب . ومع ذلك صرح المفوض السامي بأن هذا النص يتساهلون في تطبيقه . »

وكيفما كان الامر فان هذا النص موجود فاللبناني أو السوري المنتمي الى أصل لبناني أو سوري بحت يعود تركيا أو يصبح بلا وطن اذا لم تكن السلطة راضية عنه . وهذا أمر لم يسبق له نظير . فلو لم تكن الدولة المنتدبة قد تجاوزت الحدود المبينة في الانتداب الذي من صنف A على ماحددته جمعية الامم لكانت الحكومتان اللبنانية والسورية قد قررتا تقريراً قانونياً وحدهما ما تريان فيه مصلحة لهما . وكثيرون من المهاجرين المستائين من هذا الامر فضلوا

– ولا سيما في أميركا الجنوبية – أن يختاروا جنسية الجمهوريات التي أكرمت وفادتهم اليها .

وفي هذه الاثناء اختير المسيو بونسو الوزير المفوض مفوضاً سامياً بدلا من المسيو دي جوفنل ومن ذلك الحين أصبحت الوزارة تدير الشؤون لان المسيو بونسو ليس سوى موظف فيها .

ولما عاد الامير ميشال لطف الله والامير شكيب ارسلان واحسان بك الجابري ورياض بك الصلح أعضاء الوفد السوري في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٦ من رحلتهم الى باريس قدموا تقريراً الى رئيس جمعية الامم بسطوا له فيه الحوادث التي أتينا على ذكرها واليك صورة عن هذا التقرير :

« الى حضرة المسيو ننتشتش رئيس الاجتماع العام السابع لجمعية الامم والى حضرات الاعضاء .

جنيف في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٦

حضرة الرئيس وحضرات الاعضاء

تشرفنا نحن الموقعين اسماءنا أدناه مندوبي المؤتمر السوري الفلسطيني وأحزاب الاستقلال في سورية بأن بسطنا بمذكرتنا المؤرخة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٦ لمجلس جمعية الامم وللجنة الانتدابات الدائمة في وقت واحد موقف بلادنا المحزن والمؤلم وطلبنا تدخلهما لايجاد حالة طبيعية في سورية . وقد صرحنا في مذكرتنا بان الوطنيين السوريين انقادوا الى مشورات لجنة الانتدابات حين جادت بها عليهم في جلستها المعقودة في رومية ونصحت لهم بان يتفقوا مع فرنسا فباشروا اتخاذ تدابير لدى السلطات الفرنسوية للتفاهم معها واقناعها بالاعتراف بشرعية الاماني السورية وقد بقيت مساعيهم عقيمة لان الحكومة الفرنسوية أعلنت بواسطة ممثليها المسؤولين انها تبتغي مواصلة الحرب حتى يستسلم السوريون بلا قيد ولا شرط .

وتظن الدولة المنتدبة انها تتمكن من تقرير السكينة والسلام في البلاد بقوة السلاح وتعمل عملها بالسير على هذا المنهاج

ولا بد لنا من القول بأنه مع ما سفك من الدم من خمسة عشر شهراً ومع ماجردته الدولة المنتدبة من الحملات المتوالية لا تزال البلاغات الرسمية الفرنسوية

تصف القتال الذي يدور في الارض المفوض الى جمعية الامم الانتداب لها بأنه من نوع التدابير التي تتخذ لتقرير الامن وتؤكد دا عما أن كل شيء أخلد الى السكينة . فهذا مخالف للواقع لان للحوادث ألسنة تتكلم بفصاحة .

ويجري في ظننا أن تصرفها مخالف للغاية الانسانية التي تجري اليها جمعية الامم

وقد وقفنا على الحقيقة في الموقف الذي يشتد خطورة يوما فيوماً وعرفنا الفائدة من العمل بمشورات جمعية الامم وأردنا أن ننسى القتلى وعددهم ١٤ الفا (على ما جاء في التقرير المقدم الى السكرتيرية العامة في شهر يونيو سنة ١٩٢٦) ماعدا النساء والاولاد وتدمير المدن التاريخية والقرى العامرة وتوجهنا في شهر يوليو سنة ١٩٢٦ الى باريس حيث قضينا أربعين يوماً بذلنا في خلالها قصارى المجهود لعلنا نتمكن من الاتفاق مع السلطات الفرنسوية صاحبة الاختصاص في وضع حد لتلك الحال التاعسة .

واجتمعنا مرات متوالية مع المسيو دي جوفنل المفوض السامي وكنا قد أوشكنا أن نتفق اتفاقاً تاماً بما أبداه من روح التساهل والمسالمة ولكن طرأت أحوال غامضة ليس لنا شأن فيها أوقفت مجرى المفاوضات وتوسلنا بوسائل معجلة لاستئناف المفاوضات رجاء الانتهاء الى اتفاق مرض للفريقين طبقاً لرغبة لجنة الانتدابات الا أن مساعينا بقيت عقيمة واضطررنا الى الرجوع الى جنيف لاجئين الى عدالة جمعية الامم ونزاهتها ومصممين أن نرفع اليها تقريراً عما بذلناه من المساعي وفقاً لرغائبها .

واذا كنا قد تحققنا مع الدهش والامتعاض أنه ارتفعت أخيراً أصوات في مجلس جمعية الامم لتخنق أقوى مجاهرة للعمل الذي تزاوله اللجنة الدائمة للانتدابات باقتراحها استماع شكوى مندوبي الشعوب التي يهمها الامر فلنا كل الامل بأن مجلس جمعية الامم لايقصر في مهمته المقدسة وان مزاعم الدسائس الوهمية التي يكررون اذاعتها لاتصرفه عن القيام بما تفرضه عليه العدالة والانسانية من الواجبات .

وقد تشرفنا بأن بسطنا في جميع نشراتنا السابقة وبياناتنا المقدمة الى المجلس والجمعية ولجنة الانتدابات الدائمة أن من أهم أسباب الاضطراب المستفحل أمره الآن في سورية سياسة الاستعمار التي يجرون عليها بالعنف وتقسيم البلاد

وحرمانها كل حرية . فعلى هذه القواعد الثلاث تعنى السلطة المحتلة بتشييد سيادتها ولنا على ذلك أمثلة ظاهرة عن هـذه السياسة في ادارة البلاد ادارة مباشرة وتقسيم سورية الى أربع دول وضم أراضي احدى هذه الدول الى الاخرى على رغم من سكانها الذين لايزالون يوالون احتجاجهم كما يستدل على ذلك من برقية مؤرخة في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ وقد قدمناها الى السكرتيرية العامة واليكم نصها :

« الجابري ٢١ غلاسي دي ريف جنيف »

نحن الموقعين أسماءنا أدناه التجار والملاكين والمحامين والاطباء والمهندسين الممثلين للرأي العام في الجهات المضمومة الى لبنان بغير رضى سكانها نغتنم الفرصة من اجتماع مجلس جمعية الامم لنكرر احتجاجنا على ضم ارضنا الى لبنان خلافا للقانون الاساسي المزعوم والمسنون بغير مشاركتنا فيه والمعتبر مخالفا لارادة الامة وقد أيد احتجاجنا نوابنا في جلسة المجلس اللبناني في ١٩ مايو ونطلب اعادة الوحدة السورية على قاعدة السيادة الوطنية ونلتمس تدخل جمعية الامم الفعال لحل المسائل السورية حلا عادلاً طبقاً لمبدأ حقوق وأماني الامة بالاجماع . »

(وقد ارسلت هذه البرقية من فلسطين لتعذّر ارسالها من البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي)

ولم يتسن للامة حتى الآن المجاهرة بارادتها بحرية فقانون البلاد الاساسي — وقد قضت المادة الثانية والعشرون من عهد جمعية الامم ومبادىء الحق العام الحديث بان يصدر عن هذه الارادة — تسنه رأسا السلطات الفرنسوية خفية وتعمل على وضعه موضع الاجراء .

ولا تريد هذه السلطات أن يكون لها صلة بممثلي أكثرية الشعب ولا تني عن وصفها اياهم بأنهم اعداء فرنسا حينما يرفعون الصوت بالمطالبة بحقوق بلادهم الشرعية وهي لا تشاء أن ترى ان الشعب لم ينهض الا مدفوعاً بقنوطه من تحققه بان السلطات الفرنسوية تنكر مبادىء جمعية الامم وحقوق الامة الشرعية ويرى ان مطالبه العادلة يضرب بها عرض الحائط .

فيشق علينا والحالة هذه ان نظن ان جمعية الامم التي يهمها ان تتبرأ من

المسئولية الادبية لا تبتغي ان تتدخل لانقاذ بلادنا من الدمار التام بعد ما قاست ويلات الحرب والضيق في خلال خمسة عشر شهراً ولوضع حد لحالة قد يكون من ورائها تكدير حياض السلم في الشرق الادنى .

ان جمعية الامم حكم لفض ما يطرأ من الخلاف بين الدول المنتدبة ورعايا البلاد المشمولة بالانتداب .

يبدو لنا مما تقدم ان من الضروري اجراء تحقيق في الموقف الحالي الخطير ليسهل على جمعيـة الامم أن تبدي رأياً حازماً في الحالة الحاضرة في سورية ولا يسع الدولة المنتدبة أن تعارض هذا التحقيق الا اذا كانت تخاف اظهار حقيقة أعمالها . فلا سبيل لها الا العمل بموجب روح عهد جمعية الامم بارسال بعثة الى سورية يفوض اليها البحث عن الموقف الحقيقي وأماني البلاد الحقيقية . وان سلطة المراقبة الموكولة اليها وقد زاولتها بعدالة تمكنها من ابداء الرأي الصائب في حادث مؤلم يتأثر منه وجدان كل انسان متمدن .

ونعلم انهم لم يتسقطوكم على رأيكم ولا على صحة الانتدابات ولا على توزيعها ولا على الموافقة عليها . ولـكن نعتبر ان سلطتكم الادبية العالية تمكنكم من أن تطلبوا حقن الدماء والامتناع عن سفكها باسمكم . فنتقدم منكم بهذا القصد فأنتم تمثلون وجدان البشرية الاسمى أمام العالم المتمدن ونحن نطلب انصاف بلادنا التاعسة فعسى أن تظلوا محافظين على فكرة العـدالة والحرية وأن تعطوا نتيجة لندائنا بعد انتظارنا الطويل .

فنتشرف يا حضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء بتقديم احترامنا العالي لـكم

الاعضاء	رئيس الوفد
الامير شكيب ارسلان . احسان الجابري	الامير ميشال لطف الله
رياض الصلح	

وأرسلت اللجنـة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني من القاهرة في ١٤ سبتمبر بياناً عاماً الى جمعية الامم ضمنته أخبار الفظائع التي ارتكبت في خلال الثورة ومطالب سكان الاراضي التي ضمت الى لبنان الـكبير واستصرخت بجمعية الامم مناشدتها بأن تقوم بواجباتها نحو الانسانية والتاريخ وطلب اجراء تحقيق لتقرير المسؤولية .

وقدمت الجمعيـة اللبنانية في باريس في ٢٣ سبتمبر التقرير الآتي بيانه الى رئيس الوزارة والى وزير الخارجية والمفوض السامي :

« ان الجمعية اللبنانية في باريس تعتبر انها بازاء موقف لبنان الكبير المحفوف بالخطر تقصر في عواطف الصـداقة الاحترامية نحو فرنسا و بواجبها نحو وطنها اذا لم تلفت اليه انتباه حكومة الجمهورية الفرنسوية. وعليه فالجمعية تثق بما أبدته فرنسا من العطف في الماضي على بلادها وترفع الى ممثليها الاعتبارات الآتيـة بشأن الهفوات المرتكبة وأمانينا .

١ — التقلب في مزاولة الانتداب : — عرفت بلادنا من سنة ١٩١٨ ستة مفوضين سامين ماعدا الذين قاموا بالوكالة عنهم وكان من نتيجة ذلك ان التنظيم الاداري على اختلاف فروعه نالته ضروب من التغير المتعاقب والمتناقض . فقد ملأ المفوضون السامون البلاد من الموظفين والعمال الذين لا حاجة اليهم .

٢ غموض السياسة الفرنسوية : — ان اللبنانيين مع جميع البيانات والخطب المتناقضة في بعض الاحيان لا يزالون يجهلون حتى اليوم المقاصد الحقيقية للحكومة الفرنسوية فلو كانت هذه الحكومة قد جرت على برنامج مقرر ومحدود موضوع لمصلحة فرنسا ولبنان المتبادلة بصرف النظر عن تقلبات السياسـة الفرنسوية الداخلية لكان قد نجم عن ذلك اتفاق محمود بين البلادين وكان جميع الناس يفهمون فهماً حقيقياً ما كان يجب أن يعمل .

كان لبنان في القديم يتمتع باستقلال اداري معروف وهو الآن في موقف مبهم وهذا ما يبعثه على القلق والاضطراب .

انه مع حداثة العهد بانشاء الجمهورية اللبنانية نرى ان في وجود ممثلي الدولة المنتدبة بصورة دائمة في البرلمان لحضور جلساته ما يدل على ضيق دائرة الحرية التي منحها لبنان . وبقي عـدد الموظفين كثيراً وما تزال الدوائر في المفوضية العليا على مثال دوائر الحكومة العامة في مستعمرة كبيرة وهي تتسلط على جميع المصـالح : الاشغال العامة وسكك الحديد والجمارك والمعادن والامتيازات والقضاء . . الخ بانتزاعها من بين أيدي الحكومات المحلية . فالحكومة الحالية في لبنان المزعوم انها وطنية هي أقل حرية في أعمالها مما كانت عليـه في عهد الحكومة البائدة .

٣ — سلامة الاراضي اللبنانية : — لما أعلن الجنرال غورو في حفلة رسمية باسم فرنسا انشاء استقلال لبنان الكبير بحدوده الحالية بحسب ما كان اللبنانيون المتخلفون في بلادهم والاتحاد اللبناني في مصر والارجنتين يطلبونه في سنة ١٩١٩ عاهدت الحكومة الفرنسوية البلاد وجمعية الامم على اجابة طلبهم فوثق اللبنانيون بكلام فرنسا . أما الآن فان سلامة الاراضي اللبنانية موضوعة تحت البحث ونأسف على ما بين تصريحات دمشق وتصريحات بيروت الرسمية من التناقض وعلى ما أثارته هذه التصريحات من سوء التفاهم البليد بين هذين الاقليمين الشقيقين لبنان وسورية . فقد كان بالامكان أن تقرب بينهما سياسة رشيدة صادقة بايجاد علاقات الولاء وحسن الجوار بينهما .

٤ — فقدان الامن بين السكان وشقاؤهم : — ان الخصومات التي نشأت عن سياسة فرنسا من بدء الاحتلال جعلت لبنان في حالة اضطراب عام لم يشعر بمثلها قبلاً وكانت بلادنا مشهورة باستتباب الامن فيها ان في الانحاء المأهولة بالمسيحيين وان في الجهات المقيم فيها الدروز والمسلمون .

وكان أقل الاضرار من وراء هذا الامر حرمان البلاد موارد عديدة ومن جملتها الفوائد الخطيرة التي كانت تجنيها من موسم الاصطياف وقد سادت الفوضى في جميع أنحاء البلاد ولا عبرة لما تذيعه الحكومة من البلاغات الرسمية المخالفة لواقع الحال .

وان فرنسا التي حركت عوامل الخصومات في البلاد عملت على استفحال أمر المذابح والنهب والحريق وبات كثيرون من وطنيينا ضحايا لتلك الاضطرابات فقد أصبحوا في حالة فقر مدقع وتفرقوا في جميع جهات لبنان وهم يعيشون الآن من اعانات الحكومة وتبرعات المحسنين ومساعدة المهاجرين في الخارج على أن هذه الاموال التي يجودون بها عليهم لا تكفي لترميم المنازل المهدومة والمحروقة والتعويض عن الاشياء المفقودة .

فعلى الحكومة المنتدبة وهي صاحبة السلطة والقوة أن تعوض عن هذه الخسارة الفادحة وهذا من باب العدل .

٥ — المسألة الاقتصادية : — لم يبق أحد جاهلاً أن لبنان يجتاز الآن معضلة اقتصادية أشد من المعضلة التي تجتازها فرنسا فبلادنا مهددة بمجاعة قتالة

كالمجاعة التي حدثت في غضون الحرب . ولذلك أسباب كثيرة :

١ — بقيت أراض كثيرة بوراً من جراء فقدان الامن وقد هجرت القرى

٢ — يثقل كاهل الميزانية في الدولة وفرة عدد الموظفين .

٣ — لم يباشر استثمار غنى البلاد الطبيعي ولم يصنع شيء في هذا السبيل . وعرقلت المشاريع التي عالجها اللبنانيون (من جملتها مشروع نهر ابراهيم) . ومن جهة الصناعة فالحالة عدم ولما كانت الدولة المنتدبة قد احتفظت بكل شيء فهي من دون سواها مسؤولة عن كل شيء .

٤ — اشتداد تيار المهاجرة وحرمان البلاد جميع قواها الحية فقد ازدادت المهاجرة عما كانت عليه في سنة ١٩١٤ والسبب في ذلك فقدان الامن ووقوف حركة الاعمال وسياسة الدولة المنتدبة .

٥ — تقاسي تجارتنا الضرر من بعض القيود الجمركية التي وضعتها المفوضية العليا من نفسها وجميع هذه المسائل لا شأن للحكومة المحلية فيها البتة .

٦ — وأخيراً نقول ان السبب الاصلي هو انشاء بنك سورية ولبنان الكبير واصدار عملة ورق مع الاجبار على التعامل بها وهي تعادل الفرنك الفرنسوي وهذا يساعد التنظيم المالي على استنزاف الذهب من البلاد وضرب اقتصادياتنا ضربة قاضية فان هبوط قيمة الليرة السورية على أثر هبوط قيمة الفرنك المرتبطة هي به خفض قيمة رأس المال الى نسبة يصحبها الخراب وكانت سبباً لغلاء حاجات المعيشة .

٦ — علاقات لبنان الكبير بسورية :— لما طلب اللبنانيون استقلال بلادهم عن سورية — وهو استقلال متسلسل عن حق قديم اعترفت به الدول العظمى ووافقت عليه — لم يفكروا قط أن يقيموا حاجزاً بين البلادين لاعتقادهم بتوثق الصلات على اختلاف أنواعها ولاسيما الصلات الاقتصادية التي تربط كلتا البلادين بعضهما بالبعض الآخر وما لهما من المصلحة المتبادلة في الدفاع عن ذمارهما . فقد كان من المقضي عليهم والحالة هذه أن يوطدوا أركان علاقاتهم بجيرانهم السوريين واذا لم تكن هذه العلاقات قد توطدت حتى الآن فليس الحق في ذلك على اللبنانيين فقد شاء منظمو الانتداب أن تبقى شقة الخلاف فسيحة بين البلادين وأن يضعوا يدهم وضعاً خاصاً على لبنان ومما يؤيد ذلك مسألة الراية الفرنسوية

وفي وسطها صورة الارزة مع أن لسورية راية وطنية خاصة . فاتخاذ الراية الفرنسوية له معنى الفتح . وهذا المعنى لم يرق المسلمين الذين كانوا في الماضي تابعين لسورية وهم الآن تابعون للبنان الكبير وقدكان ذلك أول سبب للخلاف بينهم . ثم ان ادارة الشؤون مباشرة من لدن المنتدب في لبنان على خلاف ماهو جار في سورية زاد في مجاهرة المسلمين بالعداء ورغبتهم عن البقاء منضمين الى لبنان .

ونقول أخيراً ان السوريين واللبنانيين لم يتفقوا على الامور الاقتصادية وهي أمور جوهرية اذ أنها تجعل الناس يعللون النفس بعقد اتفاق أهم من بعض الوجوه الاخرى . فالخطأ من هذه الجهة واقع على المفوضية العليا فقد حصرت كل شيء في يدها كما سبق بيانه .

ويجب أن يكون لكل من لبنان وسورية الانظمة عينها وان يكون موقف الدولة المنتدبة واحداً بازاء كليهما ومن المهم أيضاً أن تنصرف الافكار عن المماحكات الدينية وألا تبدي الدولة المنتدبة ميلها الى هذا دون ذاك .

بسطنا جميع الاغلاط التي ارتكبت ولكن كيف السبيل الى معالجة هذه الحالة المضرة ببلادنا . فترى الجمعية اللبنانية من واجبها أن تنبه الافكار الى أن لبنان كان معتبراً قبل سنة ١٨٦٠ وبعدها قادراً على تولي شؤونه بنفسه وقد تقدم ابناؤه تقدماً عظيما من خمسين سنة في جميع فروع النشاط البشري وقد أقاموا دليلا على ذلك في جالياتهم القوية والغنية في الخارج : في الارجنتين والبرازيل والولايات المتحدة ومصر حيث يشغلون مناصب خطيرة . ولاينقص لبنان الا بعض المستشارين الاختصاصيين : فللبنان الحق والحالة هذه بأن يطلب أكثر من الاستقلال الاداري الذي كان يتمتع به في الماضي وقد حرمه ظلماً وهو يلتمس من فرنسا ورجال حكومتها أن تنيله أمانيه وتحقق آماله

وعليه تبسط لكم الجمعية اللبنانية الاماني الآتية :

١ — يجب أن يحدد الانتداب **A** على لبنان ويحصر بقواعد مقررة في عهد جمعية الامم سنة ١٩٢٠

وتكون الدولة المنتدبة حرزاً ومشيرا فاضلا وضامناً لسلامتنا . وهي تتحفنا بالمستشارين والمعلمين العسكريين والاختصاصيين الذين نحتاج اليهم بعدد يحدد

بالاتفاق معهم لكي يرشدونا في نهضتنا التامة الاجتماعية والاقتصادية .

ويعقد لبنان الكبير مع فرنسا معاهدة لمدة خمس وعشرين سنة أي معاهدة تحالف وصداقة تضمن له منافع سياسية واقتصادية خاصة كالمشاركة بنسبة معلومة في جميع شركاتنا ومشروعاتنا مثلاً .

٢ — تكون دولة لبنان الكبير مستقلة في حدودها الحالية وهي تصحح حدود أقسامها وتنقح دستورها اذا مست الحاجة ذلك . وهي تنتخب بحرية رئيس حكومتها وموظفيها وعمالها . ويكون لها جيش وطني وتعقد وثائق ودية ومحالفات مع جيرانها بحيث تكون موافقة للمعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة المنتدبة وتعضدها هذه الاخيرة على الانتظام فى سلك جمعية الامم .

٣ — يستعيد لبنان الكبير استقلاله الاقتصادي التام طبقاً لروح الانتداب A الحقيقي . وجميع المشروعات وامتيازات المعادن والزراعة والصناعة على اختلاف أنواعها لايجوز الا للدولة اللبنانية أن تمنحها لابنائها الاماخصص الاحتفاظ به للدولة المنتدبة على مامر بنا بيانه .

وتنظم الحكومة اللبنانية ما يستحق عليها وابرام الوثائق وطريقة التلزيم وقبول العطاآت بحسب النظام الذي ستضعه للمناجم والامتيازات والاشغال العامة . وتضع الرسوم الجمركية بحيث تكون موافقة لقرارات جمعية الامم واتفاقها مع الدولة المنتدبة . وتسن قانونها

أما عملتها فان مسألة العودة الى التعامل بالذهب وانشاء بنك للحكومة موضوعة على بساط البحث بين سورية ولبنان الكبير والدولة المنتدبة فالجمعية اللبنانية تلفت النظر بنوع خاص الى الذهب الذي يقبضونه ولا سيما من لبنان الكبير ومن سورية منذ انشاء بنك سورية في سنة ١٩٢٠ فهذا الذهب المقبوض يسهل التحويل اللازم .

يا حضرة رئيس الوزارة ويا حضرة وزير الخارجية ويا حضرة المفوض السامي هذه هي الاماني التي رأت الجمعية اللبنانية أن تبسطها لكم وهي تأمل أن تحلوها محل القبول وتؤكد ان وضعها موضع الاجراء يضع حداً لجميع المخاوف ويعيد الثقة المفقودة .

السكرتير — نقولا قنواتي

الرئيس — الدكتور عاد

ولجأ الوفد السوري في ١٤ اكتوبر الى مؤتمر الراديكال والراديكال سوسياليست فرفع اليه مذكرة بواقع الحال وعالج على هـذا الشكل أن يستميل اليه مندوبي الراديكال والسوسيا ليست الذين كان برنامجهم منطبقاً من بعض الوجوه على مطالبه ولـكن ما لبث الوفد أن تحقق انه لا يصيب شيئاً منهم فمن شهر يونيو وهو تاريخ تقلد حزبهم للاحكام لم تصب سورية ولبنان شيئاً من مطالبهما المشروعة فان كلامهم المشجع لم يكن سوى نوع من التمويه في السياسة الفرنسوية الداخلية .

وحدث الامر عينه مع جمعيـة حقوق الانسان في شتاء ١٩٢٦ — ١٩٢٧ فان هذه الجمعية عقدت محاضرة في ردهة الجمعيات العلمية وقع فيها لغط شديد وقد حصر البحث فيها تقريباً في التهجم على المسيحيين والثناء على الجنرال سارايل فـكان أن عقلاء السوريين واللبنانيين لم ترقهم تلك الخطة المراد بها توسيع شقة الخلف بينهم والاطراء على المفوض السـامي الاسبق ولم يروا ان مسألة الحرية يجب أن تنحصر في كفاح بين حزبين في فرنسا ولم تسفر مثل هذه الاجتماعات عن فائدة لهم . وقد نشبت جمعية الشبيبة العربيـة في باريس في حبائلهم نابذة ما أمدتها به من الرأي ومما لا بد من الاشارة اليه هو أن خطباء الجمعية تعمدوا تطويل خطبهم حتى انقضى الوقت في ردهـة « كوميديا » من دون أن يتسنى لي الـكلام في نوبتي . أجل ان المسيو أولار رئيس الجمعية طلب مني نسخة من البيان الذي كنت أبتغي بسطه ولـكنني رفضت اجابة طلبه .

وقدمت الجمعية السورية العربية في باريس تقريراً دقيقاً الى المسيو بونسو في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ واليك هذا التقرير :

« ترى الجمعية السورية العربية في باريس ان من واجبها أن تقدم للمفوض السامي الجديد قبل سفره — كما قدمت الى أسلافه — مطالب الشعب السوري المعبرة عن أماني الامة السورية جمعاء .

ان لنا أمراً لا ينـكر مع ما حاولوا على غير طائل أن يكتموه وهو أن السوريين يطمعون باستقلال بلادهم التام وقد جاهدوا في سبيله بقوة السـلاح ولم يقاوموا الانتداب الا لأنهم اعتبروا ان هـذا التنظيم قد تم بغير رضائهم فجاء حاجزاً حصيناً بينهم وبين الاستقلال . فما كان في سورية من الفتن والثورات

وقد جرت الدماء غدراناً في تلك البلاد من سنة ١٩٢٠ وقتل في اثنائها الوف من النفوس البريئة والحرب الهائلة التي وقعت ولا تزال تجر وراءها الدمار من أكثر من سنة يؤيد قضيتنا المبسوطة فلا يحسن أن تظل الحالة الحاضرة على ماهي عليه ويجب ازالة مابين فرنسا وسورية من سوء التفاهم وأفضل شيء لذلك هو أن تسير السياسة الفرنسوية على منهاج جديد . وهذا ما يجعلنا نعرض على فخامتكم العلاجات الناجعة في معالجة المصائب التي حلت بسورية وأثرت أيضاً في المصالح الفرنسوية وليس لنا من غرض الاخدمة المصلحة الوطنية هدفنا الاسمى

والسوريون شديدو الرغبة في العمل مع فرنسا بحيث يحترم استقلال بلادهم وهذا الاستقلال المطلوب من الدولة المنتدبة الاعتراف به لايضر حقوقها ولا مصالحها فالسوريون يعقدون بينهم وبينها وثيقة تضمن هذه الحقوق والمصالح .

ان التدابير التالية ضرورية للوصول الى هذه النتيجة وتمهيد السبيل للاتفاق

١ — اعلان الوحدة السورية مع ادخال الاسكندرونة وبلاد العلويين وجبل الدروز والاراضي التي سلخت عنها وضمت الى لبنان الكبير في نطاقها .

٢ — انشاء حكومة موقتة برئاسة وطني سوري حاصل على ثقة البلاد فتحل حكومة الداماد احمد نامي بك الشركسي الاصل الغريب عن البلاد .

٣ — عقد جمعية دستورية تنتخب بملء الحرية ويعهد اليها في وضع الدستور وتعيين شكل الحكومة النهائي بكل حرية

٤ — اعلان العفو العام واخلاء سبيل المعتقلين السياسيين في الحال .

٥ — تأليف جيش وطني وابعاد العناصر الاجنبية منه والارمن والشركس المأجورين واخلاء البلاد من الجيوش الفرنسوية

ان سورية قد قاست ولا تزال تقاسي العذاب من تولي السلطة المنتدبة الحكم مباشرة وحرمانها كل حرية كحرية الجمعيات وحرية الكلام وحرية الصحافة . وليس من ضمان لحرية الافراد فانهم يبعدونهم زرافات ويقبضون على نخبة رجال الامة ومتنوريها بداعي التدابير الادارية البسيطة . وتفكيك أوصال البلاد والجري على سياسة التفريق بالاستناد الى فكرة الطائفية . ومصرف سورية وعملة الورق التي أجبرنا على التعامل بها والفظائع والمحظورات التي ارتكبها الجنود الارمن والشركس المأجورون تحت ظل الراية المثلثة الالوان .

وتعيين رؤساء الحكومة من الاجانب في البلاد من دون أن يكون لها فيهم أقل ثقة . والحكم بالقرارات دون القوانين والمحسوبية واسناد المناصب الى غير الاكفاء وغير ذلك من الامور التي نفرت الناس وكانت عبئاً ثقيلا على البلاد من الوجهة الاقتصادية .

فترى الجمعية السورية العربية في باريس ان من واجباتها أن تلفت نظركم الى هذه الامور المنكرة المتسلسلة عن انكار الدولة المنتدبة للسيادة الوطنية والاستثمار المبني على روح القوة والتسلط .

ان سورية مع شدة ميلها الى السلم تقاتل مكرهة لأنهم أحرجوها فاخرجوها وهي تسعى لجعلها أياهم يعترفون بحقوقها التي يحاولون هضمها فشعبها كان في كل زمان مناضلاً عن الحرية ومحرراً للشعوب المظلومة .

فنأمل أن تحل طلباتنا العادلة والمشروعة محل القبول وان تعضدها لدي حكومة الجمهورية ونرجو منك يا حضرة المفوض السامي أن تثق بما نكنه لك من الاحترام .

	سكرتير الجمعية	رئيس الجمعية
	ماجد العمري	حيدر مردم بك

وقدمت الشبيبة العربية – وهي شبيبة لايستهان باصالة رأيها – لحكامنا بياناً عما يكون عليه موقف السوريين في المستقبل اذا نحن لم نمنحهم مرضاتهم . واليك ماقاله الوفد السوري للمؤتمر الراديكالي :

« لنراجع الحوادث في تاريخ سورية فنجد شعباً حافظاً على جميع انظمته ولغته وأخلاقه وثقافته وقد قاوم جميع السلطات في عهد الدول التي تعاقبت عليه حافظ على جنسيته وعزيمته التي كانت تدفع عنه مطامع المتسلطين . فاذا خطر للاجنبي أن يعبث بانظمته هب هبوب النار ولم يبال بسفك دمه بحيث لم يكن يقر له قرار الابعد طرد الغزاة أو اكراههم على الاعتراف بحقوقه كما وقع له مع ايران ومصر . »

فيجب علينا أن نعير التاريخ انتباهاً ونعتبر بعبره .

وقد وقعت حادثة جديدة تدل على اهتمامنا بمصالح اللبنانيين والسوريين . ففي ١٦ أكتوبر نشرنا في « جريدة الاستعماريين والجيش الاستعماري المتحدين » ما يأتي : —

« بدت لنا في آخر دقيقة مسألة خطيرة تهمّ مصالحنا السياسيه والاقتصادية في الشرق ومصالح الاقوام المشمولة بانتدابنا .

لسكة حديد بغداد « بغداد — باهن » فرع يمر بحلب وحمص وينتهي في رياق عند الخط الضيق الممتد من بيروت الى دمشق ولها فرع آخر صغير يربطها بطرابلس وقد طلب اللبنانيون والسوريون من ست سنين وكرروا طلبهم بأن يمدد الخط العريض من طرابلس الى بيروت لخيفا ماراً في السواحل ويبلغ طوله ١٨٠ كيلو متراً ويجب أن تكون بيروت ميناء حراً فهذا المشروع كبير العائدة على لبنان فهو يخدم السياحة فيه ويعزز موسم الاصطياف ويوسع دائرة بيروت فتصبح مصرفاً للأناضول وحلب والعراق وايران .

وكان في حيازة السوريين واللبنانيين جميع الاموال والمواد اللازمة للمشروع ولكنهم أكرهوا على التنحي . والآن اشترى البريطانيون والصهيونيون أراضي واسعة في ضواحي حيفا وعندهم خمسة ملايين جنيه لانشاء مرفأ كبير بين حيفا وعكا وهم يطلبون الترخيص لهم بانشاء خط حديدي عريض في أرضنا من رياق الى حيفا ليلتحم بالخط الممتد الى مصر . وقد بوشرت المفاوضات في هذا الصدد ويقال انها موشكة أن تنتهي . فاعترض المشمولون بانتدابنا عند رؤيتهم هذا الخطر الذي يهددهم ولكن وزارة الخارجية لم تعرهم أذناً سميعة وكل ما فعلته انها أشارت عليهم بمقابلة « الريجي » التي يظن انها نالت الامتياز (؟) من دون أن تكون الحكومة اللبنانية قد أشعرت بذلك وتطلب « الريجي » أربعين مليون فرنك ذهب (هذا مبالغ فيه ولكن يظهر انها تريد أن يكون لها جرّ مغنم من المواد اللازمة للانشاء) وضمان فرنسا واشتراك سكان البلاد في المشروع الا ان هؤلاء يأبون أن يقدموا شيئاً فان مصلحة لبنان امتهنتها شركات فرنسوية كثيرة . وسنعود الى الكلام في هذه الامور ففيها ضرر لنا وتحقير لمنزلتنا .

واذا كانوا لا يريدون أن يفعلوا شيئاً عندنا فلا أقل من أن يتركوا اللبنانيين والسوريين يفعلون ولكن هذا الحل يفسد بعض التدابير . واحسرتاه ! »

ولا بد من انجاز ما بدأنا ببسطه فان ما يبديه البريطانيون والصهيونيون من انشاء خط بغداد — باهن ماراً بحلب فحمص فرياق حتى ينتهي في حيفا من

شأنه أن يقتل مينا في بيروت وطرابلس ويجرّ الخراب على قسم كبير من سكان سورية ولبنان وأن يكون كعازل لهذين الاقليمين عن غيرهما من الاقاليم في داخل البلاد وأن يكون وخيم المغبة على سياستنا الخارجية في الشرق . فلا يضطر القادمون من أوربا وتركيا وايران وأفغانستان الى الانتقال من قطار الى آخر في حمص أو في رياق بل يواصلون سفرهم في القطار القادمين فيه الى حيفا ومصر ويكون هذا أيضاً شأن البضاعة المشحونة من البلدان المذكورة فانها لا تنقل من قطار الى آخر .

وقد تقدمت المفاوضات في شأن هذا الخط الحديدي ويؤكدون في الاندية اليهودية المالية ان التوقيع علي الاتفاق على وصل هذا الخط بالخطوط الفرنسوية في الاراضي السورية ينتظر اتمامه في القريب العاجل بعد ما تقرر مبدئياً وبعد ما أجاز البريطانيون انشاء خط من حيفا الى حدود سورية في جهة رياق .

فكان لنشر هذه المقالة في ١٦ اكتوبر وضع حد لهذه المشادة الغريبة . وكان كامل بك الداعوق قد أتى الى باريس موفداً من لدن جمعية أصحاب الاملاك في بيروت فاستقبله السكرتير العام لوزارة الخارجية بعد اطلاع هذه الوزارة على المقالة الآنفة الذكر وكان قد طرق قبلا باب الوزارة على غير جدوى

ان سكة الحديد المنوي انشاؤها من طرابلس الى حيفا مارة ببيروت لم يباشر العمل فيها حتى الآن فمن يا ترى يعرقل هذا المشروع ويخدم البريطانيين الذين قرروا ربط حيفا رأساً بالعراق وبلاد ايران فالهند .

وقيل أيضاً انه ليس في بيروت أراض واسعة في جوار المرفأ وان في طرابلس أراضي أوسع وهم ينوون أن يصيبوا جرّ مغنم من هذا القبيل على ما هي عليه الحال في الدار البيضاء في المغرب الاقصى . فاذا تم لهم ذلك أصبحت طرابلس مرفأ سورية الاكبر وهم يذهلون عن الاضطرار الى تغيير الخط في حمص وان نقل البضاعة من قطار الى آخر تقتضي نفقات اضافية لا طائل تحتها وانه لا سبيل الى ترك الخط بين باريس والقاهرة غير متمم ولا تسهيل جميع الوسائل لتحسين أحوال سواحل لبنان وهي نقطة للاصطياف من أفضل النقط في الشرق .

وأرسل الوفد السوري في جنيف رسالة في ٣ نوفمبر الى المسيو بول بونكور أحد معتمدينا في جمعية الامم وهذا نصها .

يا حضرة الوزير : —

لست أول من يعطيك حقك من الثناء ويعجب بما أوتيته من المواهب السامية فانت تضع مصلحة وطنك فوق مصلحة حزبك فحبذا العمل وليس لي من وجه لانتقادك على ذلك ولكنني لا أزال على اعتقادي في أنك معتقد في أفضلية مبادىء حزبك ولولا ذلك لما بقيت اشتراكيا مناضلا عن مبادئه وقد جاهرت في خطابك في المؤتمر الاشتراكي ان فرنسا سائرة على منهاج السياسة السلمية فيحق لي والحالة هذه أن أناشدك الله بأن تقول لي هل تجري فرنسا على سياسة السلم في سورية ؟

وأرجو منك أن تجاوبني – وانت النبيل الاخلاق – هل أنت معتقد أن فرنسا واقفة موقف الدفاع في سورية وان الوطنيين يتهجمون عليها . وهل أنت معتقد أن هذه الحرب الفظيعة المشهرة بلا شفقة ولا رحمة على شعب لا يطلب الا حريته ضرورية لسلامة فرنسا ؟ . . . وهل أنت موقن أنه يكفي فرنسا لاقامة الدليل على ميلها الى السلم أن تمد يدها لمصالحة المانيا لما بينهما من المصالح المادية مع عدم اعتدادها بغيرها من الشعوب ؟ . . . وهل أنت موقن أن المسلمين في سورية وهم الذين لم يؤذوا مسيحياً واحداً في أربع سنوات ونصف حين كانت الحرب العالمية تطحن الناس بارحيتها طحناً وكانوا يعاملون الاقلية المسيحية العائشة بين ظهرانيهم معاملتهم لاخوانهم ينقضون الآن وقد حرروا من نير عبودية الترك على هذه الاقلية ويفتكون بها فتكا ؟ فحين كانت القوة بجانبنا وكنتم أنتم بعيدين عنهم لم نفعل ذلك فلماذا نفعله الآن بعد مافاز الحلفاء وأصبحنا ضعفاء ؟

لقد مضى ثمانية عشر شهراً والحرب مشتعلة نيرانها في سورية وبلاغات حكومتكم الرسمية تذكر بالمباهاة خسارة الثائرين وقد بلغت ١٦ الفاً حتى الآن ماعدا النساء والاولاد فان هذه البلاغات تتجاوز الالماع عنها بالطبع . فماذا فعلت أنت وأنت زعيم اشتراكي ومن رجال الحكومة أيضاً لتضع حدا لهذه الحالة . . ؟

لقد دمر نحو خمس مئة قرية وأصبح قسم من مدينة دمشق خرابا وباتت سورية في حالة شقاء لا توصف ومع ذلك نرى حزبكم واقفاً وقفة المتفرج على حوادث هذه المأساة فليس فيها فائدة أدبية أو مادية لفرنسا . واذا لم يستتب السلام

فليس الخطأ واقعاً علينا فقد توجهنا مرتين الى باريس سعياً وراء الاتفاق الا أن المبدأ الاستعماري المعتصم بغرزه رجال حكومتكم الميالة الى السلم احبط جميع مساعينا السلمية .

يديرون دائما ذكر سؤدد فرنسا في الشرق ولكن السوريين ليسوا أغرارا بحيث يتوهمون ان فرنسا اضطرت بحكم القوة الى منحهم السلم والحرية وهي الدولة التي ذللت أعظم دولة حربية في هذا العصر . . .

ويزعمون أيضاً — وجميع المزاعم جائزة عندهم ليضنوا علينا بالسلم — اننا ليس لنا صفة قانونية للمفاوضة لعقد اتفاق وأننا لا نمثل الشعب السوري فياليتك تذهب بذاتك الى سورية ياحضرة المسيو بول بونكور لتتحقق صفتنا القانونية للمفاوضة باسم السوريين ونحن نذعن لنتيجة التحقيق الذي تجريه . وقد شاؤوا مع ذلك أن يفاوضونا غير مرة واذا كانوا قد وجدونا سلسي المقادة لرغائبهم فنحن من بين السوريين لنا صفة حقيقية رسمية للاتفاق مع فرنسا باسم السوريين . . . وقد ارتكبنا جريمة لا تغتفر بتجرؤنا على طلب الحرية الحقيقية . واذا كانوا في الحقيقة راغبين في السلم فانهم يستطيعون ان يعقدوه بدوننا فالامر الذي يهمنا هو أن ننال حقوقنا الشرعية بأي طريق كان

وأختم كتابي ياحضرة الوزير مؤملاً أن أراك أنت وحزبك منتبهين الى قضيتنا ومكترثين لماهو جار في سورية وهذا اذا كنتم تريدون أن تبقوا على ماكنتم عليه وتحافظوا على شيء مما هو باق من مبادىء الثورة الفرنسوية الشريفة . فتفضل ياحضرة الوزير بقبول سامي احترامي »

ويؤيد هذا الكتاب صحة ماقلناه قبلا عن موقف حزبي الراديكال والراديكال سوسياليست وجمعية حقوق الانسان تجاه القضية السورية .

ولا نختم الكلام عن حوادث سنة ١٩٢٦ قبل أن نورد شيئاً من كتاب للمسيو جورج فوشه عنوانه « تأثير سورية ولبنان » فهذا الصحافي الصادق قد أراد أن يبصر وكانت له جرأة عظيمة على التفوه بكلام الحقيقة وهذا نادر في أيامنا :

« اذا نظرنا الى الجهة الاقتصادية وجدنا القسم الاكبر من البلاد في حالة الشقاء واذا كانت مشاريع البناء وأعمال الري وتوسيع نطاق الزراعة والصناعة تقدم

بكثرة فان وضعها موضع الاجراء نادر ولا يرجى من ورائها تعويض عما أتلفته الحرب الاهلية .

واذا نظرنا الى الجهة السياسية وجدنا التناحر بين ممثلي الدولة المنتدبة والبلاد المشمولة بالانتداب يزداد على ماكان عليه في صدر الاحتلال . فان لبنان الشديد الاعتصام بحب فرنسا وقد استقبل الجيوش الفرنسوية كمنقذين له بردت حدة حماسته عند رؤيته منازع المفوضية العليا الى الاستعمار . أما وقد أنشئت فيه جمهورية فان السكان جاهروا باستيائهم من اتحافهم بهذا النظام السياسي المعقد والكثير النفقات ولم يذهب عنهم أن السلطة الحقيقية لاتزال في قبضة المفوضية العليا . فلبنان أصبح بعد ما خابت آماله قليل الثقة وكثير النفور.

أما في سورية فالحالة أشد ففظائع الحرب الوطنية واعدام الجماعات واتلاف المواسم واطلاق المدافع على دمشق والقرى المجاورة لها والنهب وغير ذلك من الاعمال سواء كانت عادلة أوجائرة أوجدت وهدة عميقة بين ممثلي فرنسا وسكان البلاد .

يلين الناس مجستهم للقوة العسكرية ولكن الثورة تظل كامنة في صدورهم ولا أجد لفظة أعبر بها عن حالة الدمشقيين النفسية الا لفظة « حنق » . ويدل ذلك على أن خضوعهم المكرهين عليه لايلبث حين تؤاتيه الاحوال أن يتحول الى ثورة وقد نالهم القنوط من وجود مخرج من موقفهم المؤلم . . .

وقد كان من نتيجة أحتلال فرنسا لسورية ولبنان ست سنوات بذلت في أثنائها مالاً كثيراً وجهداً عظيما اخفاق أدبي ومادي وخيم التبعة .

فقد كان ممكناً التوفيق بين مصلحتي فرنسا ولبنان في سنة ١٩١٩ وقد يكون ذلك ممكناً أيضا بين فرنسا وسورية ولكن المصالح المشتركة بقيت على حالها ومع ذلك اذا سار الفريقان على طريق الصدق والشهامة أمكن التوفيق بينهما ولو جاء متأخراً . »

وجاءني كتابان يهم الاطلاع عليهما لما تضمناه من التعبير عن الحالة النفسية في البلاد فالاول انتهى الي من سورية واليك خلاصته :

« ثرنا على الترك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ فكان موقفنا والحالة هذه موقف الثوار لان بلادنا كانت جزءاً من أجزاء السلطنة العثمانية ومع ذلك لم

يشنق الترك منا الا بضع عشرات وقد كانوا قادرين أن ينزلوا أشد العقوبة بالالوف . أما فرنسا فنحن لسنا من رعاياها وقد كان مقضياً عليها أن تكون ملاذنا ومع ذلك قتلت ولا تزال تقتل من سنة ١٩١٩ الوفاً من ذوينا ابتغاء توطيد أركان سيادتها . فمن من الاثنين أشد همجية من الآخر . لنرجع الى التمرس بالترك . . . »

أما الكتاب الثاني فهو من صديق لي من موارنة لبنان واليك خلاصته :

« يكثرون من الكلام عن الوحدة اللبنانية السورية فلا يسع الانسان أن يبدي رأياً في هذا الامر الاحين يكون بذاته في البلاد فالناس الذين تعودوا الصراحة والصدق يتوهمون بداهة أن المسألة سهل تحقيقها ولكنها امسألة متناهية في الدقة وعندي أن كل ما يدبرونه لنا في وزارة الخارجية عندكم لا يفضي الى نتيجة يصح الوقوف عندها وأفضل حل لهذه العقدة ترك اللبنانيين يتفقون مع السوريين عليه ويفضون الخلاف الذي أثاره أصحاب المصلحة ففي كلا الفريقين عقلاء تهب في صدورهم نسمات الوطنية ويهتدون بمشكاة الذوق السليم والرصانة وقد عاشوا عشرات من السنين بالوفاق التام والوئام ماعدا بعض أحوال وقعت فيها حوادث مؤلمة حركت عواملها الايدي الاجنبية . ولم يبق للمسائل الدينية ما كان لها في الماضي من اثارة دفائن الاحقاد . فلا يبتغي أصحاب الاحلام الراجحة أن تبقى السياسة التركية المشهورة « فرق تسد » عابثة بعواطفنا ومتسلطة على أفكارنا فقد كان لها عهد وانقضى . »

الفصل الخامس

سورية ولبنان (١٩٢٧)

ختمت سنة ١٩٢٦ وافتتحت سنة ١٩٢٧ بحملة شديدة من الجرائد والمجلات والكتب في فرنسا على اللجنة السورية الفلسطينية وزعمائها وعلى بطريرك الموارنة . وقد كتبنا شيئاً عن اللجنة السورية الفلسطينية في القاهرة فانها تتألف من رجال جد وعمل من جميع الاديان وكان غرضها أن تعرف جمعية الامم والعالم طرا بحقيقة حوادث سورية وأماني سكانها الشرعية وقد رأى كثيرون أملاكهم محجوزة في وطنهم وأحكام الاعدام صادرة عليهم وسنرى في آخر هذا الفصل الخفة التي تلجأ اليها دوائرنا في تلك البلاد في تقديم الافادات عن أولئك الوطنيين

ومما لا بد من التنبيه اليه هو ان ابطال الاستقلال المناضلين عنه مقيمون في سورية وان اللجنة ليست الا ناقلة لاصواتهم . فهمة الوطنيين السوريين مبنية على المنطق وأصرح بأني لا أفهم طريقة العمل التي يسيرون عليها في فرنسا . فهل السوريون رعايانا أم لا ؟ وهل سورية لنا أو أنه ليس لنا عليها الا الانتداب بحسب ما قرر برنامجه في عهد جمعية الامم ؟ واننا وسعنا دائرة هذا الانتداب على هوانا بمجاملة بعض الدول لنا .

لا يضعب علينا الجواب بصراحة على هـذين السؤالين . واذا كان الامر كذلك أفلا يكون للمظلومين الحق المطلق بالدفاع عن أنفسهم والتظلم من الجور النازل بهم ؟

فنحن الفرنسويين الذين يجري حب الوطن مع الدم في عروقنا هل احتكرنا هذه الخلة وأنكرناها على غيرنا ؟

وتسهل معرفة سبب سخط الذين يقذفون بالشجب اللجنة ويبتغون ملاشاتها وقد بذلت المساعي في القاهرة لحمل الحكومة المصرية على اخراج أعضاء هذه اللجنة من بلادها ولكن لم تنجح هذه المساعي . ولم يثبت قط أن اللجنة جهزت السلاح للثائرين فان هـذا السلاح يأتيهم من جهة أخرى فاللجنة وزعت

اعانات على المنكوبين وطلبت أن تبين دفتر حساباتها وقد رفعت صوتها منكرة ما نسب اليهـا . أما زعماؤها الذين يحبون وطنهم فانهم بذلوا وقتهم وراحتهم وأموالهم وتجرعوا غصص الاهانة وجللت اسرهم بالعار ومن جملتهم الامراء آل لطف الله . وهب كانت لهم مطامع فهـذا حق من حقوقهم لا يسع أحداً أن ينازعهم فيه . فمن كان خالياً من المطامع سواء كان من الصناع أو العمال أو الساسة كان مغفلاً لا يصلح لشيء . فأي نائب في مجلس النواب وأي شيخ في مجلس الشيوخ لا يطمع في أن يصير وزيراً أو رئيساً للوزارة أو حاكماً عاماً أو رئيساً للجمهورية ؟ فلم انتدب للدفاع عن هؤلاء الامراء ولكنني أريد أن أصلح الخطأ المقصود عمداً وأن أبين أيضاً الخطأ الذي ارتكبوه وجعل موقفهم مستهدفاً لنبال الملامة وعرفان الجميل لخدم متواصلة فليس التواضع من خصائص جميع الناس

وقد تحاملت عليهم جريدة « صدى باريس » مغلظة الكلام في عـدديها الصادرين في ١٢ يناير و ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٧ وأبت أن تنشر الكتاب الذي وجهه اليها الامير حبيب لطف الله رداً على تحاملها عليـه وعلى شقيقيه فنحن ننشر هذا الكتاب :

باريس في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٧ — نزل رتز بشارع كمبون

حضرة هنري سيموند مدير جريدة « صدى باريس » باريس

سيدي المدير :

نشرت جريدتك في ١٢ يناير الماضي في العمود الاول من الصفحة الثالثـة مقالة بتوقيع « برتيناكس » نسجت على منوال الغدر والتحقير بحقنا وقد اطلعنا عليها أخيراً . فنحن نرجو منك أن تنشر بلا تأخر بموجب القانون جوابنا في الموضع نفسه الذي نشرت فيه المقالة التي تهجموا بها علينا .

فلنبدأ بالكلام عن اللجنة السورية الفلسطينية : لم يكن لها سوى غرضين أن تشعر جمعية الامم والعالم طراً بالحيف الواقع على وطننا وأن تمد يد المساعدة (كما فعلت قبلاً في أثناء الحرب الايطالية التركية سنة ١٩١١ وسنتي ١٩١٤ و ١٩١٨) الى السوريين المنكودي الحظ الذين أوصلهم الى درك الشقاء اطلاق المدافع عليهم وتدمير منازلهم ونهب مقتنياتهم . وقد وزعت هذه الاعانات على يد جمعية الصليب الاحمر السويسرية ثم على يد جمعيات الصليب الاحمر المحلية .

وكانت أعمال لجنتنا تتمة لاعمال اللجنة الوطنية العربيـة (١٩٠٤) ولجنة النادي السوري ولجنة الاتحاد السوري فقد اندغمت جميع الاحزاب فيها وقد قرر مثل هذا الامر أخيراً المؤتمر العربي الذي عقد في الولايات المتحدة. وللجنة رئيس منتخب وهو الامير ميشال لطف الله.

ولا تتلقى الجمعيـة اعانات من الاجانب وتثبت ذلك دفاتر حساباتها وغايتها سياسية وانسانية ليس الا. أما علاقاتها بالثوار في سورية فهي ضرورية لكي تتسنى لها معرفة الحقيقة وهي طبيعية فالسوريون ثاروا في خلال الحرب طمعاً باصابة حريتهم وقد ضمنت لهم هذه الحرية وثيقة سنة ١٩١٥ التي سبقت ثورة شريف مكة. ولم يذعن السوريون قط للمقررات التي قررت بلا معرفتهم. ولا بأس من ذلك لو كان الامر متعلقاً بفرنسا «لترشد بلادنا بمشورات ادارية فقط» على ما قرره عهد جمعية الامم ولـكن التنظيم الحالي أي «الانتدابات» هو عمل من جهة واحدة فليس السوريون والفلسطينيون رعايا فرنسا أو بريطانيا العظمى وليسوا خونة ولا عصاة بل وطنيين ومن المقضي على اخوانهم في الوطنية أن يصيخوا لهم ويعضدوهم في الخارج. وأما ما يتعلق باسرتنا فقد كان يجب على محرر جريدتك أن يتحرى الحقائق فهي شريفة الاصل قدمت من انطاكية الى مصر في سنة ١٨٥٢ لأسباب سياسية وجاءت بأموالها وما لبثت أن باشرت الاعمال التجارية الـكبرى للتصدير والاستيراد بين السودان ومصر وأوربا وتوفي لطف الله بك كبير الاسرة في سنة ١٨٦٧ في الخرطوم ودفن فيها بمجالي الاكرام التي يستحقها مقامه. وتوفي طنوس لطف الله في سنة ١٨٧٠ في بيروت واشتركت الحـكومة المحلية رسمياً في الاحتفال بمناحته وماتزال أملاكه في بيروت.

وعقد الحسين شريف مكة في سنة ١٩١٥ معاهدة مع بريطانيا العظمى عينت بموجبها الاقاليم العربية التي يجب أن تسلخ عن الدولة التركية وتستقل. ولما تم التوقيع على هـذه المعاهدة استنفر جميع العالم العربي لمناصرة الحلفاء في الحرب وحال دون حدوث الجهاد المقدس الذي كان سـلطان الاستانة يدعو اليه. واعترف جميع الحلفاء بجلالة الحسين ملـكا. واشترك في مؤتمر الصلح ولا يزال كرسيه فارغاً في جمعية الامم بجنيف.

وكان والدنا حبيب لطف الله حاصلاً على لقب باشا وهو لقب شرف أنعم به

عليه ملك مصر مكافأة له على خدم أداها للبلاد واعترافاً بما كان عليه من الصدق والاستقامة في حياته وأنعم عليه الملك حسين في سنة ١٩٢٠ بلقب أمير مع حق انتقال هذا اللقب الى ذريته من بعده . وكان لجلالته الحق المطلق بان يكافىء أسرتنا بأن يمنحها لقباً عربياً مجازاة لها على كل ما فعلته في سبيل الوطن . أولم يفعل ملوككم وأمبراطرتكم مثل هذا الأمر في بلادهم من دون أن ينكر عليهم أحد شرعية الالقاب التي منحوها . ومثل هذا العمل يجري في جميع البلدان .

وتوفي والدنا في القاهرة في سنة ١٩٢٢ وله من العمر ٩٥ سنة وشهد مناحته ممثلون من لدن صاحبي الجلالة ملك مصر وملك البلاد العربية والوكالة البريطانية وشيع الجنازة وزراء الدول المفوضون والقناصل وكبار رجال الحكومة المصرية ورؤساء الاديان والكبراء وزعماء الاحزاب السياسية الوطنية . وأرسل جيش الاحتلال البريطاني الموسيقى العسكرية بأمر قائده الاكبر .

وقد بذل أولاد لطف الله جميعهم مجهودهم من عشرين سنة لينفعوا وطنهم فانتخب الامير ميشال في سنة ١٩١٠ عضواً الأول جمعية اشتراعية في مصر بصفة كونه ممثلاً للجالية السورية . ولما نشبت الحرب البلقانية في سنة ١٩١٢ انتخبت جمعية الهلال الأحمر التي يرأسها الأمير محمد علي شقيق الخديوي والتي انتظم في عضويتها أمراء آخرون الامير ميشال أميناً لصندوقها وبعد ما ترأس الامير ميشال جمعية الاتحاد السوري انتخب رئيساً للجنة السورية الفلسطينية . وكان الامير حبيب في سنة ١٩١٣ ملحقاً بالسفارة العثمانية في لندن ثم جعل مأمور معية لوالي بيروت في سنة ١٩١٤ فرئيساً للجنة الدفاع وأخيراً المأمور الاكبر لتشريفات الملك حسين فسفير الحجاز في أوربا . ونظم الامير جورج مشاغل دمشق وبيروت والقاهرة وألف جمعية الاسعاف لمنكوبي سورية .

والخطأ الوحيد الذي ارتكبناه هو في انظار بعض الاستعماريين الغربيين استعمال ثروتنا للدفاع عن مصالح وطننا

انك تدرك ذلك بصفة كونك فرنسوياً ولكن تتوهم أنه يجب أن يكون الانسان وطنيا لفرنسا فقط وقد كان من المقضي عليك أن توسع دائرة نظرك وعقلك فتفتكر أن مثل هذه الافكار تكون عند غيرالفرنسويين أيضاً من دون أن تسعى لتسويد صحيفتهم .

أما الغاية التي نرمي اليها فهي اعتبارنا أن من مصلحة فرنسا أن تعيش باتفاق تام مع بلادنا وهذا هو السبب الذي من أجله نسعى لعقد معاهدة مبنية على العدل والصدق مع فرنسا ومع بريطانيا .

فتفضل ياحضرة المدير بقبول عواطفنا الممتازة

(التوقيع) حبيب لطف الله

حاشية — انتهت الينا نسخة من جريدة المقطم الكبرى التي تصدر في القاهرة رقم ٤ فبراير سنة ١٩٢٧ وفيها احتجاج من كبراء رجال الحزب الوطني السوري على مقالتك ونحن نبعث اليك بترجمتها :

« قرأ السوريون المقيمون في مصر وسورية مقالة « صدى باريس » الصادرة في ١٢ يناير سنة ١٩٢٧ وينتقد كاتب المقالة اللجنة السورية الفلسطينية لانها مناوئة للسلطة الفرنسوية في مزاولة الانتداب وينتقد الامراء آل لطف الله الذين — بحسب زعمه — يهربون السلاح والذخائر ويقول أيضاً أن هذه الاسرة لاتستطيع أن تظهر في سوريا لنفور الشعب منها .

فنحن الموقعين أسماءنا أدناه نجيب على هذه المقالة بقولنا أن كل ما كتب افتراء وكذب وصوت الشعب العام يريد أن تظهر اللجنة هذه الحقيقة ونحن باسم جميع السوريين المقيمين في سورية وفي خارجها نقدر ما قام به آل لطف الله الكرام ومعاونيهم الوطنيين الملتفين حولهم والمدافعين عن القضية السورية الفلسطينية من الخدم حق قدرها فهم حاصلون على ثقة الجميع واحترامهم . »

ويتلو ذلك التواقيع الآتية : أحمد فوزي البكري . بشير البكري . شوكت حلباني . شفيق العتري . وديع سليم مرشاق . مكرم الكيلاني . سعيد الترمانيني مصطفى أحمد . محمد البحاري . محمد عزت القاسم . حسن الطرابيشي . أحمد أديب خير . عبد الرحيم سلطان . زيد الطويل . مصطفى غانم . مسلم صدقي . عبد الله المهيري . أحمد حمدي النجار . يسين الهاشم . كمال حسن الحوت . صبحي الهاشم عبد الرحيم الحسامي . رؤوف الحوت . محمد تيسير الحلبي . عبد الوهاب . عبده دابوح . عبد الوهاب الحلبي . محمد على صوان . محمد حسين صوان . محمد خير الدين الطباع . محمد سعيد . مصطفى الصواف السيرافي . نجيب شهاب . تيسير ظبيان . أحمد ابراهيم . عبد الكريم العطار . محمد توفيق الدمشقي . حسني رجا .

محمد توفيق القيسي . ابراهيم دروط . سليم دروط . وغيرهم »

أما ما سعوا اليه في باريس فهو أضعاف مهمة هؤلاء الامراء واللجنة السورية الفلسطينية والقاء الخلاف فيما بينهم . وقد شهدت حركاتهم التي نظمها سادة وسيدات من كبار القوم لهم صلة ببعض الوزارات وقد نجح قسم من تلك الحركات فأقنعوا الامراء بصرف النظر عن طلب نشر البيان الذي تقدم ذكره وأشاروا عليهم بالصمت قائلين لهم انه خير وأفضل لنجاح مهمتهم وضمان مستقبلهم. وقد كان سماع هذه الآراء المضرة خطأ فاضحاً لا أرى مندوحة عن الاشارة اليه

على أنه لو كان رجال السياسة الذين يتربون في مثل هذه الاوساط المحيطة بها أسباب التكتم والتعقل كما تربى هؤلاء الامراء وجروا على عاداتهم المألوفة لما أعاروا هذا الامر أدنى أهمية ولا سيما لان الرأى العام يؤثر في الحكومة في فرنسا . . ولم يجاوب الامراء آل لطف الله بشيء وقد دل ذلك على أن هؤلاء الامراء كانوا مخطئين في نظر ذلك الرأي في كل مايتهمونهم به وقد تناولت هذه التهمة اللجنة السورية الفلسطينية ولم يشعر الامراء ولا سورية ولا اللجنة بالضرر الذي نجم عن ذلك فلو كانوا قد أصاخوا الى رأيي لما كان المسيو فرنكلين بويون رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب قد تجرأ على التجني عليهم وانتقادهم بذلك الانتقاد المر . واذا كان — كما يزعمون — لأكثرية النواب الحاضرين رأي مخالف لرأيه فانهم لم يجاهروا به بعد نشر بلاغ في الصحف . فلم يحتج أحد منهم على ذلك البلاغ ولو كانوا قد أظهروا موقفاً شديداً وغضبوا غضبة مضرية وأبدوا وطنية صادقة لكان الرأى العام قد انقلب معهم فان عقليتنا نحن الفرنسويين ندرك هذه الامور الدقيقة ولا أكتم أني قاسيت عذاباً نفسياً شديداً مما كان من الخطأ الفاضح بحق هؤلاء الوطنيين وقضيتهم المحمودة .

وتتكرر الآن الامور عينها على أثر برقية الامير ميشال جواباً على تصريحات المسيو بونسو واليك الكتاب الذي وجهه الامير حبيب الى جريدة « الاكسيون فرانسيز » جواباً على مقالة نشرت فيها بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٧ ولم تنشر الجريدة هذا الكتاب :

باريس في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٧

حضرة مدير الاكسيون فرانسيز . شارع رومية عدد ١٢ (باريس)

حضرة المدير

قرأت في « الاكسيون فرانسيز » بتاريخ ١٠ اكتوبر بعنوان « فرنسا في سورية » مقالة تتعلق بنا وتحتاج الى ايضاح .

فأكون شاكراً لك ان أنت أردت أن تنشر جوابي في الموضع الذي نشرت فيه المقالة المذكورة وذلك بحسب العادة النبيلة التي تجري عليها الصحافة في بلادكم .

واني أرغب يا حضرة المدير بأن يأتي أحد أفراد اسرة لطف الله للمرة الثانية ويجاوب على المفتريات القبيحة التي شاء بعض كتابكم الذين مروا ببلادنا أن يقذفونا بها وقد ساءني أن أرى صحيفة وطنية رصينة كصحيفة « الاكسيون فرانسيز » تنخدع بالترهات ولا سيما حين تصدر هذه عن أشخاص لهم أغراض خاصة فانهم بأفكارهم المتطرفة يسعون لالقاء الخلاف وتقليم حد كرامة الدولة المنتدبة بصيغة لا تقدم عليها الجرائد المتطرفة في معاداة فرنسا

فاسمح لي يا حضرة المدير أن أشدد النكير على ما يحاولون أن يلصقوه بنا من عواطف العداوة لفرنسا فأنا وشقيقاي نصرح على رؤوس الاشهاد بأننا مع محبتنا لبلادنا سورية محبة ما وراءها من مزيد لا ناقي في ذلك ما يحول دون اعتبارنا فرنسا دولة من الدول العظيمة اللواتي يمهدن لنا سبيل الهناء . ونحن لا ندخر شيئاً فى سبيل مساعدتها لادراك هذا الغرض بحيث ترضى بأن تصون استقلالنا الوطني . وقد أبدى كبار رجال فرنسا في البرلمان وفي غيره وطنية حقيقية لما فهموا مقاصدنا الحقيقية نحو حكومة الجمهورية ووعوها في صدورهم فنشكرلهم هذه العاطفة النبيلة التي أنشأت تقرباً صادقاً ونهائياً بين أمتين مرتبطتين بأواصر صداقة قديمة .

فتفضل يا حضرة المدير بقبول فائق احترامي التوقيع

حبيب لطف الله

أما الامير ميشال لطف الله رئيس اللجنة السورية الفلسطينية فانه أرسل من القاهرة الى « الاكسيون فرانسيز » البرقية الآتية :

« قرأنا برقية وهي خلاصة مقالة نشرتها جريدتكم الراقية واتهمت بها اللجنة السورية الفلسطينية والامراء لطف الله بامدادهما بالمال الثورة الدرزية

وانفاق المبالغ الطائلة . ولما كنا نعرف استقامة جريدتكم فنرجو أن تصلحوا الخطأ بما يأتي :

لم تتلق اللجنة مالاً قط وعليه فمن المستحيل أن تهتم بمعاضدة الثورة الدرزية بأموال غير موجودة وبالتالي عدم انفاق المبالغ الطائلة . ثم يتهموننا في المقالة بأننا من ألد أعداء فرنسا فهذه التهمة باطلة أيضاً »

ان جريدة « الاكسيون فرانسيز » قد ارتكبت خطأ بتكلمها باسم جماعة من غلاة اللبنانيين ما عدا تهجمها الشخصي فلبنان القديم أو الصغير ليس سورية ويخطىء من يبحث في هذه المسائل الدقيقة من دون أن يكون مطلعاً على خفاياها وسنعود الى الكلام عنها في فرصة أخرى .

أما غبطة السيد الياس الحويك بطريرك الموارنة فانهم لم يوفروا عرضه ففي أواخر سنة ١٩٢٦ وفي شهر فبراير من سنة ١٩٢٧ تهجمت عليه جمعية حقوق الانسان والصحف واحد الكتاب ولكن هذه الحملة التي حملوها عليه لا يعتد بها كما لا يعتد بالحملة التي حملوها على اللجنة السورية الفلسطينية وقد جاهرت بذلك في اجتماع بنادي « الكلوب دي فوبورغ » في شهر فبراير سنة ١٩٢٧ . ولا يخفى ان البطريرك الماروني لبناني قبل كل شيء فهو يدافع عن وطنه وتأتي فرنسا بعده في المرتبة عنده . وقد فاه في سنة ١٩٢٦ بالكلمات الآتية بلهجة شديدة امام بعض كبار الموظفين الذين أرسلهم اليه المفوض السامي :

« ماذا أتيتم لتعملوا عندي ؟ فاذا كنتم آتين كزائرين فاهلا وسهلا بكم ولكن اذا كنتم آتين لكي تحدثوني عن أعمالكم فأني أؤكد لكم ان هذا الحديث لا يسفر عن شيء . فقد شئتم أن تفعلوا كل شيء على هواكم من دون أن تستشيرونا فاكملوا عملكم ولكن احب أن أقول لكم انكم اذا كنتم تمثلون فرنسا عندنا من ثلاث سنوات فانا امثلها من خمسين سنة وأنا اخبر منكم بما تحتاج اليه بلادي والوسائل التي يجب التوسل بها لتوطيد أركان نفوذ فرنسا وأقول لكم أيضا اني عرفت كيف أصير اسم بلادكم مكرماً في لبنان

فماذا تريدون أن أقول اليوم لجميع الوفود القادمة اليّ باسم جميع الطوائف والمذاهب من جميع أنحاء لبنان للاحالة عليّ باللائمة على كوني سبب مجيء

فرنسا الى هذه البلاد والقاء تبعة مسؤولية الحال الحاضرة عليّ ؟ فاصرح لكم ياحضرة السادة بأني من الآن فصاعداً غير مسؤول عن كل ما يحدث في لبنان . لقد شئتم انتهاج هذه السياسة فامضوا في سبيلكم وقد كنت منتظراً على الاقل أن تنتظروا موتي اعترافا بكل ما فعلته لاجلكم قبل أن تفعلوا ما فعلتموه ولا اتأخر عند الاقتضاء عن ابلاغ مطالب وطني الى حكومة باريس والى جمعية الامم أيضاً »

وبعد أشهر رفع صوته في الديمان وقال :

« لفرنسا أن تتركنا اذا شاءت ولكن عليها أن تشعرنا بذلك . فثمت دول اخرى يهمها كثيراً ان تصيب ما بذلناه من العواطف نحو فرنسا . »

ان مثل هذا الصديق الحميم لفرنسا لا يفوه بمثل هذا الكلام الا حين يرى ان الكيل طفح وحينئذ اغتنم ذو الاغراض الفرصة وقالوا ان السيد الحويك أبدى في أثناء الحرب احتفاء شديدا بجمال باشا صاحب الامر والنهي في الشرق على ان الامر بسيط جداً فان اللبنانيين ومسيحيي سورية وفلسطين وجدوا أنفسهم منفردين يحيط بهم الترك والالمان المعادون ولم تكن تصل اليهم من الخارج مساعدة أو مؤونة وكانوا معرضين للقتل والموت جوعاً . فقد كان والحالة هذه مقضياً على رعاتهم أن يبذلوا كل مجهودهم لتخليصهم من مخالب المنية

وكان ان التعصب الديني الاسلامي المزعوم تدخل حينئذ ولكن ليس ليزيد الخطب استفحالاً وكان الالمان في غاية الاحتياج الى المؤونة فرخصت حكومة تركيا بجلبها لهم من بلادها فأقبل جمال باشا على تسهيل تموين الالمان بقدر استطاعته . وأنشأ الامير شكيب ارسلان المسلم مع قرينته مشاغل كانا يستقبلان فيها الناس من غير ما تمييز بين مذاهبهم الدينية .

وعندي نسخ عن رسائل وجهها الى جمال باشا غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس والبطريرك الحويك والسيد ديمتريوس قاضي القائمقام البطريركي للروم الكاثوليك ولكنني لم أستخدمها قط . وكان جمال باشا قد طلب في مقابل عطفه بيانات كان الالمان يريدون أن يستخدموها ليبرئوا أنفسهم في أنظار العالم فلم ير أولئك الرؤساء الروحيون بداً من اجابة طلبه ليحفظوا أرواح المسيحيين وقد كان الاولى بمن يتحاملون على غيرهم للغض من كرامتهم أن

يصمتوا فهم ذوو أغراض شخصية ولم يتولوا ادارة من الادارات .

ولا التى بدأ من اذاعة حادث سياسي لايزال ملقى وراء ستار الكتمان فمن المشهور انهم وعدوا أصدقاءنا في الشرق بمواعيد خلابة في سنة ١٩١٤ ولكن هل يعرف الناس كيف تصرفنا نحن وحلفاؤنا معهم وماكان من وراء خذلاننا لهم من دخول اليأس عليهم ؟ وقد تلقيت هذه الاخبارمن الاميرحبيب لطف الله نفسه .

الفت تركيا نفسها في سورية في سنة ١٩١٥ بين هجمات الانكليز من جهة غزة وأسطول الحلفاء في الدردنيل والجيوش الاستعمارية في العراق وحين شعر الالمان والترك بعجزهم عن توقيف تيار الحلفاء الهاجمين على البلدان العربية عملوا عملا يماثل ماعمله الجيش الروسي المنتصر الزاحف الى بولونيا فاجازوا تأليف لجان الدفاع الوطني ليسهلوا لها الاتصال بالحلفاء واصابة استقلالها . فتألفت لجان في جميع البلدان العربية وكان حبيب بك لطف الله معاون والي بيروت في ذلك العهد رئيساً للجنة الدفاع الوطني فى سورية وكان من مهمته توحيد الرأي العام فى البلاد والاتفاق مع اللجان الاخرى . وكان الزعماء يلتفون حوله دائماً وذلك برضاء الحكومة التركية رغبة في الوصول الى النتيجة التي كانوا يتوخونها . وكان الباب العالي ويلدز قد قبلا كل شيء : الاستقلال الخ الخ

ولكن عبثت يد الخلاف بين الحلفاء فخبطت جميع المساعي وخذلوا الجنرال تونسند فاسر في كوت العمارة وأخلى الجيش البريطاني غزة وبدلا من أن تذهب فرنسا الى سورية ذهبت الى سلانيك .

وكان الترك والالمان يظنون أن النصر سيميل اليهم فغيروا موقفهم من هذه الجهة وأمروا بحل لجان الدفاع الوطني وأنزلوا جميع ضروب المظالم بالبلدان العربية وتفرق الامير حبيب لطف الله وقسم من أعوانه في مصر وسويسرا واسبانيا . ولابد من أن نضيف الى قولنا هذا خبر حادث خطير وهو أنه في أثناء عمل لجنة الدفاع الوطني استقال حضرة أوهانس قيومجيان باشا متصرف جبل لبنان بعد مذابح الارمن فرشح الامير حبيب لطف الله ليخلفه ورضي الباب العالي بذلك . وكان اللبنانيون ينوون أن يستقبلوا حاكمهم الجديد بغاية ما يكون من مجالي الاحتفال والاحتفاء الا أن جمال باشا خشي العاقبة فأمر

بمنع تلك التظاهرات وكتب الى الاستانة يبين لها المحاذير من تنصيب الامير حبيب لطف الله متصرفاً على لبنان ويقول ان توليه رئاسة لجنة الدفاع الوطني تنشىء العراقيل وتوجد حكومة ضمن حكومة فأعارت حكومة الاستانة ملاحظة جمال باشا اهتماماً وعينت علي منيف بك متصرفاً .

ونختم هذا الدور المحزن من التاريخ بقولنا ان الحلفاء فكروا في سنة ١٩١٦ بتدبير جديد كانت فاتحته عقد وثيقة بين حسين ومكماهون وكانت خاتمته بعد صلح سنة ١٩١٨ الحرب الاهلية ووعد بلفور والانتدابات واضطرار الملك حسين في سنة ١٩٢٥ الى ترك الحجاز والذهاب الى المنفى في قبرس وقد كان ضحية السياسة . ولنعد الآن الى موضوعنا بعد ما خرجنا عنه .

وكانت نهضة اللجنة السورية الفلسطينية في سنة ١٩٢٦ وفي مفتتح سنة ١٩٢٧ باعثاً للحكومة الفرنسوية على مقاتلة الذين تجرأوا على الدفاع عن وطنهم . وكان القصد من تجريد أعضاء هذه اللجنة من صفة الوكالة الرسمية ابطال تأثير احتجاجاتهم على المظالم التي أنزلت في البلاد لان الرأي العام في العالم وفي جنيف كان ميالاً الى سماع تظلمهم .

ولاينبغي لنا أن ندهش من هذه الخطة التي جروا عليها بايعاز من الحكومة فقد أوشكنا أن نذوق جناها المر في سنة ١٩٢٢ فى ما يأنس فأساليب الحكومة لا تتغير .

وكانت وزارة الخارجية ناقمة نقماً شديداً على اللجنة السورية الفلسطينية من جراء تنظيمها مذكرة شديدة اللهجة جواباً على تصريحات المسيو دي كاي ممثل فرنسا في لجنة الانتدابات وكان هذا قد دفع تصريحاته الى الصحافيين الاميركيين وسننشر المذكرة المذكورة في باب الذيول في آخر الكتاب .

وبينما كانت هذه الدسائس تدس في باريس كانوا يعقدون المؤتمر العربي في الولايات المتحدة فقد أكرمت وفادة الامير شكيب ارسلان والاستاذ نسيم صيبعة وتوفيق بك في جميع المدن التي مروا بها وقد ذهبوا من أوربا موفدين من لدن الجمعية السورية الفلسطينية وجاهر الناس بمناصرتهم ولكن الجالية اللبنانية حاولت أن تعاكس ما أبداه السوريون من التظاهرات وقدموا عرائض الى

وشنطن شحنوها بالشكاوي الملفقة وكثيراً ما يحدث أن الخبرة تتولى الانسان حين يسعى لتبين ما يستولي على العقول من الاضاليل التي تخرجها عن محجة الصواب فكانت مساعي الجالية اللبنانية عقيمة .

وقرر المؤتمر الامور الآتية :

١ — تمنح سورية استقلالها التام ووحدتها ويلغى مشروع بلفور لجعل فلسطين وطناً قومياً للامة اليهودية .

٢ — تضم الولايات المتألفة منها سورية الى دولة واحدة ما عدا جبل لبنان فان سكانه يستفتون في أمر انتظامهم في سلك الدولة السورية أو في بقائهم منفصلين ومستقلين عنها .

٣ — تكون اللغة العربية لغة البلاد الرسمية ولغة التعليم وهذا يكون اجبارياً

٤ — يكون الدين مستقلا عن الجنسية

فقد أنشىء حزب « سورية الجديدة » فى ذلك المؤتمر وقرر ارسال برقيات الاحتجاج الى جمعية الامم والى جميع دول أوربا وآسيا وأمبركا والى زعماء الاحزاب فى البرلمانات والى الصحف والمجلات الكبيرة في بلدان هذه الدول الخ وختم المؤتمر جلساته فى ٢٣ يناير سنة ١٩٢٧ .

وعاد المسيو بونسو الى فرنسا في خلال هذه المدة بعد ما قضى في سورية ولبنان أربعة أشهر في درس الاحوال والمحافظة على الصمت المعتبر أفصح من النطق . وقبل سفره قدم له حزب التضامن الوطني في بيروت تقريراً اختصر مضمونه في هذا الكتاب الذي أرسلوه الي .

بيروت في ٨ فبراير ١٩٢٧

قدم حزب التضامن الوطني لفخامة المسيو بونسو تقريراً نرسل اليكم نسخة عنه في طيه . لقد أقام المفوض السامي مدة طويلة بين ظهرانينا وقف في اثنائها على مسائلنا الادارية والاقتصادية ولذلك لم نسهب في الكلام عن المسائل الخطيرة المبينة في تقريرنا فان نسخته المرسلة اليكم تكفينا مؤونة ذلك .

١ — ان انشاء الجمهورية اللبنانية على شكلها الحالي غير ملائم لاستعداد الناس وقابليتهم عندنا فان العمل به يجر عليهم مضار كبيرة . فقد تم ذلك كما قلنا للمسيو بونسو في أحوال مضطربة على يد أشخاص من غير ذوي الاختصاص

وقد توخوا في ذلك ارواء غليل ذوي المطامع السياسية والمادية . وحسبنا أن نذكر أمراً واحداً وهو منح الموظفين المفصولين عن المناصب تعويضاً كبيراً وهذا يدل على مبلغ هذه المطامع .

٢ — انتقاء موظفين من كرام الفرنسويين وتخويل كبارهم سلطة واسعة في مناصبهم الادارية وجعلهم مسؤولين أمام رؤسائهم الوطنيين فهؤلاء يتلقون المشورات والملاحظات من السلطة المنتدبة من دون أن تتدخل هذه السلطة تدخلا فعلياً في الشؤون . فان هذا التدخل سواء كان في الأمور الخطيرة أو الامور التافهة بعد اعلان الدستور يثير الموجده ويكثر عدد الناقمين .

٣ — ما من أحد يجهل ما أرتكبه الموظفون الفرنسويون من الاضاليل فلا يزال متسع من الوقت لاصلاحها واستمالة قلوب الناس الى الدولة المنتدبة فيكفي أن يخولوا الحق بسن دستور ادارة يلائم حاجات البلاد وحالتها المالية .

٤ — منح الحكومة الوطنية حق السيطرة على موارد البلاد المالية كرسوم الجمارك والبريد والتلغراف وسكك الحديد وتخويلها السلطة على وضع رسوم جمركية لحماية الصناعة اللبنانية .

٥ — اصلاح الانظمة القضائية فان حالتها الحاضرة مضرة بالمصلحة العامة وترهق الحكومة على دفع نفقات باهظة ولا سيما لرواتب القضاة والتراجمة وقد يحدث أن وجدان القضاة يضل عن سواء السبيل باختلال الترجمة وجهل القضاة لغة البلاد .

٦ — احترام الشرائع المحلية وتجنب تشويشها بقرارات تعارضها فالقضاة أبهم عليهم الامر من جراء كثرة عدد هذه القرارات وقد يكون أن بعضها يعارض البعض الآخر وينقضه .

٧ — سك عملة ثابتة ومضمونة فالعملة المرتكزة على سعر القطع تضر الموارد المالية والمعاملات التجارية ولا يبنى القطع الحالي الذي وضعته الحكومة على أساس متين فمن شأنه أن يزيد الموقف المالي اضطراباً في البلاد .

٨ — سن قانون يضمن تأييد الجنسية اللبنانية في البلدان الاجنبية فان مهاجرينا معرضون لاهواء الصدفة في ديار غربتهم فاذا اهتم ممثل فرنسا بمصالحهم صينت والا حرموا الملجأ .

٩ — لا تصان مصالح البلاد الا بقانون أساسي يضعه أشخاص تنتخبهم الامة ويضع هذا القانون موضع الاجراء رئيس حكومة وطنية يؤازره مجلس ادارة يتألف من اثني عشر عضواً نخريين ومديري أقلام مسؤولين عن أعمالهم تجاه رئيس الحكومة والمجلس المشار اليه . ويخفض عدد المستشارين الفرنسويين وهؤلاء يختارون من بين الذين يعرفون عقلية الشرقيين وعاداتهم .

١٠ — يجب على المفوض السامي أن يتجنب المجاهرة بميله الديني في الشؤون الادارية المحلية فان أدنى ميل اكليريكي الى طائفة من الطوائف يجعل الطوائف الاخرى تتوهم انه مشايع لتلك الطائفة فينشأ عندها تفور واستياء ويجد خصوم الانتداب سبيلاً لتحريك عواطف الجهال على الدولة المنتدبة .

١١ — الغاء الرجي والامتناع عن منح أي شركة كانت وان فرنسوية امتيازاً يجر الضرر على الحاصلات الوطنية .

١٢ — لم يضطلع المستشارون الفرنسويون الاضطلاع الكافي في فروع الادارة التي أسندت اليهم حتى هذا العهد فمعظمهم أضروا الموظفين الوطنيين بدلا من أن ينفعوهم وذلك لجهلهم ادارة الشؤون فالضرورة تقضي بأن يقع الاختيار على مستشارين من ذوي الاختصاص والعلم .

١٣ — ليس للشركات المغفلة في البلاد عقارات تكون لها ضماناً فاذا صدر على احداها حكم قضائي اضطروا الى اجرائه في البلاد المنتمية اليها الشركة وهذا يقتضي نفقات باهظة وكثيراً ما يفقد به وطنيونا حقوقهم ولا يقع مثل هذا الامر لو كان للشركات ضمانات في البنوك .

١٤ — وحيث كان لبنان وسورية متجاورين وكانت بينهما صلات اقتصادية كثيرة فلنا ملاحظات نزفها اليك :

نلتمس منك أن تمنح اخواننا السوريين طلباتهم كالوحدة السورية والقوانين المحلية والتعليم العلماني ليسير النشء الجديد على منهاج تعليم واحد فهذا يسهل احترام جميع الاديان ويمهد السبيل للوحدة السورية فيما بعد .

وانا ريثما تتحقق هذه الاماني نرجو منك يا حضرة المفوض السامي أن تقبل سامي احترامنا .

رئيس الحزب	السكرتير
فارس مشرق	وديع شهاب

وقد كتب حبيب افندي البستاني رئيس الحزب الوطني اللبناني في مجلة « الفينكس » الصادرة في ٧ فبراير سنة ١٩٢٧ :

« سن المجلس التمثيلي دستور لبنان وأقرّه ووضعه موضع الاجراء وهو لم ينتخب لهذا الامر وقد نال اختصاصه بقرار بسيط من المفوض السامي ولم يكن أعضاء هـذا المجلس ميالين لفقدان ما يجنونه من المنافع في أثناء أربع سنوات أصابوها ببذل النفس والنفيس ولم يتجشم المسيو دي جوفنل كبير عناء لنيل مساعدتهم المسيرة وعاونهم في مهمتهم المسيو سورشيه رئيس غرفته المدنية على أن هذه المعاونة سيرتها الاوامر الجازمة والتهديد الدائم بحل المجلس .

وأقام الرأي العام النكير على هـذا العمل (نقابة الصحافة فنقابة المحامين فنقابة الصيدليين والاطباء فغرفة الزراعة . الخ) فشددت المراقبة على الصحف

ولم يستغرق البحث في الدستور والاقتراع عليه الا سـتة أيام لان المسيو دي جوفنل كان مستعجلا وكان على وشك الشخوص الى فرنسا ولم يكن يشأ أن يصل اليها صفر اليدين . وأبلغ المجلس تحفظات الدولة المنتدبة في الساعة الاخيرة فأدمجت في صلب الدستور بلا مناقشة وهي لا تخلو من استصغار لامر البـلاد وتجعل الدستور اسما لغير مسمى واستقلالنا هباء منثوراً .

وقرر المجلس التمثيلي أن يتحول الى مجلس نيابي وجعل تعيين مجلس الشيوخ من اختصاص المفوض السامي .

ان الدستور السـابق الموقت الذي وضعه الجنرال غورو تحت تأثير المسيو روبير دي كاي أقام البلاد وأقعدها فالدستور النهائي قد يكون مقبولا لو لم يكن فيه تلك التحفظات فالجوهر بقي على ما كان عليـه وانما الصورة تغيرت . وفي واقع الحال يعتبر مندوب المفوضية العليا كل شيء وليس رئيس الجمهورية مطلق الارادة فى كل شيء .

ولم يكن لبنان الصغير القديم مديناً بشيء للدولة العثمانية بل كانت هي مدينة له فوضعوا عليه ديناً . وزيدت جميع الضرائب زيادة باهظة وظلت ادارة الجمارك في قبضة المفوضية العليا من دون أن يجني لبنان فائدة منها .

واذا كانت جميع هذه التغيرات قد جاءت غير ملائمة لمصلحة لبنان فما ذلك الا لان روح الانتداب على ما كانوا يطبقونه كان استعمارياً محضاً ومما يزيده

استفحالا هو مبدأ السيادة الذي كان ممثلو الانتداب يسعون لوضعه موضع السيادة التركية . فأفضل شيء لفرنسا هو أن تعود الى مزاولة سياسة العواطف الكريمة المعززة لسؤددها والجارة عليها المنافع النبيلة وان المسيو دي جوفنل هو ولا مشاحة أوسع سلطة من جميع الذين سلفوه »

وفي دور انعقاد جمعية الامم في شهر مارس قدمت اللجنة السورية الفلسطينية مذكرة كانت باعثاً للقيل والقال :

« نحن الموقعين أسماءنا أدناه مندوبي اللجنة السورية الفلسطينية عرفنا أن الحكومة الفرنسوية تهيء مشروع حلٍّ للقضية السورية لتبسطه لجمعية الامم فنغتنم الفرصة للعود الى المجاهرة في الرغبة الصادقة الصريحة في تركيز العلاقات الفرنسوية السورية على قاعدة متينة من الوفاق والصداقة ونرى من واجبنا في هذا الموقف أن نعلن جهاراً اننا لم نتحدَّ غاية شخصية في حين من الاحيان ولم نتوخ الا حرية سورية واستقلالها ولذلك لا نلقى أقل صعوبة في الموافقة على كل حل ينطبق على أماني الامة السورية . وآمالنا معقودة بمكارم الشعب الفرنسوي والحكومة الفرنسوية بأن جميع العقبات القائمة في وجه الاتفاق مع الشعب السوري تمهد في القريب العاجل »

وقدموا ما عدا هذا تقريراً مطولا الى الرئيس وملحقاً الى سكرتير جمعية الامم العام وقد وقع احسان بك الجابري المذكرة والتقرير والملحق وطلب ارسال لجنة تحقيق الى سورية . ثم قدم الى باريس لموافاة رياض بك الصلح ليستأنفا المفاوضات وتوجه بايعاز من الحكومة الفرنسوية لملاقاة الامير شكيب ارسلان العائد من نيويورك واقناعه بالصعود الى البر في شربورغ .

وكان بعد ذلك أن الوفد السوري قضى بضعة أسابيع في باريس أظهر في أثنائها صبراً جميلاً من دون أن يقضي وطراً فعاد المسيو بونسو الى سورية من دون أن يستقبل الوفد .

وبعد وصول المفوض السامي الى بيروت بأيام قليلة أذاع النشرة الآتية (يوليو ١٩٢٧)

« تصريحات المفوض السامي للجمهورية الفرنسوية عن البرنامج السياسي للدولة المنتدبة في البلدان الشرقية المشمولة بالانتداب الفرنسوي

في أثناء اقامة المفوض السامي في فرنسا تسنى له غير مرة أن يبسط للحكومة الفرنسوية وللجنتي الشؤون الخارجية في مجلس النواب ومجلس الشيوخ خلاصة التحقيق الذي أجراه والحالة الحاضرة في سورية ولبنان وأن يذكر بنوع خاص الاماني التي قدمت اليه في خلال اقامته في هذين الاقليمين وفي غضون تجواله فيهما

وبعد رجوعه اجتمع برؤساء حكومات الدول وحدثهم في أمور مختلفة وحدد لهم مرامي ومقاصد الدولة المنتدبة وأوقفهم على خلاصة البرنامج الذي سيضعه موضع الاجراء بالاتفاق مع الدول المشمولة بالانتداب واليك هذه الخلاصة :

١ — حيث أن فرنسا قبلت بحسب نص صك الانتداب (المادة الاولى) مهمة تسهيل تقدم سورية ولبنان تقدماً مطرداً كدولتين مستقلتين وتسهيل الاستقلال الاداري المحلي على قدر ما تسمح به الاحوال فانها ستمضي في المهمة المسندة اليها من لدن جمعية الامم ولا صحة لما شاع عن تنازلها عن هذا الانتداب

٢ — صفة هذه المهمة — أن الصيغة المبينة في المادة الثانية والعشرين من معاهدة فرسايل طبقت تطبيقاً دقيقاً خاصاً في الشرق حيث بلغت من عهد بعيد الاقوام المقيمة في هذه الاقاليم تقدماً يجعلها في مقدمة دول الشرق الادنى التي سارت على منهاج التحول . فالدولة المنتدبة مع حرصها على النظام والامن المعدودين ضمانين بديهيين لكل تحول سياسي عنيت بتحقيق أماني هذه الاقوام الا أن تفسير هذه الاماني وما يصحبها من التناقض في غالب الاحيان أقاما العقبات الكبيرة حتى الآن وكان الاهتمام بارضاء الاهلين بتحقيق أمانيهم الغاية التي ترمي اليها السياسة الفرنسوية وقد صممت الدولة المنتدبة على انتهاج هذا المنهاج لتعمل ما ينطبق على الاماني المذكورة لصيانة النظام والسلام والمحافظة على حقوق الاقليات المضمونة بمعاهدات كما ضمنت المصالح العامة والسامية في البلاد .

٣ — المثابرة على السياسة الفرنسوية ووضع القانون الاساسي — وافقت الحكومة الفرنسوية وجمعية الامم على هذه السياسة التي حددها المسيو دي جوفنل بكل جلاء وقد عبر عنها القانون الاساسي تعبيراً جازماً . وسيظل المفوض السامي الجديد مثابراً عليها على أن القانون النهائي للبلدان الشرقية المشمولة بالانتداب

سيكون من وضع الذين يهمهم أمره ولهم علاقة به . وفي الموقف الحالي المعتبر نتيجة جهد ثماني سنوات لهذه البلدان اختصاص للمناقشة فيما بينها في أمر مصالحها وتسوية الخلافات الناشئة بينها والمفاوضة لعقد اتفاقات جديدة توفق بين المصالح التي لم تفترق قط .

وستعنى الدولة المنتدبة ببذل المجهود للمساعدة على الوصول الى هذا الاتفاق العام وتكون بمثابة حكم في الخلافات الممكن وقوعها . ولكن اذا جعلت من وكدها توطيد النظام الجديد قبل كل شيء بموافقة السكان فلا تستطيع أن تنسى المهمة المعهود فيها اليها وحين لايتم الاتفاق المرغوب فيه تتخذ ماتراه لازماً من التدابير لاستتباب النظام وضمان المستقبل وتشعر جمعية الامم بذلك .

٤ — الحكومات المحلية ومزاولة الانتداب — يبدو النجاح بصورة مكبرة من هذا القبيل وقد قلدت الدولة المنتدبة مزاولة السلطة لمن يعنيهم الامر حيث توطدت أركان نظام ثابت وحيث أصبحت الاستشارة السياسية ممكنة لانتشار السكينة في الأفكار وانشئت حكومات منظمة ـ فمن خصائص الحكومات المحلية أن تباشر العمل على ما تقتضيه مصالحها الخاصة بالاستناد الى مشورة الدولة المنتدبة ومساندتها . وان اعادة تنظيم مصالح الانتداب الحالية بضمان انشاء لامركزية كاملة وتقريب العمل من المشورة وتجنب الاكثار من هيئات المراقبة تبين ما للدولة المنتدبة من حسن الارادة لمساعدة الدول المشمولة بانتدابها على الاسراع في بلوغ التحول السياسي بتحقيق الأمنية المبينة في عهد جمعية الامم .

٥ — النظام والامن — لقد استتب النظام وساد الامن الآن داخل الحدود فالدولة المنتدبة بذلت جهداً عظيماً وضحت بما ضحته للانتهاء الى هذه الغاية وهذا يدل على ادارتها الثابتة للمضيّ في المشروع العظيم الذي سيكون من ورائه تأييد الصداقة النهائية بين فرنسا والبلدان المشمولة بانتدابها ويجب على الدول عينها أن تتعاون أدبيا وماديا في سبيل فوائد السلم فالسلم ملكهم الخاص واذا فقد فقدت جميع الاعمال السياسية والادارية والاقتصادية والمالية ثمارها وكانت باطلة . وهذا ما يجعل الدولة المنتدبة تطلب من الدول المشمولة بانتدابها مشاركتها مشاركة معقولة في نفقات المحافظة على الامن . ولا يعني هذا

التصريح بوجه من الوجوه ان الدولة المنتدبة تفكر في أن تتهاون في مواظبتها على اتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز الامن بما لديها من الوسائل المحلية لحماية هذه البلاد أو ان تنبذ الاهتمام بالمحافظة على النظام في المستقبل فهي تظل متحملة المسؤولية عن ذلك تجاه جمعية الامم ولكنها تبتغي أن تجعل السكان يضمون جهدهم الى جهدها فالنظام يحافظ عليه لفائدتهم . أما تقليل عدد الجنود الفرنسويين المنوي عمله فيجب أن يقابله تأليف جيش وطني للدفاع عن البلاد وهذا الامر تهتم به الدول المشمولة بالانتداب

٦ — توسيع نطاق الشؤون الاقتصادية — ان الامن المضمون يعجل في توسيع نطاق الاقتصاد في البلاد ويزين للمهاجرين الرجوع اليها فانهم شديدو الاعتصام بحبل مسقط رأسهم فالتعاون بين الدول المنتدبة والبلدان المشمولة بانتدابها قوامه السير على خطة اقتصادية مقررة ويكون ذلك مفيدا لتحقيق امور تفوق ما يرجى من التوفير المحلي . ومعلوم أن تحسن الحالة الاقتصادية والمالية في العالم ولا سيما تحسن أحوال الثقة وهي قد ابتدأت تتحسن لا يمضي عليه وقت طويل حتى يكون له صدى في الشرق . وقد تحقق المفوض السامي في أثناء اقامته في فرنسا ان الاسواق الفرنسوية ستهتم بتوسيع دائرة الاقتصاديات في سورية ولبنان .

٧ — ادارة المصالح المشتركة — ان المصالح المشتركة بين البلدان المشمولة بالانتداب كثيرة على ان الخصومات الناشئة بين هذه البلدان لا توافق الحقيقة ولهذا السبب سيعنى المفوض السامي بمراقبة ادارة بعض المصالح محافظة على هذا التراث المشترك فللمفوض السامي سلطة تمتد على جميع البلدان المذكورة ويظل مراقباً لها مراقبة خاصة ريثما تنظم الدول الحالية انظمة ثابتة لاتفاقها وتضع القانون العام لذلك تحت كنف الدول المنتدبة . وحيث ان تحوّل العالم المتمدن يرمي الى توحيد المصالح فلا يسع دول الشرق أن تسعى وراء تقدمها بانتحال سياسة التفريق الضيقة فلا يكون ذلك ضميناً لمستقبلها فالدولة المنتدبة يهمها أن توثق الاتحاد والاتفاق بين الجماعات الموكولة الى وصايتها وهي ترغب في رؤية هذه الجماعات تتقرب بعضها من البعض الآخر وهذه الفرصة تتيحها لها ادارة المصالح المشتركة ويرى المفوض السامي أن يثابر على السير على هذه الخطة

بمؤازرة ممثلي الدول . والوقت كفيل بمباشرة العمل وتتممه حكمة الحكومات وخبرتها وليس للانتداب بحسب طبيعته أن يسعى الى الخلود أو الى البقاء اكثر من المدة اللازمة له . فالجميع مدعوون الى الاضطلاع باعباء هذه المهمة وان تفتق بنائق الصبر لا يؤدي الى الاسراع في الحل المرغوب فيه بل يطيل أجله اذ لا يخفى ان العنف يذهب بكثير من الآمال العادلة . وليس من سبيل لاحد في الشك بمكارم الجمهورية الفرنسوية فان الدولة المنتدبة تنهض بمهمتها وقد عهد اليها في هذه المهمة لتساعد على نجاح سوريا ولبنان وتقدمهما كدولتين مستقلتين وتضمن للجميع الحماية واحترام الحقوق »

ان هذه التصريحات المكتوبة بكلام مبهم عقبتها برقية الى رئيس الاجتماع الثامن العام لجمعية الامم من الاميرميشال لطف الله رئيس اللجنة السورية الفلسطينية واليك صورة البرقية :

« بمناسبة اجتماع المجلس العام لجمعيتكم الموقرة تتشرف اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بأن تلفت نظركم الى حالة القلق السائدة الآن في سورية . وتذكركم هذه اللجنة بانها امتثلت للمشورات التي جادت بها عليها لجنة الانتدابات الدائمة في شهر مارس سنة ١٩٢٦ واستنزفت ميسورها لعقد اتفاق مع الدولة المنتدبة تصان فيه كرامتها الا ان تصريحات المفوض السامي مع ابقاء سوء التفاهم مستحكم الحلقات لا تنطبق على الاماني الوطنية ولا تغير شيئاً من طريقة الحكم المتبعة في البلاد فترجو اللجنة من جمعية الامم أن تتدخل لعلها تجد حلا تصان به حقوق سورية الشرعية . »

ومن المهم معرفة آراء اهل البلاد ممن لا يرتاب في صدقهم واليك ما كتبه اليّ لبناني أصيل الرأي سديده :

« في ١٢ يوليو سنة ١٩٢٧ — ان كل ما فعله المفوض السامي بعد رجوعه حتى الآن هو اظهار رغبته في ادغام المجلسين لتأليف مجلس واحد . ثم اذاع ان من مهمة المجلس الجديد تعديل الدستور فان المسيو دي جوفنل كان قد وضعه على عجلة . وليس المجلسان متفقين على مبدأ الادغام ولهما رأيهما في ذلك فالمجلس النيابي منتخب بالتصويت العام أما مجلس الشيوخ فان المفوض السامي

عينه تعييناً وعليه فلا يكون المجلس الجديد من نوع واحد وبالتالي لا تكون لقراراته قوة القوانين .

وعندي ان جميع هذه الاعمال من نوع التدجيل السياسي ولا يعلم الا الله ما سيكون من عواقبها . وقد ارتفعت الشكوى من كل جانب من التنظيم الذي أتحفونا به فانه غير ملائم لحالتنا وقد ضجت البلاد من ثقل الضرائب التي أرهقت بها . .

أما المسائل الاقتصادية فانهم يعدون بأن يجعلوا لها مكانا خطيراً في التنظيم الجديد ولكن لم يبق للناس ثقة بهذه المواعيد فلقد طالما وعدوهم بأشياء كثيرة من دون أن ينجزوا هذه المواعيد .

في ٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ — عهد المسيو بونسو الى المسيو كاترو رئيس مكتب الاستخبارات في دعوة الصحافيين ليبلغهم تصريحات رسمية تكون بمثابة برنامج ولا يتوقعون شيئاً حسنا من هذه التصريحات فان المسيو بونسو بعدما صمت اشهراً ضيع آمال الجميع عندنا ويقولون ان هذه اللهجة السياسية مطاطة فلا اللبنانيون ولا السوريون راضون عنها .

واما ما تنشره جرائدكم عن الحالة المالية في بلادنا فكله تدجيل وبهتان فان بلادنا لم يسبق لها أن اجتازت معضلة مالية حتى في زمان الحرب العالمية نظير المعضلة الحالية فما تكتبه جرائدكم يعتبر من باب ذرّ الرماد في العيون فاما أن تكون هذه الجرائد مسيرة بالذين يدفعون لها الاموال واما أن تكون جاهلة للحقائق : فانظر كيف يضللون الرأي العام فى فرنسا . فهل تستطيع أن تبين هذه الجرائد وجه التحسين في الحالة المالية . أولا تزال المشروعات الكبيرة مهملة من جراء عرقلة السلطة لها . أو لم تصب بيوت تجارية كثيرة بالافلاس على أثر الكارثة الأخيرة وهي احتراق مستودعات الجمرك فانه سيكون لها صدى وخيم التبعة في البلاد .

ومن نكد الدنيا أن السلطة المنتدبة لم توفق حتى الآن الى الاهتداء الى الصراط المستقيم وأخشى ألا تجده أبداً فانها بدلا من أن تكون هادياً ومرشداً لحكومتنا الوطنية تغمض عينيها عن الحقيقة وتصم أذنيها عن سماع صوتها وكان ذلك باعثاً على الظنون عند الفئة المتنورة فى البلاد بأن الدولة المنتدبة ستلغي

يوماً من الايام الحكومة الوطنية لتستبدل بها حكومة يتولى فيها الفرنسيون ادارة الشؤون مباشرة لزعم هذه الدولة أن الحكومة الوطنية عاجزة عن القيام بمهمتها .

في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ — أما تصريحات المسيو بونسو فاني أقول لك بكل صراحة انها لا تصلح الا لتلقى على الاغرار ولا يجد العقلاء شيئاً من الغرابة فيها . فنحن نحتاج الى الصراحة بدلا من هذه اللهجة السياسية وقد كان الجميع ينتظرون تصريحات تخرجنا من دائرة الموقف المبهم الذي نتخبط فيه فكان ان هذه التصريحات العادية زادت الحالة النفسانية حرجاً في سورية ولبنان ولم تنشر الصحف مقالات تستحسن التصريحات المذكورة ولا تزال « المناورات » السياسية دائرة بين المفوضية العليا والحكومة الوطنية .

وكان لنا في لبنان قبل الاحتلال الفرنسوي ٣٥٠ موظفاً ملكياً وعسكرياً وأما الآن فقد صار عددهم يقرب من أربعة آلاف وهذا ما دعا الى زيادة الضرائب زيادة متواصلة والى اكثار الناس من الشكوى .

٦ ايلول سنة ١٩٢٧ — نشر لسان الحال الصادر في ٢ ايلول ما يأتي :

« علمنا من أخبار فلسطين ان مشروعي سكة حديد حيفا — بغداد وتوسيع مرفأ حيفا سيباشر العمل فيهما قريباً وعما قليل نرى القطارات مسخرة لخدمة التجارة بين ايران والعراق وحيفا فتنقل البضاعة الى السفن الراسية في مرفأ حيفا . ثم ان بريطانيا العظمى ترتاح الى عدم الحاح فرنسا بأن تنتهي الانابيب التي يسيل فيها بترول الموصل في ميناء من موانىء سورية أو لبنان وترغب بريطانيا العظمى في أن تمدّ هذه الانابيب الى جانب خطها الحديدي المنوي انشاؤه ويكون من وراء ذلك كساد تجارة بيروت ولبنان فالاسكندرونة من جهة وحيفا من جهة أخرى تسلبانهما كل شيء . وقد أصابت جريدة المقطم الصادرة في القاهرة بقولها ان لبنان سيحاصر اقتصادياً . فالعلاج الوحيد لهذه الحال هو الاسراع في انشاء الخط الحديدي من طرابلس الى الناقورة وقد فكروا في هذا المشروع من عهد بعيد ولكنهم أرجأوا عمله .

وقد قال لنا المفوض السامي غير مرة انه مهتم كل الاهتمام بحماية الامور

الاقتصادية في البلاد وتوسيع نطاقها فما علينا الا أن ننتظر انجاز هذه المواعيد التي نعلل بها النفوس .

أما المشروعات القديمة المنوي عملها فلم يتم منها شيء ولم يقدم أدنى طلب بمشروعات جديدة . »

وكتب الينا السوريون الواقفون على مجرى الاحوال ما يأتي :

٢٠ يوليو سنة ١٩٢٧ — ان برنامج المسيو بونسو ضيق فلا يرتاح اليه الناس عندنا وهو يطلب أن تشترك البلاد في قسم من النفقات ويتكلم عن الجيش السوري كما يتكلم عن الجيش التونسي .

لم يضرنا الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا في الايام الاخيرة على اخراج البريطانيين للثائرين من شرق الاردن بل أفادنا فان اتفاق الدولتين المسيحيتين على مثل هذه الامور ضروري لنا إذ يكون له رد فعل مفيد ويحرك عواطف المسلمين وهما تنفعاننا بذلك إذ أنه يحرك همم القوم الساكنة فتستطيع هاتان الدولتان المثابرة على عملهما ولكنهما تخطئان ان هما توهمتا ان عملهما يدخل الخوف على العالم الاسوي .

أول أغسطس سنة ١٩٢٧ — الجرائد العربية متشائمة وقد عيل صبرها وأعني بالجرائد العربية جرائد مصر وفلسطين وسورية وقد أتفقت على إصرار سورية على مطالبها الوطنية وعلقت النشرات على الجدران في دمشق داعية الى هذا الامر . والفكرة المنتشرة هنا هي ان بونسو لم يصرح بما صرح به الا على أثر فشل الثائرين وان المستعمرين يترفعون عن منح الحرية للمغلوبين .

وكان شك مؤلم تسلط على الافكار فأن برنامج جوفنل لم يكن كثير الملاءمة للمصلحة العامة من جهة عدم انطباقه على « ثورة سنة ٨٩ » اذا قوبل على برنامج بونسو . وكانت أول وسيلة توسل بها المسيو بونسو لتسكين الخواطر الهائجة فصل احمد نامي بك (رئيس الحكومة السورية) من منصبه وتأليف وزارة من الوطنيين المعتدلين ومباشرة الانتخابات الحرة . وسيعقد اتفاق فرنسوي سوري بين الجمعية التأسيسية وفرنسا على قاعدة البرنامج الذي وضعته البلاد وهذا لا بد منه اذا كانوا يرغبون في السلم ولكنهم لا يميلون الا الى الفتوح .

في ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ — ان فرنسا في الخارج هي فرنسا عينها التي كانت في عهد لويس التاسع ولويس الرابع عشر ونابوليون الثالث أي دولة مسيحية اكليريكية معادية للاسلام . وقد حاولوا على غير طائل أن يخبئوا هذه الحقيقة ولـكنها تظهر وتبهر الابصار .

ان برنامج المسيو بونسو فظيع فالرياء بين تضاعيف سطوره وليس فيه مسحة للصدق والاخلاص فهو مثال كامل للسياسة الاستعمارية . فقد توهم المسيو بوانكاره والمسيو بريان والمسيو برتلو انهم يملكون سورية ولا يشاؤون أن يفلتوا فريستهم من أيديهم . فنحن نعتقد ان سورية لنا ولا نشاء أن نعرف غير ذلك وسنقاتل الفرنسويين والبريطانيين في سبيل وطننا بما يتيسر لنا من الوسائل .

ولا نرضى بان يصبح المسيحيون فى سورية سادة لنا سواء أرادت فرنسا ذلك أولم ترده . فنحن تركنا لهم لبنان ونظن اننا قدمنا لهم برهانا كافياً عن عدم رغبتنا في التسلط عليهم ولـكننا لانرضى بان يتسلطوا هم علينا .

ولامطمع لنا في شيء في باريس فمن يأمل أن يلقى حلا عادلا في باريس يكن مغتراً . »

ولـكي يقووا لهجة هذا البرنامج المنسوج على منوال الغباوة ـ وقد أثار حفيظة اللبنانيين والسوريين معاً ـ اذاعوا في بيروت أخباراً مختلفة وقد كتب مراسل جريدة لسان الحال في باريس أن الامير شكيب ارسلان ينتظر تعيينه ممثلا للحكومة السورية فى باريس .

ولما انتهى الي هـذا الخبر وكنت قد عرفت ما أثاره من الاضطراب في الافـكار فى الشرق أوقفت الامير شكيب على ذلك فاجابني قائلا : « لا أقبل هذا المنصب ولاغيره من المناصب ولا يني أصحاب الدسائس عن القاء الشقاق بين سكان البلاد طمعاً باضعاف الروح الوطنية فهم ينشرون هذه الاراجيف ليجعلوا الناس يعتقدون باننا لانخدم مصلحة البلاد بل نخدم مصالحنا الشخصية وقد كتبت الى سورية لاكذب تكذيباً رسمياً الخبر الذي نشرته الجريدة المقيدة بارادة المفوضية العليا وأعلنت أنه مالم تمنح فرنسا سورية مطالبها الوطنية لاينبغي لاي وطني كان أن يقبل منصباً من المناصب . أما أنا فلا أتقلد منصباً ما لا الآن ولا في المستقبل فهمي هي أن أخدم بلادي دائماً وأنا حر طليق » .

وقدم أخيراً الوفد السوري التقرير الآتي بيانه الى جمعية الامم في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧ :

« الى حضرة المسيو فيلغاس رئيس مجلس جمعية الامم والى حضرات أعضائها.

الوفد السوري عدد ٢١ غلاسي دي ريف

جنيف في ١٢ سبتمبر ١٩٢٧

حضرة الرئيس وحضرات الاعضاء

تشرفنا بأن بسطنا لمجلسكم الموقر في خلال دورة انعقاده في شهر مارس الماضي بياناً أثبتنا فيه مرة أخرى رغبتنا الشديدة الصادقة في اعادة العلاقات بين فرنسا وسورية على أساس الاتفاق والصداقة إذ ليس لنا من غرض سوى ضمان الحرية والاستقلال لسورية ويلذّ لنا أن نوافق على كل حل ينطبق على أماني بلادنا . وقد عرفنا ان بياننا كان له وقع حسن في الدوائر الرسمية الفرنسوية وان الصحف الباريسية علقت عليه كلاماً لحمته الصداقة وسداه العطف فتوهمنا انه سيطرأ تغير على السياسة التي تسير عليها فرنسا في بلادنا . أجل ان تصريحات المسيو بريان عند ختام الدورة السابق ذكرها كانت ترمي الى تأييد السياسة القديمة ولم يكن من شأنها أن تسكن قلق البلاد ولكننا كنا مصممين على انتهاج منهاج الاتفاق فعزمنا على الرجوع الى باريس فلقينا في دوائر البرلمان والحكومة فيها استعداداً حسناً لسماع شكاوينا . واستفرغنا الوسع لاقناع كبراء رجال الحكومة والامة الذين خالطناهم بضرورة الاسراع في تغيير شكل الحكم والمناهج التي يتحدثونها وأكدنا لهم ان الشعب السوري ليس له من مطمع الا بأن يكون اداة من أدوات السلم والسكينة واليسر في الشرق بحيث يعترفون بحقوقه ويحترمون كرامته . وقد بينا بصراحة ان الانتداب الذي وضع برغم من ارادة الشعب وأصبح بعد تجاوزهم الحد في مزاولته مكروهاً عند أكثرية السكان تقضي الحكمة والعقل الآن بأن تستبدل به محالفة يعترف فيها باستقلال البلاد وقد رأى ملاءمتها كثيرون من رجال السياسة في فرنسا .

وقد أشرنا الى اننا لسنا أعداء فرنسا وانه لا ينبغي أن نوصم بهذه الوصمة لاقامتنا النكير على ما يزعمونه من محاسن شكل الحكم الحالي أي الانتداب فانه أضر كثيراً فرنسا وسورية . وقصارى الكلام اننا خالطنا كبراء القوم في

باريس في أثناء ستة أشهر ورجونا منهم أن يعيروا مقترحاتنا عنايتهم حتى يكون البرنامج الذي يهيئونه مقبولا لدى الرأي العام السوري . ولكن بعد مساع متواصلة ومباحثات متوالية صدم جهدنا المبذول للوصول الى حل ينطبق على أماني البلاد بمعارضة سلطات الانتداب في سورية عينها .

فلا موقفنا المسالم ولا مساعينا المعجلة ولا توقيف رحى الحوادث العدائية ولا التجارب التي كلفت الفريقين ثمنا باهظا من سبع سنوات أفضت الى تغيير في موقف فرنسا السلبي في سورية . وبينما كانوا يعللوننا بأمل التغيير في سياستهم فاجأونا ببيانين رسميين لا يمكننا الاغترار بهما وهما التقرير الذي قدمته فرنسا عن سنة ١٩٢٦ عن سورية وبرنامج المسيو بونسو .

ونتجاسر على البسط لمجلسكم بايجاز ملاحظاتنا على التقرير والبرنامج المذكورين رغبة في بيان اصل المصاعب التي حالت حتى الآن دون اتفاق البلادين .

اقرأوا يا حضرات السادة هذا التقرير الذي نظمته السلطة المنتدبة في سورية فتروا فيه روح العداء ظاهرة نحو الوطنيين السوريين فهم ينعتونهم بانهم خصوم الانتداب واعداء فرنسا مع انهم لم يفتأوا من عهد طويل يجاهرون بضرورة عقد محالفة معها . ومن دواعي الاسف أن نرى ان هذا التقرير يشير الى استعمال القوة والعنف وهو يبرر لديكم الشكاوي التى قدمناها لكم ويعتبر ان ما عاملتهم به فرنسا من التساهل لتوقيف رحى القتال جرّأهم على الاستمرار في الثورة . وكأنه ينسب هذا الاستمرار الى الموقف السلمي الذي وقفه المفوض السامي السابق . انهم لفي ضلال مبين ولا حاجة الى القول انه لو لم تنقطع المفاوضات مع المسيو دي جوفنل التي بوشرت في ١٦ يوليو سنة ١٩٢٦ وأوشكت أن تنتهي لما تأخر عقد الصلح سنة وكان يسود الآن عهد ثقة وطمأنينة في البلاد بدلا من المشادة والنفور والشك .

ويدل تقرير الدولة المنتدبة على عقلية الموظفين الذين نظموه وعلى معارضتهم لكل اتفاق فقد دفعتهم على ذلك عداوة منبثقة من الحرص على المحافظة على سلطتهم فلم يهتموا بان يتحروا الحقائق ليبسطوها لجمعية الامم .

ونستشهد على ذلك بما جاء في الصفحة السادسة من التقرير :

« لما كان المسيو دي جوفنل يعالج الصلح بطرق الانتخاب القانونية والسلمية كان احسان الجابري ينظم في عينتاب في الارض التركية جيشاً دعاه جيش الشمال الوطني الخ . » وجاء في الصفحة الثانية والاربعين منه : « قلنا قبلا أن أحسان الجابري كان يأمل أن ينظم قوة ثورية يزحف بها الى ولاية حلب وطنه ولكنه برح عينتاب في شهر مارس وذهب الى جنيف بعد ما أخفقت مساعي عصاباته في سورية . »

فلا نشاء الآن أن نبين جميع الاضاليل المشحون بها تقرير فرنسا الرسمي بل نبقيه الى تقرير آخر ننوي تنظيمه ونكتفي بأن نقول أن احسان الجابري مقيم في سويسرا من ثلاثة أشهر وقد وقعت حوادث شمالي حلب التي ينسبونها اليه في ابان غيابه عن تلك الجهات[1] فانه غادر حلب في أول اكتوبر سنة ١٩٢٥ وسافر الى الاستانة فبقي فيها من ١٥ اكتوبر الى أول نوفمبر ثم سافر منها الى سويسرا فوصل الى جنيف في ٧ دسمبر سنة ١٩٢٥ ويمكن تحقق ذلك من مراجعة جوازه وتاريخ وصوله الى سويسرا المكتوب على هذا الجواز وعلاوة على ذلك قدم عريضة الى مجلس جمعية الامم في أثناء انعقاد دورته في ٧ دسمبر سنة ١٩٢٥ أي قبل وقوع الحوادث المذكورة بشهر من الزمان وطلب بها تدخل مجلسكم الموقر في القضية والتمس أن تصغوا الى مايعرضه لكم عن حرج الموقف في سورية.
ونورد مثالا آخر فقد جاء في الصفحة الحادية والعشرين من التقرير ما يأتي :
« وقد طلب عادل ارسلان وهو من كبار زعماء الحركة جوازاً من الضابط الذي كان ينتظره في محل معين وقال له أن اخاه في فرنسا يفاوض في مطالب الثائرين وسينتهي كل شيء قبل شهر . »

وحقيقة الأمر هي أن الامير عادل ارسلان لم يطلب الاستسلام ولكن ضابط الاستخبارات هو الذي طلب مواجهته ليفاوضه فى أمر توقيف الحركات العدائية فحينئذ قال له الاميران أخاه ورفقاءه كانوا فى باريس للمفاوضة فى الصلح

(١) وقد حكم بالاعدام على احسان الجابري استناداً الى مثل هذه التقارير الكاذبة وحجزت أملاكه وكثيرون حالتهم كحالته .

وانه لايرى بدأً من انتظار ما يقرر بهذا الشأن . فاذا قابلنا واقع الحال بهذه المزاعم وخصوصاً القول بأن احسان الجابري سافر من عينتاب الى جنيف فى شهر مارس مع معرفتنا بانه برح حلب فى ١١ اكتوبر أي قبل وقوع الثورة فى الشمال بستة أشهر وانه لم يمكث بعد سفره من هذه المدينة الا بضع ساعات في عينتاب وجدنا مبلغ الصحة فى أقوال الذين نظموا التقرير الآنف الذكر .

ولنبحث الآن فى البرنامج الذي أذاعه المسيو بونسو فأقل ما يمكن أن يقال عنه أنه أثار ما كان كامناً من خيبة الآمال فهو مكتوب بصيغة مبهمة بحيث لم يستطع أحد فى سورية أن يرى فيه رغبة حقيقية فى تغيير شكل الحكم بل بعكس ذلك صرح بانه يحافظ على شكل الحكم الجاري العمل بموجبه ولا يعتبر أنه يوجد فرق بين شكل الحكم فى سنة ١٩٢٠ وشكله في سنة ١٩٢٧ . فلا الجروح الدامية ولا انقاض المدن المتصاعد منها الدخان حركت عواطف منظمي هذا البرنامج ولكنهم انقادوا الى نفوذ وتأثير بعض القوات العسكرية

ونقول بأسف أن توقيف الحركات العدائية جعل المسالمة متعذرة مع هذه القوات مع أنه قد أذيع قبلا انه لاسبيل الى منح السوريين مطالبهم قبل توقيف رحى القتال .

ولننظر الآن في هذا البرنامج قسما فقسما فالقسم الأول يصرح بأن الدولة المنتدبة لاتنبذ مهمة الانتداب المعهود فيها اليها من جمعية الامم فهذا التصريح لامحل له من الاعراب وقد جاء في غير أوانه لان فرنسا لافائدة لها بأن تقبل صورة استعمار بعد ثماني سنوات قضتها في اختبار جر وراءه الويلات .

وقد تشرف الوفد السوري بأن أشار الى شكل الاتفاق الذي يرغب فيه السوريون وهو ينحصر في معاهدة تعقد بملء الحرية بين فرنسا وسورية يعترف بها بمصالح وواجبات وحقوق الفريقين المتعاقدين على قاعدة سيادة سورية واستقلالها .

فان استصغار أمر الشعب السوري بنشر مثل هذا البرنامج يزعزع أركان ثقة البلاد وحسن ارادتها .

ويدور القسم الثاني من البرنامج على وضع المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم موضع الاجراء في الشرق حيث تكثر المذاهب الدينية . ونظن أهم

قد اساؤوا تفسير هذه المادة لان البرنامج المذكور بتطبيقه نصها على أصحاب هذه المذاهب الدينية في سورية وهي لاتؤلف وحدة سياسية بذاتها رمى الى تجزئة البلاد مع أن واضعي معاهدة فرسايل لم ينظروا الى الاديان المختلفة في سورية بل الى انشاء وحدات سياسية من الاقاليم المسلوخة عن السلطة العثمانية كالعراق وسورية وأرمينيا الخ . وقد أيد مؤتمر سان ريمو وجمعية الامم هذا الامر . وعليه تعترف المادة الثانية والعشرون بوحدة سورية ولاتوافق على التقسيم الذي نراه الآن . وفضلا عن ذلك لم يكن لهذا التقسيم من وجود حين أدخلت طريقة الانتداب الى سورية .

ويلفت الانظار ماذكر في ختام هذه المادة وهو ثلاثة شروط ذكرت لتتقيد الدولة المنتدبة بأماني البلاد وهذه الشروط هي النظام والسكينة واحترام حقوق الاقليات وفيها خلاصة مصالح البلاد . أما وقد استتب الامن في البلاد وعادت اليها السكينة كما يقولون فان سورية من الشمال الى الجنوب تنتظر من فرنسا نيل سؤلها ولاندري ماهي الاسباب التي تجعل الدولة المنتدبة تخبط خبط عشواء حتى الآن .

ونرانا مكرهين على التعبير عن عواطف وطنيينا والتصريح بكل أسف بأن أولي الاحكام عندنا لا يزالون سائرين على منهاج العنف فجميع أنواع الحرية مجهولة عندنا فهم يغرمون الناس مبالغ باهظة من الذهب ويحصلون الضرائب بقوة السلاح ولم تنته المساوىء التي أنكرتها قبلا لجنة الانتدابات الدائمة وانا نلفت نظركم الى ما يتخذونه من التدابير لابعاد كثيرين من اخواننا وتعيين محل لاقامتهم الجبرية فيه والنفي وتوقيف الجرائد (عطلت عشر جرائد في شهر واحد في لبنان) عن الصدور واذا القيتم نظرة على جرائد دمشق ورأيتم أنها اضطرت الى نشر اعلانات غير مأجورة لسد الفراغ الذي تركه قلم المراقبة ظهرت لكم بكل جلاء حقيقة الحالة الحاضرة في سورية . فهل هذه الاعمال معدودة من أفضل الوسائل لتوطيد أركان الامن وأعادة الثقة الى البلاد .

أما مسألة احترام حقوق الاقليات فنظن أنهم يعنون بذلك اخواننا ووطنيينا المسيحيين ونحن وان لم نعتبرهم قط أقليات اذ لم نجعل أدنى فرق بيننا وبينهم نعلن على رؤوس الاشهاد ان هذا الاحترام لم يقع قط تحت البحث فالاعتراف بلبنان القديم وفيه ا كثرية مسيحية من جملة مواد برنامجنا الجوهرية الا أننا ننكر أن

يؤولوا هذه المادة تأويلا يكون من نتيجته أن يجعلوا الاقلية تسود الاكثرية .

وأما الشرط الثالث وهو احترام مصالح البلاد فنعتقد أن القول الفصل في هـذا الصدد يكون للبلاد نفسها . وبعد ما بسطناه لا نشاء أن نظن أنه قد تكون هنالك أسباب تحول دون النزول على رغبة الاكثرية على ما بيناه غير مرة

ويصرح القسم الثالث من البرنامج بانهم سيتحدون سياسة المسيو دي جوفنل ونظن أن هذا التصريح يحتمل الشك واليقين لأن المباديء المودعة في البرنامج تعاكس المباديء التي وافق عليها المفوض السامي السابق فقد كان المسيو دي جوفنل يقبل بالاعتراف بصراحة باستقلال سورية وسيادتها ووحدتها وعقد معاهدة بملء الحرية تصان بها مصالح الفريقين وانتظام سورية في سلك جمعية الامم وأما برنامج المسيو بونسو فانه خال من ذكر هذه الامور بصورة صريحة . أما قولهم بان القانون الاساسي سيكون من وضع الذين يعنيهم هذا الامر اي من وضع الشعب السوري فاننا نكتب ذلك في مقيدتنا وننتظر انجاز المواعيد . ولـكن اذا ظلوا محافظين للوحدات الدينية التي اختلقوها على كيان سياسي لا مسوغ له وعلقوا حل المسائل الجارية على اتفاق الدول المختلفة مع معارضة اصحاب الخطط والمناصب في هذه الدول لـكل تغيير يدخلونه وليس على ارادة البلاد كلها الممثلة في جمعية تأسيسية واحدة وعامة فلا ينتهون الى عمل ثابت وعادل ونهائي . ولا ينبغي أن يذهلوا في هذه الاحوال عن لفت النظر الى أماني سكان الاراضي التي ضمت الى لبنان خلافا لرغبة اهليها ونعتبر ان هذه الاماني جديرة بالاعتبار كاماني جميع البلاد وتعلق عليها السلطات المنتدبة كثيراً من الاهمية في احيان كثيرة .

وحيث كان في البرنامج تصريح بنية المفوض السامي لمراعاة أماني السكان فلا يسعنا أن نفترض أن هنالك ما يبعث على ضرب عرض الحائط بأماني هذه الانحاء المضمومة الى لبنان . فليس من خلاف بين حكومتي سورية ولبنان ولـكن بين سكان هذه الانحاء المساكين وفرنسا التي ضمتها الى لبنان بالقوة فليس لبنان في هـذه الحال مدعيا على افتراض أن حكومة سورية تسلم بترك أرضها لحـكومة لبنان مسيرة بضغط الدولة المنتدبة فهو يكره على اختلاس حقوق رعاياه المقدسة فهم لا يرضون بوجه من الوجوه ذلك الترك وينكرون عمـل سورية نحوهم وعليه فان الالتجاء الى تسوية لا يعادل الامتناع عن

انصاف المظلوم ونكران حق طبيعي فقط بل يعني تعزيز الظلم بشكل رسمي

وليس لهـذه المطالب وما شاكلها الا حل واحد وهو النزول على رغائب السكان فهم يبدون آراءهم على ما يمليه عليهم وجدانهم وعلى ما تقتضيه الحرية وعلى هذه الصورة تظهر فرنسا عدالتها ونزاهتها .

وفي القسم الرابع من البرنامج تأييد لقسمة سورية الى دول والمبادرة الى اجراء ذلك فقد جاء فيه « من اختصاص الحكومات المحلية أن تعمل لمصالحها الخاصة بالاستناد الى مشورة الدولة المنتدبة وعضدها » فيؤخذ من نص هذه الفقرة ان في النية ابقاء التقسيم على ما هو عليـه الآن الى أجل غير مسمى. أجل انه يذكر فيما بعـد صورة للوحدة فحواها ان كل دولة مع المحافظة على استقلالها تتحد بالدول الاخرى بأربطة تربط جميع هذه الدول بسلطة المفوض السامي الذي يدير المصالح المشتركة ريثما تؤلف الدول الحالية الانظمة الثابتة لاتحادها تحت كنف الدولة المنتدبة

ولكن لابد من الاشارة في هذا المقام الى أن بلاد العلويين ولواء الاسكندرونة وجبل الدروز يتولى شؤونها حكام فرنسويون وان سورية يحكمها حاكم يستمد سلطته من القوة العسكرية التي لدى الدولة المنتدبة . ونظن أنه يصعب أن نجد سوريّا ذا كرامة شخصية ووطنية صادقة يرضى بمثل هذه الصورة . وكيف يجيز المنطق أن يكون لهذه الدول محرك غير ارادة مدربيها الشديدي الحول والطول .

ولنرجع قليلا الى الوراء لنرى هل استشير العلويون حين جعلوا بلادهم دولة. وهل تسقطوهم عن رأيهم لما ضموهم الى الوحدة السورية في سنة ١٩٢٢ أو لما فصلوهم عنها مرة ثانيـة في سنة ١٩٢٣ ففي ادوار التغير الثلاث التي مرت على العلويين لم يكن لهم فيها أقل شأن . أو ليس هو معتمد فرنسا الذي كان يبـاشر الامور ويقررها باسمهم

ولقد تشرفنا ببسط هذه الامور في تقاريرنا السابقة . والآن تبسط لكم فرنسا هـذا الامر في تقريرها عن سنة ١٩٢٦ في الفقرة الرابعة من الصفحة الثالثة والثلاثين حيث تقول :

« وفضلا عن ذلك هذه مسألة لا تهم الا الوجهاء فلا تكترث عامة الشعب للمسائل الدستورية فهي تفوق مداركها » أوليس في هذا الكلام كفاية

فيؤخذ مما سبق بيانه أن حل هذه المسألة غير منوط بارادة مجموع الشعب في بلاد العلويين فهو لا ناقة له ولا جمل في المسائل السياسية وانما المرجع في ذلك الى ارادة الحاكم

أولا يحق لنا والحالة هذه أن نسأل عن الحين الذي تستطيع فيه بلاد العلويين وجبل الدروز أن يضعا قواعد ثابتة تربطهما بدولة سوريا ليتحدا بها فارادتهما خاضعة لارادة الحكام الفرنسويين الذين يديرون شؤونهما . ولمجلسكم الموقر القول الفصل في هذه القضية فهل يجوز أن تكون وحدة اللغة والاخلاق والجنس والمصالح والموقع الجغرافي على ما هو مدون في بطون التواريخ وعلى ما هو متسلسل بالتقليد وعلى ما اعترفت به جمعية الامم ممزقة تبعاً لطقوس السكان ومذاهبهم الدينية ومقسمة الى دول تستقل الواحدة منها عن الاخرى ولا يربطها بعضها ببعض الا سلطة المفوض السامي المشتركة وذلك كله مخالف للعهد الذي فوض الى الدولة المنتدبة العمل به لتسهيل استقلال هذه الوحدة بحيث يتكون منها أمة من دون أن تنشأ دول ترتكز على قاعدة الاديان والطقوس وهي طريقة تفضي الى الفت في عضد سورية واضعاف موقفها في أنظار الاجانب .

ان في العراق مذاهب دينية مختلفة كما في سورية ولكنهم لم يقسموا البلاد تبعاً لهذه المذاهب وقد كان لهذا العمل استياء عظيم ومصاعب شديدة عندنا على أن اختلاف الاديان لم يكن دائماً يقوم عقبة في وجه الوحدة السورية . وفي بلدان كثيرة وحدة سياسية تربط السكان بعضهم ببعض مع اختلاف مذاهبهم الدينية والاجناس المنتمين اليها وقد تتجلى عندهم هذه الاختلافات بمظاهر تفوق المظاهر التي تتجلى بها في سورية

ويعد البرنامج بنوع من اللامركزية في مصالح الانتداب وهي الآن في أيدي أشخاص لا تصل اليهم عين المراقبة وقد عرضنا ذلك غير مرة للجنة الانتدابات فلا نعود الى الكلام عن هذه الظلامة فانها لم ينظر اليها بعين الاعتبار . ولا يخفى عليكم يا حضرات السادة أن الشعب قد طلب من مدة طويلة أن يكفوه مؤونة الاستبداد الذي تزاوله هذه المصالح وهي من أهم أسباب فقدانه الثقة بالسلطة المنتدبة لان التدابير التي لجأ اليها ترمي الى سياسة التقسيم وتؤول الى انشاء جنسيات مختلفة في الامة تبنى على المذاهب الدينية .

ويذكر القسم الخامس من البرنامج ان الامن والسكينة استتبا في داخل البلاد ومن العبث أن نقول انه اذا كان الامن والسكينة قد استتبا فان السلام الحقيقي لا تزال البلاد مفتقرة اليه وقد مضى عشر سنوات والقوة المسلحة لم تستطع إعادة هـذا السلام الى مجاريه ولا يمكن أن يعود اليها الا اذا أعيدت اليها حقوقها الشرعية وعلى هـذا الاساس من دون سواه توطد أركان الصداقة الحقيقية بين فرنسا والبلاد المشمولة بانتدابها

وليس التعاون الادبي والمادي الا نتيجة هذا الامر وفي هذه الحال تضمن عودة الامن والسكينة بعدد قليل من الجند لا يثقل كاهل خزينة الحكومة السورية ويضمن الجيش السوري الوطني عند تألفه الامن في الخارج والداخل بمساعدة السلام الادبي والنهائي وان مشاركة البلاد في ما تقتضيه المحافظة على الامن من النفقات لا تتم بالتراضي وتثير عوامل الدهش في بدء الامر من دون أن يعتبر من تعنيهم ضرورتها لتسكين غليان الافكار في البلاد

ولا تسلم البلاد باي حالة كانت بان تكون المحافظة على الامن موكولة الى غيرها ولا تطيق أن تجبر على دفع نفقات جندية مؤلفة من عناصر أجنبية كالشركس والارمن الذين جندتهم فرنسا وأتوا من الاعمال المنكرة ما لا تنساه البلاد وما قبحته جمعية الامم . وقبلما تصيب سورية سيادتها الوطنية تظل هـذه الجندية باعثاً على خوف لا ينكر . وما عدا ذلك فان ما وصلت اليه البلاد من الشقاء من جراء الحوادث التي توالت عليها يجعلها عاجزة الآن عن المشاركة في النفقات المشار اليها .

ويلمح القسم السادس من البرنامج الى التدابير الواجب اتخاذها لتحسين الحالة الاقتصادية والمالية وقد دل الاختبار على أن المسألة السياسية اساس لجميع المشروعات الاقتصادية والمالية . وكل عمل لا تراعى فيه هذه الحقيقة يظل عقيما فلا يتسع نطاق الاقتصاديات الا بالثقة والامن وهذان الامران منوطان بانالة البلاد حقوقها السياسية ولا تأتي القوة الا بفائدة موقتة ولا يمكن الاستناد اليها الى ما شاء الله فالاتفاق المتبادل قاعدة اليسر ومنبع الرخاء في المستقبل

وقصارى الكلام اننا نبسط لكم يا حضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء

والتنغص يتقسمنا ما يخالجنا من الشك في تحسن الحال في ادارة شؤون بلادنا سورية فهي لا تستقر على حال من القلق والاضطراب ولا نرى منتدحا عن لفت انظاركم اليها كما فعلنا ذلك غير مرة في ما مضى . ولم يتحقق ما علقناه من الآمال بالمسيو بونسو ويا حبذا لو صحت أحلامنا وهو ان فرنسا تراعي ما تمن به علينا جمعيتكم المحركة بعوامل الانسانية بالمناصرة الادبية وتعير ملتمسنا اذناً سميعة وتغير منهاجها السياسي الذي نهجته حتى الآن ونأمل انها لا تحمل مساعينا الا على محمل حسن القصد والنية للوصول الى الاتفاق الودي والحبي طبقا لوصايا ومشورات جمعية الامم .

ونحن موقنون بان مجلسكم الموقر لا يضن علينا بالمساعدة للاهتداء الى الطريق الذي ننشده من ثماني سنوات من دون أن نهتدي اليه . فنلقي اتكالنا عليكم وقلوبنا طافحة من الجرأة ونرجو منكم قبول سامي احترامنا

الوفد السوري

الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري ورياض الصلح

ونورد خلاصة مقالة قيمة نشرت في جريدة من جرائد بيروت العربية فنزيد بها الحال الحاضرة جلاء وهي رصينة العبارة دبجتها يراعة لبنانية :

« تعديل الدستور اللبناني — بعد ما عاد من باريس المسيو بونسو الذي يسمونه عندنا « الصامت » لشدة تكتمه دعا البرلمان اللبناني الى تعديل الدستور الذي وضعه المسيو دي جوفنل فافترت جميع الثغور لما ذاع هذا النبأ وعللت النفوس بامل التخلص من التحفظات التي استبقاها المفوض السامي لنفسه ولكن لم يصدق ظننا فان الحكومة الفرنسوية كانت قد لامت المسيو دي جوفنل على منحه ايانا هذا الدستور فهو في نظرها واسع علينا ونحن من جهتنا كنا نراه غير منطبق على سيادتنا الوطنية وماساً لحريتنا واستقلالنا . وتسعى الآن السلطة المنتدبة سعيا مقرونا بالحماقة والرعونة لتسترد ما فقدته في عهد دي جوفنل فالمسيو بونسو الذي لا يزال موظفاً من موظفي وزارة الخارجية نقل مكتبه من الكاي درساي الى دار المفوضية العليا في بيروت وقد تلقى برنامجا من رؤسائه ليضعه موضع الاجراء في لبنان وسورية وهذا هو البرنامج الذي نشره . والى جانبه — وهـذا اما لحظه واما لتعسه — كولونل يدعى

الكولونل كاترو وهو في الحقيقة المفوض السامي الحقيقي لان المسيو بونسو مفوض سام بالاسم فقط (١) . فهذا الكولونل بما اتاه من الاعمال المقرونة باستبداد متجاوز الحد نفر الذين كانوا باقين على ولاء فرنسا . ولا شيء يؤيد الحوادث الا الاعمال فها نحن نذكر بالايجاز ما كان من تصرف هذا الكولونل حين عمدوا الى تعديل دستورنا وانه لامر مشهور ان مجلسي برلماننا اللذين أدغما ليتألف منهما مجلس واحد لم يفعلا ما فعلاه الا تحت طائلة التهديد بالحل . ومما يجر عليه العار الرسالة التي وجهها الى جريدتي « المعرض » و « البرق » وهي مكتوبة بلهجة شديدة عن مشروع التعديل المنوي عمله وهذا تعريب الرسالة :

« يتعجب المفوض السامي من موقفكما بازاء مشروع تعديل الدستور فانكما لا تفتآن تنتقدان الدستورالذي سن في ٢٣ مايو ١٩٢٦ وتطلبان تعديله وتلتمسان حكومة قوية . فلما قررت السلطة المنتدبة منحكما سؤلكما نهضتما لمعارضة المشروع وأظهرتما انكما من مريدي بقاء الدستور السابق فاصرح لكما

---

(١) كتبنا الى رئيس الوزارة في ٢٣ مارس ١٩٢٧ ما يأتي :

نشرت « المجلة السياسية » من عهد قريب حديثاً دار بين معتمدها وبين الكولونل كاترو احد موظفي المكتب السياسي في المفوضية العليا فكان لنشر هذا الحديث صدى غير محمود عند الذين يتعلق بهم هذا الحديث فقاموا ينكرونه بمقالات مسهبة نشرت في الصحف . فاذا كان الاصلاح الموعود به وتغيير العلاقات بين الدولة المنتدبة والبلدان المشمولة بانتدابها يبنيان على هذه القاعدة فيخشى أن يكون اخفاق الآمال من كلا الجانبين . فكأن درس اخلاق السوريين واللبنانيين والبحث في موقفهم لا يستندان الا الى نظريات سطحية وقد تفنن كل من الفريقين في تلك البلاد في كتمان عواطفه ومخادعة الآخر مدفوعاً الى ذلك بعاطفة الخوف أو بداعي المصلحة أو بميل خاص للخداع .

فلا اعمد الى ادنى انتقاد من هذا القبيل ولكنني لما كنت اعرف دخائل القوم في هاتيك البلاد بتمرسي بكثيرين منهم في خلال ثلاث وعشرين سنة أؤكد لك اننا لا نزال ضالين عن سواء السبيل . . . »

كما صرحت لاعضاء مجلسيكما بان السلطة المنتدبة توافق على تعديل الدستور على الوجه الذي عدل بموجبه فاذا رأينا انكما انتما وأعضاء برلمانكما تثابرون على المعارضة في هـذا التعديل اضطررنا الى الاستنتاج بان موقفكم يستحق بأن يتحمل تبعة ذلك . هـذا ما أردت أن اقوله لكما ولا ارضى جوابا على ذلك ولا ايضاحاً .

(التوقيع) كاترو

فلم يشأ المعرض اغضاء الجفن على القذى فارسل اليه جواباً نلخصه بما يلي :
يا حضرة الكولونل

قد لا يسمح لك وقتك الثمين بأن تصغي الي جوابنا على تصريحاتك ومع ذلك نضطرك الى قراءة هذا الجواب بدلا من أن تسمعه فنحن في دورنا يا حضرة الكولونل نصرح لك بانا تلقينا بدهشة لا توصف تصريحاتك للصحافيين عن تعديل الدستور فأنت تجاه أمرين : اما ان تراجمتك لم يترجموا لك بأمانة مقالات الجرائد واما أن تكون قد نسيت ما نشرته هذه الجرائد فأنت في كلتا الحالين مخطىء يا حضرة الكولونل باتهامك الصحف بما أتهمتها به . فحين عهد المسيو دي جوفنل الى المجلس التمثيلي في مهمة سن الدستور هبت الجرائد هبة واحدة طالبة أن يشرك في هذا العمل الطبقة المتنورة من الامة في البلاد وطلبت منه النقابات المختلفة والجمعيات وأصحاب المقامات العالية في لبنان الطلب نفسه فاصمت السلطة المنتدبة أذنيها ضاربة عرض الحائط بمطالب الامة جمعاء . ولم تنفك الجرائد عن طلب اصلاح ما في الدستور من الخطأ والعيوب مقترحة تأسيس جمعية تأسيسية تنهض باعباء هـذا التعديل فلم تكترث السلطة المنتدبة هذه المرة أيضاً لهذا الاقتراح . وتمنت الصحف لو يكون لنا حكومة وطنية قوية من دون أن تعرض السيادة الوطنية للضعف أو تمس قاعدة الدستور أو توسع دائرة سلطة المفوضية العليا مخافة أن يقضى على استقلالنا الوطني وبالطبع لم تلتفت السلطة المنتدبة الى هذه الاماني

وكان ان السلطة المنتدبة فهمت من كل ما نشر في الجرائد كلمة « تعديل » من دون غيرها . وهذا هو السبب الذي من أجله أتحفتنا بهذا التعديل الغريب الذي لم يكن أحد من اللبنانيين يتوقعه ولم يخطر لاحد من وطنيينا ان فرنسا

التي وافقت على الدستور السابق تدخل عليه هـذا التعديل الذي أخطأ موضعه واعتبر هادماً لاساس كل حرية وكل مبدأ دستوري

يا حضرة الـكولونل ، اذا كانت السلطة المنتدبة تفهم دا ئماً معنى المقالات المنشورة في الجرائد كما فهمت طلباتنا في ما يتعلق بتعديل الدستور فيشق علينا أن نقول ان هذه السلطة لم تفهم شيئاً كثيراً من شكاوينا وأمانينا . فقد طلبنا من فرنسا أن تمنحنا حظاً كحظ العراقيين في سن دستورنا ولـكن فرنسا ضنت علينـا باجابة سؤلنا بل ضيقت علينا الخناق . وبينا نري العراق تزداد حريته يوماً فيوماً نرانا وقد حرمنا ما بقي لنا من تلك الحرية الاسمية

يا حضرة الـكولونل لم نسمع قط انهم يضعون بالتهديد والارهاب دستوراً لبلاد مهما كانت ضعيفة فقد قلنا ولا نزال نقول ان للسلطة المنتدبة قوة لمزاولة شؤون الادارة مباشرة في البـلاد فليس لنا طاقة على مقاومتها بالقوة ولـكننا نرفض رفضاً قطعياً أن نوقع بأيدينا صك عبوديتنا

فلتشفق فرنسا « الصديقة » على ما بقي لنـا من الـكرامة ولتترك لنا على الاقل حرية الفكر وحرية الارادة .

يا حضرة الـكولونل ، تستطيع أن تأخذ منا نعاجا للذبح وضحايا لتقدم محرقة على مذبح السـياسة الـكافرة ولـكن لا تستطيع أبداً أن تجعلنا ساقطي المروءة منحطي المنزلة وحين نذكر ان عشرات الالوف من اللبنانيين ماتوا في الحرب العالمية في سبيل حبهم لفرنسا نشعر بانقباض في صدورنا وبقنوط يتولى نفوسنا ويشتد هذا الشعور فينا حين نسمع ممثل فرنسا يقول لنا : هذا ما أردت أن أقوله لـكما ولا أرضى جواباً على ذلك ولا ايضاحاً . ولو كان في هذا الامر ما يعزز كرامة فرنسا ونفوذها في الشرق لهان علينا ذلك ولرضينا بهذه التضحية مرة أخرى ولـكننا موقنون يا حضرة الـكولونل بان هـذه الضربة ستكون وخيمة التبعة على سمعة فرنسا في الشرق أكثر مما تـكون على دستورنا فالاختبار أظهر لنـا في السنين الاخيرة ان الاصلاح الذي أدخلوه على تنظيم حكومتنا لم يدم أكثر من سنة ونحن متأكدون ان التعديل الجديد سيعاد النظر فيه بعد سنة على انـ الضربة الواقعة من الفرنسويين على سمعة بلادهم لا يمكن اصلاحها قبل عشرات السنين

فاسمح لنا يا حضرة الكولونل أن نقول لك ان البلاغ الذي أرسلته الينا بصورة التهديد لا نخشاه ما دمنا في دائرة حقوقنا ونحن مستعدون لتحمل نتائج المعاملات الجائرة فنحن وجريدتنا مستعدان لذلك . فأنت قادر أن تعطل جريدتنا وتزج صاحبها في السجن ولكن لا تتوهم انك تقدر أن تغير رأيه وتتسلط على ارادته وتخنق عواطف الحرية والاستقلال فيه وهو قد تعلم ذلك في تاريخ بلادكم .

ويجب أن تتأكد السلطة ان مشروع تعديل الدستور سيحبط ولا محالة حتى ولو أقره المجلس وكل ما تحاول السلطة أن تقوله غداً أي ان نواب لبنان اقترعوا على هذا المشروع لا يسعه أن يستر الحقيقة فالسلطة لا تستطيع أن تجعل جميع اللبنانيين يعتقدون ان النواب فعلوا ما فعلوه بملء حريتهم وقد لجأوا الى استعمال الوعد فالوعيد فالرجاء مع هؤلاء النواب . وكل عمل يعمل بالضغط والتهديد لا تكون له قيمة شرعية .

يا حضرة الكولونل ان موقف السلطة واستعمالها الوعد والوعيد بالتناوب من أدلة الضعف في سياستها . »

هذا هو الموقف في الوقت الحاضر فقد أصبح مجزوما به بصراحة . ولا يخفى ان السلام الموقت الذي نلناه على يد ستين الف جندي قد يتحول غداً الى حرب جديدة بشكل مناوشات تزهق فيها أرواح كثيرة ونفقد فيها ثمرة جهدنا في ثماني سنوات . هذا اذا لم تقع حرب في أوربا وهناك الطامة الكبرى .

ويرجع البلاء الذي صرنا اليه الى مناهجنا المنكرة وموظفينا الكثيري العدد في البلدان المشمولة بانتدابنا وجميعهم لا هم لهم الا المحافظة على المراكز التي يشغلونها وهم غير جديرين بتوليها . والى التقارير الكاذبة التي يرسلونها الى باريس . والى القابضين بأيديهم على أزمة شؤوننا . والى دائرة الاستخبارات المشهورة . واليك ما كتبه المسيو رينه دابرياس في « جريدة الاستعماريين والجيش الاستعماري المتحدين » في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ :

« ان دوائر الاستخبارات في الشرق وهي معروفة عند الكثيرين بانها دوائر لا تتقيد بالمبادىء التي ترتكز عليها كل جمعية من جمعيات العالم المتمدن يجب أن تنبذ نبذا اذا بقيت على الشكل المؤلفة بموجبه . فالشرق يختلف عن

المغرب الاقصى وقد كان يجب أن تلغى في هذا الاخير دوائر الاستخبارات التي يسمونها « الدوائر العربية »

ويؤكد العارفون انه اذا أجري تحقيق مدقق في خزائن أوراق دوائر الاستخبارات اكتشفت عجائب غرائب فيها . فهذه الدوائر عاجزة عن الوقوف على الحقائق ومعرفة الاشخاص والحوادث معرفة تامة فهي تستند الى تقارير وافادات تنتهي اليها من دون أن تستطيع أن تؤيد صحتها وتنظم بها تقارير ترفعها الى المراجع الايجابية وقد فاتها ان كل ما بني على الفساد فاسد . . . »

ولهذه الدوائر شأن خطير في البلاد المشمولة بانتدابنا . ولا بد من أن يكون السوريون واللبنانيون قد انتبهوا الى وجوب التفاهم ومعرفة الطريق المؤدي الى تسوية خلافاتهم من دون أن يحتاجوا الى وسيط .

ولا بد من أن تكون سورية قادرة على تعيين شخص كبير المقام يفوض اليه دعوة مجلس اشتراعي فان حضرة احمد نامي بك رئيس الحكومة السورية غير محرز للصفات التي تؤهله الى هذه المهمة فيهيء المجلس الاشتراعي شرائع البلاد من أنظمة ودستور وحينئذ تبدي البلاد رأيها فيها . والسواد الاعظم من السوريين يرغب في أن تكون هذه الانظمة والدستور مبنية على قواعد مدنية من دون أن يكون للدين شأن فيها ومتى تم ذلك سهل التفاهم بين سورية ولبنان . ويأتي بعد ذلك دور اختيار رئيس الحكومة فيشير بعض الزعماء السوريين المسموعي الكلمة بتجنب اختيار هذا الرئيس من رجالات البلاد وزعمائها تجنبا لوقوع مناظرات بين الاحزاب وخصومات ابتدأ قرنها يذر فالافضل اختيار امير من الاسر المالكة في مصر والبلاد العربية . الا ان فريقاً آخر يقول ان اتباع هذه المشورة خطأ فاضح من جراء تعقد الحوادث الخارجية ولا سيما في ما يتعلق بمصر على ما بينا ذلك في الفصل الثالث .

وحين يتم هذا التحول السياسي بعد اعلان الوحدة السورية ننظر في طلبات البلاد وأمانيها وكلما تأخرنا في اجراء ما تقتضيه الحال ازداد الموقف حرجا . ففي الرسائل التي نشرناها دليل على حدوث تحول لا يخلو من الخطر والاستنجاد بجميع المسلمين والانضمام الى اي مدافع كان يذود عن حقوقهم المهضومة .

فليس الزعماء السوريون من خصوم الاجانب ولا من المخالفين لاعداء فرنسا

واوربا فهم بصفة كونهم شرقيين شديدو التيقظ ومطلعون على تاريخهم الماضي وعارفون ان مصالحهم مرتبطة بمصالح أوربا وان سلامتهم في المستقبل وحريتهم قد تستهدفان في عهد قريب أو بعيد الى نبال المتألف .

فلنستفد اذن مما بقي عندهم من الميل القديم الودي الى فرنسا ومن الثقافة الفرنسوية التي تقربهم من بلادنا فلدينا وسيلة واحدة نتوسل بها وهي أن نتعاون تعاوناً حقيقياً مع الاحزاب العربية الكبيرة التي تمثل الرأي العام عند السكان سواء كان في سورية أو في لبنان أو الولايات المتحدة أو مصر أو في بلدان اميركا الجنوبية .

وكتبت جريدة البرق البيروتية مقالة عنوانها : « سورية في سوق النخاسة » في أول نوفمبر في المعنى الذي نحن في صدده وهذا ملخص مقالتها :

« رومية في ٢٦ اكتوبر ١٩٢٧ — الدوائر الرسمية في رومية متكتمة كل التكتم حول مشروع منسوب الى السر تشمبرلن وهو اعطاء ايطاليا سورية وقد تلقى الرأي العام الايطالي هذه الفكرة بحماس شديد لان ايطاليا تسعى الى التوسع فاذا نالت الانتداب لسورية اتخذت بيروت ميناء لاصدار بضاعتها الى الاناضول وفلسطين والعراق وجعلت في هذه المدينة مستودعاً للفحم لسفنها التي تسافر الى الشرق الاقصى . وتستخدم ايطاليا سورية كقاعدة بحرية تجاه الاناضول فتصل بقواعدها الاخرى في الجزائر التي غنمتها من تركيا في الحرب التي وقعت بينهما »

فمتى يفهم الغرب أن الشرق يأبى أن يظل كما كان عليه في الماضي اعني قطيعا كان يغتذي بلبانه ولحمه ويكتسي بصوفه ، والى أي حد يطيق هذا الشرق أن يرى الغرب يبني هناءه ويسره على أنقاض شقائه . ومتى يدرك الغرب أن الروح الحي الذي يحرك الشرقيين الآن لا يماثل روح الخمول الذي كان الغربيون يعهدونه فيهم في الماضي . واذا كان لا يزال شيء من تفوق الغرب على الشرق فذلك ناجم عن الخلاف العابث بالطوائف المختلفة وهذا الخلاف تسعى الشبيبة الشرقية لازالته .

وكأنا بايطاليا تتحرك بروح الفتح وقد نفخه فيها « دكتاتورها » مسوليني

وهي لم تدرك هذه الحقائق فاما عذرها لانها لم تتمرس بالعناصر الشرقية ولا سيما السوريين وهي تتكلم من حين الى آخر بلهجة لا يطيق السوريون سماعها وهي لهجة الاستعمار لخدمة مصالحها الاقتصادية والعسكرية كأن سورية سلعة تخص اوربا يتبادلها البائعون والشارون كما يتبادلون السلع التجارية بينهم .

فلو كان للذين يزعمون هذا الزعم عواطف نبيلة لأبوا استعباد الشعوب مع تباهيهم باعلان الحرب العوان على الذين يستعبدون الافراد وبعقد المؤتمرات وانشاء المعاهد لهذا الغرض

وأنى يسوغ للسر تشمبرلن أن يعطي ايطاليا سورية . فهل له أن يبرز صك ملكية هذه البلاد فمن باعه اياها ومتى تمت صفقة البيع . فليبين هذا السيد شيئاً بهذا الخصوص فنمد اليه رقابنا ليربطها بالرسن ويقدمنا صاغرين كهدية الى « دكتاتور » ايطاليا .

أما فرنسا التي لها في بلادنا تاريخ مجيد وتقاليد قديمة ومآثر شريفة وأعمال خالدة فانها بقيت على الحياد في هذا التدبير المؤاتي لمصلحة ايطاليا كأنها غير موجودة وكأنها في سورية ولبنان بارادة السر اوستن تشمبرلن . وعليه يرى السوريون واللبنانيون انه من الاستصغار لشأنهم ان يرضوا بأن تكون فرنسا في هذا الموقف في بلادهم

البلاد بلادنا ونحن السادة فيها . ونحن نعقد المحالفات مع الذي يروقنا عقدها معه ونخطب ود الذين يطيب لنا خطب ودهم . واذا كانت القوة تفوز بالحق ساعة فالحق يفوز حتى قيام الساعة

أما ما يطرأ من الخلاف بيننا وبين ممثلي فرنسا فلا ينبغي أن يجرىء الآخرين ويجب أن تسوى خلافاتنا معها بالطرق الحبية . »

ما أحسن هذه الامثلة للجميع :

وانهى الينا في آخر ساعة نبأ وقوع الخلاف بين أعضاء اللجنة السورية الفلسطينية وقد كنا نتوقع ذلك فان الامير شكيب أرسلان واحسان بك الجابري والشيخ رشيد رضا وهو عضو مسموع الكلمة في تنظيم حركة الخلافة ونائب رئيس المؤتمر خرجوا من اللجنة وأعيد انتخاب الامير ميشال لطف الله رئيساً .

فليس من شأننا التدخل في هـذه الشؤون الداخلية . وحيث كنا نعرف الفريقين وكنا نعرف خافي أعمالهما وباديها فلم ندهش من وقوع هـذا الخلاف بينهما . وقد استشرنا في هذه القضية رجلا حكيما وهو سوري شيخ على جانب عظيم من الرزانة وأطلعناه على كتابنا هذا وها نحن ننشر خلاصة كلامه :

« ان هـذا الحادث يبعث على الاسف ويخشى أن يكون وخيم المغبة فان أعضاء المؤتمر المعتدلين نالوا من سنتين من الاعضاء المتطرفين موافقـة موقتة على سياسة الانتظار والتؤدة التي ساروا عليها الا ان هـذه الوسائل حبطت كما بينت ذلك بجلاء في كتابك الذي وضعته أخيرا فالوطنيون ولا سيما الشبان رأوا ان ما بذل من الجهد وطول الاناة لاصابة الحقوق المهضومة بقي بلا جدوى فأصموا آذانهم عن سماع ما يقال في شأن المفاوضات . وحيث لم يكن لهم مطامع شخصية — وهذا ما يميزهم عن غيرهم — لم يداروا في المنام خليلا سواء كان في فرنسا أو في بريطانيا ولا هم لهم الا مساعدة بلادنا التاعسة المستعبدة وقد قررت اللجنـة أن تجعلهم في حل من كل اجبار أو اكراه ولا أرى سوى حل واحد لتسكين الخواطر المتهيجة في سورية ولبنان وهي أن تفعل فرنسا ما يلزم فعله وما التمسوه منها من وقت طويل وما كررته في كل سطر من كتابك . »

فياليتهم يسمعون هـذا الصوت . أما العالم العربي فانه سيفقد في جنيف سياسيين محنكين يصعب أن يقوم غيرهما مقامهما .

وكان من حسن الحظ ان لجاناً سورية في أميركا وسورية وجمهورا كبيرا من الطلبة السوريين احتجوا لجمعية الامم على اخراج الذين ذكرناهم من اللجنـة السورية الفلسطينية وبقي الوفد السوري المؤلف من الامير شكيب أرسلان واحسان بك الجابري ورياض بك الصلح في جنيف وقدم تقريراً قيما الى جمعية الامم في شهر فبراير بناه على الاصلاحات الجديدة التي أذاعها المسيو بونسو .

وفي واقع الحال حدث تحول في سورية في شهر فبراير ١٩٢٨ فقد استبدل بوزارة احمد نامي بك وزارة الشيخ تاج الدين وأعلن عفو عام واسع ووعدوا بمنح حرية تامة في الانتخابات لتنتخب جمعية تأسيسية وألغيت الاحكام العرفية والمراقبة على الصحف

وقال الوفد انه لابد من ابقاء بعض التحفظات

١ — أشارت الوزارة الجديدة الممتثلة لاقتراحات المفوضية العليا الى الاستقلال الاداري في بيانها ولكن عهد جمعية الامم يضمن الحرية في المادة الثانية والعشرين ولا يختص فرنسا بحقوق خاصة في سورية

٢ — يجب أن تكون الانتخابات عامة في سوريا الموحدة وغير المجزأة (ما عدا لبنان)

٣ — ان الانتخابات في الاقضية وليس في الالوية خطأ فاضح ينشأ عنها تأثير أصحاب النفوذ

٤ — لم يكن العفو العام شاملا للجميع

٥ — كان يجب أن يقرر الاستفتاء قبل الانتخابات في الاقضية التي ضمت الى لبنان الكبير وفيها مئات الالوف من السكان

٦ — تسن الجمعية التأسيسية الدستور بالاتفاق مع الدولة المنتدبة ولم يبق من سبيل الى التكلم عن الحرية . ويحول الانتداب الى معاهدة فرنسوية سورية

٧ — يجب أن يكون لسورية جيش خاص يتولى شؤونه الضباط الذين كانوا في الجيش العثماني وهم كثيرون . وليست سورية مستعمرة

٨ — ونقول أخيراً انه يجب أن تنتظم سورية في سلك جمعية الامم

والحق يقال ان الوفد السوري كان مصيباً في ابداء مخاوفه من بعض الوجوه فان أمهات الجرائد الفرنسوية ابتدأت تنشر مقالات مسهبة من شهر يناير سنة ١٩٢٨ وعقدت جمعية « فرنسا — الشرق » وجمعية « فرنسا — سورية » (وهذه الجمعية تألفت حديثاً برئاسة المسيو دي جوفنل) اجتماعات تجلت فيها المنازع الاستعمارية بأجلى مجاليها . ولا يخفى ان مثل هذا العمل لا يخلو من المحاذير وأفكار العالم الاسلامي والعالم الغربي تغلي غلياناً .

الفصل السادس

الحرب الصليبية

جاء في كتاب نشره المسيو هنري ماسيس في هذه السنة بعنوان « دفاع الغرب » « انه ليس الغرض صبغ آسيا بالصبغة اللاتينية بل هدايتها الى الدين المسيحي » .

ويستدل من اهتمام الناس بهذا الكتاب وموافقتهم على ما جاء فيه ان هذه الفكرة وكثيرات من أمثالها تجول في خواطر الاكثرية الساحقة عندنا فما أعظم ضلالهم . ان الشعوب لا تستهويها نظريات علم ما وراء الطبيعة فهم يميلون الى البساطة في أفكارهم والى العنف في تحولهم وليس للزعماء والشبيبة في الشعوب الاسوية — ما عدا روسيا — من مطمح الا في رؤية بلدانهم مستقلة ولم يخطر لهم قط أن يتهجموا على غيرهم فلنقصر بحثنا على الامور القريبة المتناول ولنعلم قبل كل شيء ان هذه الشعوب يكبر عليها أن تخضع لنير الاستعباد وهي تطيل لسان الشكوى من المتسلطين عليها . وليس للاقناع من قوة تجعلها تغير مناهج أكل الدهر عليها وشرب فهي ترى أن تلجأ الى استعمال القوة والتحالف وهذا أمر طبيعي وليس في غيره ما يجديها نفعاً كاعمال الفكرة في القياسات المنطقية مثلا .

أما المسألة الدينية فقد ألممت بها في الفصل الاول من هذا الكتاب وبينت سعة نظر الشرقيين وسكان الشرق الاقصى بشأنها فهم يقبلون جميع الاديان ولا يقل عددهم عن مليار نفس وهم يدينون بغير النصرانية ومع ذلك لا تسوء حالهم فلماذا يكونون على ضلال ونكون على هدى ؟

ومن ديانات الشرق البوذية والبرهمية فانهما لا تزالان على حالتهما القديمة ولا تنتشران في الخارج ولكن الاسلام وحده يهتدي اليه كثيرون في جميع أنحاء العالم وهو وحده خطر على النصرانية والاستعمار الغربي بحسب زعمهم . فهو من دون سواه دين له قواعد شديدة وفروض ونوافل يتقيدون بها في جميع جهات الدنيا في ساعات معينة تتحد عواطف مئات من الملايين منهم

ويكون المحرك لعواطفهم هدف اسمى واحد فديانتهم قوة عظيمة تتجدد كل سنة بالحج الى بلادهم المقدسة فقد ذهب مئتا الف حاج ونيف في هـذه السنة من بلدان مختلفة وقد بلغ الحجاج الذين شخصوا من جزائر السوند الى مكة ٨٥ الفاً وعنـد اجتماعهم في مدينتهم المقـدسة يتباحثون ويتبادلون الآراء ويتفقون على ما يكون من ورائه اعلاء شأن جامعتهم الاسلامية وينتشر ما يكونون قد قرروه في بلادهم عنـد عودتهم اليها . فهذه هي قوة الاسـلام الحقيقية الداعية الى نشره ووحدته

وفي هذا الصيف عقد مؤتمر « الايمان والتنظيم » في لوزان فكتبت جريدة «الاكسيون فرانسيز» عنه في ٣١ أغسطس ١٩٢٧ ما يأتي :

« لم تذكر الصحف الفرنسوية ما عدا القليـل منها شيئاً عن المؤتمر العام المنعقد الآن في لوزان للبحث في شؤون وتنظيم الكنيسة فمؤتمر الايمان والتنظيم الاكليريكي يرمي بايعـاز من الكنيسة الانكليكانية الى اتحاد جميع الكنائس البروتستانتية وكنائس الروم الارثوذكس . فلايسعنا أن نصمت عن بيـان أهمية جهد هذا المؤتمر . فاذا لم يكن من اختصاصنا البحث في المجادلات اللاهوتية عن خلافة ماربطرس وعن الاسرار وتفسير بعض الآيات المقدسة مما يقتضي جهداً عظيماً فلا نستطيع أن نظل صامتين بازاء هذه المظاهرات فقـد يكون لها تأثير شديد .

ان ممثلي الكنائس الارثوذكسية الشرقيـة (روسيا وورومانيا وارمينيا وسربيا وبلغاريا — وممثلي بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم وقبرس وأثينا) اشتركوا في البحث في لوزان مع الانكليكان واللوثيريين والمصلحين

على انه مع تعارض الآراء والنظريات قرر ممثلو جميع هذه الكنائس توجيه رسالة عامة الى جميع المسيحيين يبينون فيها ضرورة وشروط الوحدة المسيحية «وهي الخطوة الاولى نحو هذه الوحدة » .

وقد كتب المسيو روجيه برنان في « غزتة لوزان » : « لم يبق مكتوماً عن أحد ما ينويه موجدوفكرة اجتماع عظماء رجال الدين واللاهوت من بعث وحدة الكنيسة ولا يقصرون بحثهم على تأييـد مبادىء الايمان العامة بل يتوخون تنظيما يكون لرؤساء الكنائس شأن خطير فيه . »

ويتجلى من قرائن الاحوال ان رؤساء الكنيسة الانكليكانية سيكون لهم المحل الاول في هذا التنظيم لاسباب بسيطة وقد تولى رئاسة المؤتمر أسقف انكليكاني وهو المطران برنت المحترم

ويظهر مما بسطناه ما سيكون من النفوذ العظيم لكنيسة انكلترا في جميع البلدان البروتستانتية وفي البلقان وروسيا

وكأنا بروح الاستعمار تتجلى من وراء هذا المشروع ولا نمتري في ان هذه الروح لم تكن تهب قط في صدور الذين مهدوا السبيل لعقد هذا المؤتمر فلم يكن يحرك عواطفهم الا غرض ديني بحت وقد تكون الارادة الحسنة مسخرة في بعض الاحيان لخدمة المصالح السياسية »

ان ما نقلناه عن جريدة « الاكسيون فرانسيز » لاتكون فيه تتمة للغرض الذي نقصده ان لم نذكر تعيين الاب روبنصن الانكليزي قاصداً رسولياً في مصر وفلسطين ولا يقضي هذا بالعجب على المطلعين على حركات السياسة البريطانية تجاه الفاتيكان ومرامي الكنيسة الانكليكانية في الآونة الحاضرة . فهل تكون الكنيسة الكاثوليكية هذه المرة قاعدة ترتكز عليها السياسة البريطانية .

ولم تكتف لندن باستمالة رومية اليها بل سعت الى استمالة الاسلام المجدد فقد كان افتتاح الجامع المشيد في انكلترا معينا في شهر اكتوبر سنة ١٩٢٦ وكانت وزارة الخارجية البريطانية تأمل أن يترأس حفلة الافتتاح الامير فيصل نجل صاحب الجلالة الملك ابن سعود وكان الامير في ذلك الحين في انكلترا ولكنه اعتذر عملا باشارة والده فما هو سبب هذا الاعتذار يا ترى ؟

شيدت هذا الجامع فرقة الاحمدية الاسلامية الهندية فلم يبن هذا الجامع ليفتح أبوابه في وجه جميع الفرق الاسلامية التي تدخله لقضاء فرض الصلاة كل منها على طريقته فقط ولكن الاحمديين مجاهرون بالتشيع لبريطانيا وما عدا ذلك يعتبرون منشقين . ومن خصومهم في السياسة جميع المسلمين في الهند على التقريب وقسم كبير من الهندوس . فلو كان الامير فيصل قد ارتكب تلك الهفوة لكان قد زعزع سلطة جلالة أبيه ابن سعود من أساسها ولا سيما في الحين الذي أشاعوا فيه في الهند اخباراً ملفقة عن هدمه القبور المقدسة .

ان المسلمين منتشرون في جميع أنحاء العالم كما يلي :

في أفريقية : — الجزائر وتونس والمغرب الاقصى وافريقية الغربية وأفريقية الاستوائية وافريقية الجنوبية والحبشة ومصر وطرابلس الغرب ومدغسكر وزنجبار

في آسيا : — شبه جزيرة العرب وشرق الاردن وفلسطين ولبنان وسورية وتركيا والعراق وايران وافغانستان والصين وتركستان (وخصوصاً في يونان وسزتشوان) واليابان (وخصوصاً في جزيرة فورموزا فعددهم فيها يتفاوت بين مليونين وثلاثة ملايين) والفيلبين وجزائر السوند والهند وروسيا .

في أميركا الشمالية : — قسم كبير من مهاجري العرب

في أميركا الجنوبية : — قسم كبير من مهاجري العرب

في أوربا : — بولونيا ورومانيا وبلغاريا والبانيا ويوغوسلافيا وبريطانيا العظمى

ان الدين الاسلامي الذي يتحرك الآن ويتسع نطاقه ظل مدة طويلة محصوراً في دائرة محدودة وكان ذلك نتيجة سياسة سلاطين القسطنطينية ولكنه ما لبث أن نهض نهضته المعروفة وهو الآن يسير الى التجدد باستناده الى القرآن وهو كتاب نفيس وحيد في بابه يستدرك الامور ويساعد على التحول واقتباس محاسن الاشياء. فالمجددون يبتغون مجاراة التقدم الحديث مع مايبديه المحافظون من المقاومة ولا سيما في جامع الازهر . واذا كانت المناظرة في هذا الصدد لا تزال قائمة في مصر بين فريق المحافظين وفريق المجددين فانها انتهت بفوز الاخيرين في غيرها من البلدان الاسلامية وخصوصاً في تركيا وايران وافغانستان. وسيكون لمناصرة الملوك المستقلين كابن سعود والامام محمود يحيى شأن عظيم في هذه القضية فانهما يرسمان الخطة التي يحسن السير عليها .

ولا يكترث ابن سعود للفرق التي تسعى لتمزيق شمل الاسلام فانه اعلن ان أراضي الحجاز المقدسة مفتوحة أبوابها لجميع المسلمين على السواء من غير ما تمييز بين الشيع والفرق وقد عين لجنة خاصة تعنى بادارة شؤون الحجاج في هذه الاراضي المقدسة .

فليس الاسلام متعصباً مهما أشاعوا عنه من الاخبار الملفقة فهو يفهم معنى الديانات الاخرى ويسلم بها وهل أجمل من تكريمه لمريم العذراء . ويجيز القرآن

زواج المسلم بغير المسلمة وينص بأن تترك الحرية للمرأة ببقائها على مذهبها .

ونقف عند هذا الحد من هذه الجهة فليس من غرضنا البحث في اللاهوت .
ومعلوم ان الاسلام اجتاز في الماضي دوراً كانت الغاية منه الفتح ولكنه لم يكره الشعوب التي أخضعها على انتحال الدين الاسلامي .

وقد مر على الدين المسيحي دور الفتح ولكنه هل أظهر مثل هذا التساهل في العصور الماضية .

ان هاتين الديانتين تتصادمان الآن فالواحدة منهما واقفة في وجه الاخرى ولا يميل الاسلام الى الحرب ولكنه يبتغي أن يسير في طريقه بسكينة وسلام بحيث لا تمس أرضه وهذا لعمر الحق أمر عادل فتوخي استعباده اهانة يقوم لها المسلمون ويقعدون وتجر المتالف على الذين يتعمدونها .

واليك برقية طيرها مؤتمر الخلافة المعقود في القاهرة في شهر مايو ١٩٢٦ الى جمعية الامم والحكومة الفرنسوية والى صحافة العالم :

« تلقى مؤتمر الخلافة الاسلامي العام المعقود في القاهرة برئاسة شيخ الازهر برقيات تنبىء عن الفظائع المرتكبة في الشام عاصمة الخلفاء الامويين ومدينة الاسلام الرابعة المقدسة فقد حرقت فيها المساجد وذبح الابرياء شيوخاً ونساء وأولاداً وعليه قرر المؤتمر أن يحتج على هذه الفظائع لجمعية الامم والحكومة الفرنسوية والرأي العام في العالم أجمع وأن يطلب باسم الانسانية انصاف سورية الشهيدة المستنجدة بالعالم كله . »

أدرك العالم الاسوي والعالم الاسلامي العربي والعالم البوذي والبرهمي مايهددهم من المخاطر فسعوا الى ضم مفترق شملهم للذود عن حياضهم وهم أكثرية ساحقة وللمسلمين بينهم مكانة رفيعة فهم منتشرون في جميع جهات الكرة الارضية وقادرون عند مسيس الحاجة على اثارة بلدان برمتها .

وقد فهمت روسيا السوفياتية حقيقة هذا الامر فأنشأت معهد سمرقند وعنه تصدر الاوامر والسلاح الى العالم طراً ويجد هذا المعهد ناصراً قوياً يركن اليه في السياسة الخارجية عند الامم الاوربية الكبيرة فعليهم وحدهم تقع تبعة التقصير ان لم يتلافوا شؤونهم ويقيموا العقبات في وجه السوفيات ويفسدوا عليهم عملهم باحسان التصرف مع الشعوب الشرقية وقد أعذر من أنذر .

الفصل السابع

الدول العظمى وآسيا

ولكن ما هو التحول الذي طرأ على سياسة أوربا من خمسة عشر شهراً ؟ لقد ذكرنا لمحة طويلة عن ذلك في سرد الحوادث التي أودعناها الفصول السابقة فلابد من اتمام ذلك بذكر اعتبارات مفيدة . ونحن لا نتبري لانتقاد سياسة دول أوربا فكل منها حر في أعماله وحظوظه فتسديد سهام الانتقاد عليها أمر بليد لان هذه الدول تتصرف في ضمن دائرة استقلالها رامية الى غاية مقررة عندها تأول الى مصلحة بلادها وانما نستنتج من أعمالها أموراً ضرورية بحسب ما نراها تجر الخطر أو تسوق المنفعة في ما يرغبه كل منها أي القاء السلام في العالم .

بريطانيا العظمى — ان الواقف على أعمال عمال هذه الدولة العظيمة في البلدان الشرقية من خمسين سنة وبلوغها مآربها من وراء مواصلة جهدها ولا سيما بعد معاهدة الموصل لا يعجب من النتيجة التي صارت اليها فبريطانيا العظمى مليكة العالم وقد بسطت لواء سيطرتها على العالم العربي وضمنت طريقاً ثانياً للهند وهي تطوق قسما كبيراً من جنوب ايران وغربها وقد أطلقت يدها للعمل في جهات أخرى من جهات العالم .

ومن الامور البديهية انه حين تبلغ مملكة من الممالك أوج عظمتها تصبح مستهدفة لنبال المعاطب لكثرة ما يكون لها من الثغور وما ترتكبه من الخطأ في ابان اتساع نطاقها فلم تشذ بريطانيا العظمى عن هذه القاعدة التاريخية المشهورة وقد يحدث ان الاحوال السياسية تقضي عليها بأن تضحي بمصالح أصدقائها وتدخل التحول على محالفاتها .

وان أنظمتها التقليدية في بلادها تفتح طريقاً لا حباً في وجه الباشفيكية فليس في الجزائر البريطانية سوى أفراد يملكون الاراضي الواسعة والمناجم الغنية وقد يملك فرد واحد مدناً برمتها وقد يسافر الانسان في السكة الحديدية ساعات في أملاك شخص واحد . ولا يخفى ان الناس في عصرنا هذا يفور فائرهم

على مثل هذا الاحتكار وهؤلاء المحتكرين ولا يريدون أن يكون موتهم وحياتهم مرتبطين بمشيئة طائفة قليلة من الانانيين فالقلوب نافرة وقد ينفجر مرجلها في ساعة غير منتظرة .

أما المستعمرات المستقلة فانها تبتغي أن تكون هي صاحبة الامر والنهي في في بلادها وهي لا ترضى بأن تظل تابعة للامبراطورية الا بشرط الاهتمام بسياستها الخاصة على هواها .

ولبريطانيا العظمى أسباب شتى للمخاوف ما عدا الاشياء التي ذكرناها فهي ثابتة على مبادئها ومنازعها الاستعمارية واغتنام الفرصة واسترضاء زيد ومغاضبة عمرو لنيل أوطارها .

ولما لم يسهل عليها جر فرنسا الى العمل في الصين أغضت الجفن على القذى وانصرفت الى التدخل مع القواد الصينيين أنفسهم في شؤونهم الداخلية ولكنها لم تظفر بما كانت تطمع به فان أولئك القواد ما لبثوا أن أوقفوا رحى القتال فيما بينهم حين رأوا ان حركاتهم لا تروق شعبهم . وهي تسعى الآن لاستئناف علاقاتها القديمة باليابان الا أن هذه الدولة التي سرها أن تعامل معاملة الاقران والامثال رضيت بأن تتدخل حتى في شؤون عدن عند الاقتضاء ولكنها ما عتمت أن شعرت بما يحف بها من الخطر في الوقت الحاضر فأبت أن تتقيد بأي قيد كان من قيود المعاهدات من هذا القبيل .

وقد شعرت بريطانيا العظمى بأنها أصبحت وحيدة منفردة مع ما يبذله من الجهد وزير خارجيتها وان الواقف على حركة السياسة البريطانية يراها موسومة بسمة التردد فكأن المستقبل غير مضمون لها وقد شبهها بعضهم بالأسد الذي شاخ وقد انتبهت الى وجوب مداراة الاسلام فنهجت منهاج المجاملة لهم الا أن زعماء الاسلام شديدو الملاحظة فلم يخف عليهم تزلفها الى الفاتيكان ومناصرتها للصهيونيين . فان هي قللت من منازعها الاستعمارية القديمة وعرفت كيف تستميل اليها ثقة العالم العربي أمكنها أن تستعيد ما كان لها من المقام السامي في خالي الحين عند الشعوب الشرقية ولا سيما الاسلامية . والمظنون أن شعباً موصوفاً بالتعقل وبعد النظر في العواقب كالشعب البريطاني يتعظ بعبر الايام .

ايطاليا :— هي دولة نبيلة وقوية يتولى شؤونها رجل همام وداهية مقدام

ووطني صميم وأمامها مستقبل باهر ولكنها أيضاً معرضة للسقوط والتقهقر الى الوراء . وهي لا تسير على خطة معلومة وهذا يبعث الناس على فقدان الثقة بها وقد نصبت حبائلها في كل جهة من دون أن تحسب حساباً لما يكون من وراء عملها من اثارة موجدة جيرانها أو أصدقائها فهي لاتسعى الاوراء مصلحتها وهي تتوسل بصداقتها لبريطانيا ومحالفتها لها لنيل المغانم وتحاذر أن تتورط حيث لايعود عليها بفائدة ولاتحجم عن اغضاب رفيقتها عند الاقتضاء كما تفعل الآن في اليمن . وهي متفقة مع المانيا على التعاون لنيل انتدابات استعمارية غير مكترثة لما يكون من وقع ذلك الأمر على لندن التى لا تبتغي أن تفلت شيئاً من يدها والتي لا تميل مستعمراتها المستقلة الى التخلي عن شيء . ولكن ايطاليا محتاجة الى أراض لشعبها الكثير التناسل فاين تجد هذه الاراضي ؟ اليك الجواب : في بلدان الاسلام : هذه هي الغاية التي ترمي اليها وهذه هي الضالة التي تنشدها فهي تريد أن تتخلى لها بريطانيا عن فلسطين وفرنسا عن سورية وهي تتكفل فيما بعد بآسيا الصغرى . وحين تستولي على بيزرت تقفل البحر الابيض الرومي في وجه بريطانيا في الجهة الشرقية من هذا البحر وهي تنوي أن تفعل كذلك كما فعلت مع النمسا ويوغو سلافيا باقفال بحر أدريا في وجهما بعد عقدها المعاهدة مع البانيا

ولا يخفى ان ايطاليا ارتكبت خطأ في مباشرة المعركة السياسية على هذا الشكل وقد بدت طلائعها للانظار فان وزارة الخارجية البريطانية انتبهت الى الامر وها نحن نتكلم عن معاهدتها مع اليمن فهذه البلاد بعيدة وسكانها موصوفون بشدة المقدم وصلابة العود . فلما وقعت الحرب بين ايطاليا وتركيا في سنة ١٩١١ اخطأت الحكومة الايطالية باهتمامها بشؤون عسير بدلا من صرف انظارها الى الشرق وقد اشرت الى ذلك في كتابي « الثورة العربية » وكان السنيور تيتوني سفيراً لبلاده في باريس في ذلك العهد وهو سياسي محنك فادرك حقيقة هذا الامر . والآن يصعب على ايطاليا أن تتوسع ان لم تشهر الحرب أو ان لم يحدث انقلاب جديد فان سياسة الارهاب لا تكون في غالب الاحيان محمودة المغبة على صاحبها . ومن الجهة الاخرى ترى ايطاليا انها مضطرة الى البقاء ولكنها ترى الابواب مقفلة في وجهها في كل جهة فهي ترفع الصوت

بالاحتجاج واليك البرهان عن ذلك :

قال السنيور مسوليني لمكاتب « الغازت جنرال دلمانيا » في ١٣ نوفمبر ١٩٢٦ : « ان ايطاليا تطلب أن تعترف الشعوب الاخرى بانها كغيرها ترغب في الوجود وتريد أن يكون لها مكان في العالم . فاذا ابى عليها الآخرون هذا الامر اكرهت الى اصابة هذا الحق بنفسها ولكنني لا أظن أن هذه الشعوب تترك الامور تصل الى هذا الحد . »

واقيمت حفلة في فينالي ليغوري تذكاراً لمعركة بانستزا وقد شهدها المرشال كافيليا الذي نصبوا له تمثالا نصفياً فخطب خطبة نقتطف منها ما يلي :

« تعمل جمعية الامم على اتقاء الحروب بالقوة المسلحة وعلى ضمان السلامة للشعوب العظيمة والتمتع بما احرزته من الخيرات بالفتوح ولكن هنالك انواعاً اخرى من الحرب لا تقل عن هذه غوائل فلا تقوى جمعية الامم على دفعها واتقائها . فما هي والحالة هذه واجبات امة يكثر فيها العمال كالامة الايطالية فان لها أرضا جديبة تضيق عنها ولا تكفي مستعمراتها لاستيعاب ما يزيد من سكانها على حاجة ارضها . فحالتنا مماثلة لحالة الشعوب التي تلقى نفسها في مثل موقفنا وينبغي لنا أن نتفاهم معها و نتعاون على تهيئة الغذاء للاجيال الآتية .

ويجب علينا أن نستعد للطورىء من دون أن نطبق الفضاء بصياحنا ومن دون ان نهز صوارم التهديد بل نتروى في الامور بسعة صدر ورباطة جأش ومثابرة على العمل . »

ونشرت جريدة « الدايلي مايل » وهي من جرائد حزب المحافظين في بريطانيا في ٢٤ نوفمبر ١٩٢٦ ما يأتي :

« نظن انه لا يخطر لاي وزارة فرنسوية كانت أن تتخلى عن انتدابها في سورية لايطاليا ولكن اذا كانت فرنسا شديدة الاعتصام بصلات متنوعة بانتدابها لسورية فلا شيء يجعلنا شديدي الاعتصام بانتدابنا لفلسطين والعراق . وقد قلنا ولا نزال نقول ان قبولنا لهذين الانتدابين خطأ عظيم فاذا حولا الى ايطاليا الامة الصديقة كان لها العزيمة وفيها الرجل اللازم للعمل على ترقية هذه الاقاليم واستعمارها . »

فما اعظم ما يلقونه من السهولة للعبث بقرارات جمعية الامم وحقوق

وارادة الشعوب التي تعنيها هذه القضية أو بعد هذا يجوز لاحد أن ينحي باللائمة على الشعوب الموجهة اليها هذه المطامع ان هي تذرعت بما لديها من الذرائع للذود عن حياضها ؟ .

ولا ننتقل من الكلام الى موضوع آخر قبل أن نبسط ما نعرفه عن أميال الايطاليين من هذا القبيل .

في دورة انعقاد جمعية الامم الاخيرة في سبتمبر عادوا الى العمل بموجب الغاية التي انشئت الجمعية لاجلها اعني التحكيم والسلامة ونزع السلاح وقد نشرت صحيفة « المساجيرو » مقالة في هذا الصدد حددت بها النظرية الايطالية وهذا اهم ما جاء في هذه المقالة :

« لا تقبل ايطاليا « بروتوكولا » للسلام الاجباري . ومن الامور المغايرة للعدالة والعواطف الانسانية أن تقام عقبة في وجه تحول الشعوب والدول في تلك الحدود الثابتة ويحصر نشاط الشعوب الفتية في حيز ضيق وهو نشاط يبنى عليه ضمان الحياة للعالم .

فلا تسلم ايطاليا البتة بان تكون احوال الشعوب المختلفة الحالية في العالم غير متغيرة الى الابد فهي لا توافق على ذلك ويجب الا توافق عليه فان مصلحتها ومركزها الادبي السامي بين الامم يمتان الى تقاليد مجيدة ويقضيان عليها بان تقف في موقف المعارضة الشديدة لكل اهانة فظيعة توجه الى تاريخ الانسانية ومصلحتها . »

ونقول أخيراً ان صديقا لنا من رجال السياسة قال الكلمات الخطيرة التالية في ٣ سبتمبر ١٩٢٧ في جنيف على مسمع من مندوب جريدة « الماتان » :

« أما ايطاليا فلا نستطيع أن نعرف مبدأ زعيمها ومقاصده في الشؤون العالمية . » وقد عرفنا السبب الآن .

ومن نكد الحظ لشعب هب ماضيه منبعثاً انبعاثاً عظيما أن يقف في مصاف الشعوب الاخرى الحديثة ولاسيما في وقت تختمر فيه الافكار . وحيث لا يرضى أحد بأن ينتزعوا منه ما يملكه فلا يستبعد أن تنشب الحروب من جراء ذلك على ما بينا ذلك في كتابنا السابق . ومن الأمور المقررة ان النواميس الطبيعية مقدمة على النواميس البشرية فان مفكري جنيف وخصوصاً مفكري باريس

يضيعون وقتهم ووطنهم في التفكير بايجاد سلام عام تتصافى فيه القلوب وتتصافح فيه الأيدي .

وليس لمهاجري الايطاليان والالمان أفضل من القارة الاسترالية فانها تستوعبهم جميعهم من دون أن يكون بسببهم خطر على البشرية ففي هذه القارة خمسة ملايين يعيشون في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة أوربا .

ولنعد الآن الى آسيا فان ايطاليا تسعى أن يكون لها مركز كبير فيها ولكن لا يسهل عليها ترسيخ قدمها فيها ولم يجدها نفعاً تزلفها من العالم الاسلامي فان لها فيه خصماً عنيداً وهو السيد السنوسي صاحب المنزلة الرفيعة في الاسلام وليس لها من سبيل الى التغلغل في البلاد العربية . أما في الشرق فالرأي العام السائد فيه هو أن الفتح النهائي أو محاولة ذلك يتمان في عهد قريب اذا توغل الايطاليون فى آسيا الصغرى .

ولا يخفى علينا ان هـذا الموقف يسوء السنيور مسوليني وأبناء وطنه ولكن لا ينبغي لنا أن نذهل عن ان هذا الامر يعرض السلام في العالم الى الاضطراب والى فقدان الشعوب هناءها .

ان المخرج الوحيد من الحالة الحاضرة هو انتزاع بعض ما تملكه احدى الدول وتقديمه الى السنيور مسوليني هدية .

المانيا — لما رممت الحكومة الالمانية — بفضل ما ارتكبه الحلفاء من الاغلاط — ما تداعى من صرح سؤددها عمدت الى طلب انتداب لبعض البلدان زاعمة ان وفرة عدد سكانها تقتضي ذلك ومعلوم انها لما كان لها في افريقية تلك الاقاليم الواسعة لم تفكر قط في أن ترسل اليها ما يفيض من سكان بلادها عنها وذلك لان مناخ الاقاليم المذكورة لا يلائم الالمان فليس في ما تدعيه الآن من هذه الحجج الواهية ما يقنع الافكار فالمانيا والحق يقال لا تزال كما كانت عليه قبل الحرب العالمية أي انها تبتغي الاستئثار بكل شيء والتدخل في كل شيء سائرة مع الجميع على طريق سياسة مبهمة . وهي الآن على ولاء تام مع حكومة السوفيات ومع حكومة الجمهورية التركية وتقدم لهما ما تحتاجان اليه من السلاح ولها صلات بحكومة ايران وحكومة افغانستان وبغيرهما من بلدان الشرق وقد صحت عزيمتها على استئناف سياستها القديمة في هـذه البلدان ومتى

تم لها ضم النمسا اليها سهل عليها الاقتراب من طريق الشرق وقد تحالف آسيا على أوربا غداً اذا كان لها جر مغنم من وراء هذه المحالفة .

فرنسا — ما هي سياستنا الشرقية والاسوية ؟ ان معرفة حقيقة هذه السياسة تقضي علينا بان نرهف الآذان لسماع ما يتحدث به سكان البلدان الاسوية من مصر الى اليابان عن موقفهم بازاء الدول الاوربية وعلاقاتهم بها فكأنهم جميعهم متفقون على التذمر والشكوى من الذين يعبثون بحقوقهم مستبدين ولكنهم يشعرون باعجاب شديد ببلادنا وبعواطف ودية نحوها ولا يكتمون استياءهم من سياستها الخارجية وافتقارها الى الاقدام وشدة الصريمة ويقولون ان قياد فرنسا بيد بريطانيا العظمى فهي تسيرها على هواها ولكن الشعب الفرنسوي لا ينقاد دائماً الى رغبات هذه الدولة فهو يحاذر التورط في ورطات جديدة تكون مرة المجتنى وهذه النظرية هي التي جعلتنا نحجم عن الاندفاع مع غيرنا في تركيا والصين . ونحن نسلس لها قيادنا في ما سوى ذلك وحين عرضت لنا فرص نظهر فيها بمظهر دولة عظيمة أفلتنا تلك الفرص فانتهزتها الشعوب الاخرى فقام في وجدان الناس اننا شعب ضعيف عاجز وقد جر علينا هذا الاعتقاد مضار كبيرة .

وقد فقدنا منزلتنا الرفيعة في سورية ولبنان وان تكن نيران الثورة قد خمدت فان الثائرين أنفسهم تنبأوا بانتهائها فليس لهم قبل بمناهضة ستين الف جندي وهم قليلو العدد ويدخر لنا العالم العربي والاسلامي الحقد الشديد على أعمالنا بين ظهرانيه ويزداد هذا الحقد يوماً فيوماً بما نأتيه من الاعمال المضرة باقتصاديات البلاد المشمولة بانتدابنا وستتحول كل تجارة آسيا الوسطى الى الاسكندرونة أو ادنه والى حيفا والى طرابزون فيما بعد

ولا يصفح عنا الاسلام أبداً في ما أظهرناه نحوه من الغدر فانه مستاء كل الاستياء من الاحتلال الاستعماري لبلاده المقدسة ورؤيته ايانا نعامل الشعوب التي ثارت على تركيا وانسلخت عنها معاملة الشعوب المفتتحة بلادها . وان ما نخشى من عواقبه الذميمة هو ان المسلمين الذين في ممتلكاتنا الافريقية يقرأون الصحف العربية ويفهمونها . على انه وان لم يكن ثمت من جامعة اسلامية ولا جامعة عربية فان الشعوب الاسلامية في أفريقية تشعر شعوراً قوياً بما هو

جار ولا يحسن أن نغفل عما يخشى من حدوثه بين هذه الشعوب وما يحدث في الشرق يكون له صدى فى كل بلاد . فاذا ثابرنا على ضلالنا المنكر ولم نمنح السوريين الا شبه الحرية لم نأمن جانب المتطرفين فهؤلاء يستميلون اليهم الآخرين

فلماذا لا نحذو حذو بريطانيا في العراق ؟ فهل تبتغي وزارة خارجيتنا أن تغتنم الفرصة من وقوع الخلاف بين الاحزاب الكاثوليكية الفرنسوية الوطنية وتجاري بعضها طمعاً بجر المغانم . فألفت نظر القراء الى الرسالة التي انتهت اليّ من زعيم عربي وقد نشرتها فى ديباجة الكتاب ففيها مغامز كثيرة . ولعمري ان سياسة المصلحة — أعني المصلحة الشخصية — تفضي الى النكبات فلنحاذر أن نترك الشكوك يزداد انتشارها فى العالم ولا يبعد أن يكون لاعمالنا صدى يمتد الى الصين والهند الصينية .

فهل يعود الى بلادنا ما اشتهرت به من الذوق السليم والكرامة والصدق وهل تريد الصحف الكبيرة أن تعضد هذه القضية الشريفة أو تكون مسيرة بمشيئة بعض المثرين ورجال السياسة والموظفين . وهل ننتظر يقظة مؤلمة . وهل نترك فرنسا التي كانت عظيمة سنة ١٩١٨ تظهر بمظهر أمة صغيرة قضي عليها بالتضعضع . أو لا يقوم رجل في فرنسا يستطيع أن يقول « أريد » ويجعل الجميع يخضعون لارادته .

لنعد الى ما كنا عليه من عزة المقام فنجني ثمار الفوائد الادبية والسياسية والاقتصادية اليانعة ولنحالف العالم العربي ولنصادقه فيتألف من هذه القوة الشرقية التي تخط الطريق أمامها حصن منيع يرد هجمات الاعداء . ولا نصل الى هذه الغاية الا بسيرنا على خطة سياسية خاصة رشيدة حازمة واسعة فتصبح فرنسا محبوبة ومرهوبة الجانب ومحترمة بما تأتيه من الاعمال الدالة على ما اتصفت به من العدالة .

الفصل الثامن

الخلاصة

ولكن ما هي خلاصة سرد الحوادث سردا صادقا والحالة الفكرية عند الشعوب المختلفة التي تكلمنا عنها ؟ انها في غاية البساطة .

فلنورد مقالتين عن الغرب تستوقفان الافكار وتبينان طريقة نظره الى الحوادث فقد كتب المسيو سرج دي شاسان مقالة عنوانها « الليل القادم من الشرق » ونشرها في جريدة « صدى باريس » في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦ واليك هذه المقالة :

« ستوكهلم » — نوفمبر

حين ابتدأ الرأي العام في أحوال مفجعة يكتشف الاخلاق الاسوية في الثورة الروسية اضطررنا أن نرتكب خطأ يدل على قلة الذوق وهو أن نستشهد بما كتبناه قبلا . فان قراءنا لم يضطروا أن ينتظروا غليان الافكار في كنتون وحوادث أودسا ليمزقوا الستار عن مرامي السوفيات الاستعمارية وهي تسخير القبائل الهمجية لخدمة مبدأ اجتماعي وهمي وقد كتبنا في سنة ١٩٢١ في آخر كتاب عنوانه « سفر الجليان الروسي » ان روسيا المقدسة التي كانت معتبرة تمديداً لاوربا اصبحت الآن في طليعة أسيا وهي تصعد في المجرى الذي كان قد ملصها من اضطراب الاعماق الشرقية . وقد الغت اعمال اكليروسها وعمالها فان ائتلاف العالم القديم على ما تفعله الدولية الثالثة ليس سوى ضرب أوربا المسيحية ضربة قاضية بايدي الجلادين الاسويين . وهنا ينحصر سفر الجليان الروسي في الكلمات الآتية : « قضاء قوات الظلمة على التمدن بمحالفة الاشتراكية النزيهة »

فكان ان هذا الكلام أثار في ذلك الحين سخرية المعتصمين بمذهب الشك ولم يشأ الناس أن يروا فيه خاتمة لمؤلف جدي متخذ من أفضل المصادر البلشفيكية فقد كان الكابوس الشرقي يتحرك بعنف في وسط أوربا المعتصمة بالمبادىء الولسونية وكان مع ما لجأ اليه من التهويل عاجزاً عن تكدير حياض الحكومات

فيها . وكان أصحاب المدارك العالية يتعجبون ويقولون كيف تستطيع روسيا الجائعة والمتضعضعة الاحوال والفاقدة الاموال والصناعة بأن تباشر مثل هذا العمل العظيم وتزعم أنها تمثل هذا الدور الخطير على ملعب العالم . انها أحلام طائشة وأوهام زائلة ولا خوف من رؤية فرسان المغول يغيرون على « الشانزليزه فى وقت قريب . »

وكيفما يكون الامر فيما بعد فاننا مضطرون الى الاعتراف بأن البلشفيكية سلكت مسلكا لم يسلكه أحد قبلها من ١٨ يونيو ١٩٢٠ حين وقف بوخارين خطيباً في الفلاحين الثوريين الذين قدموا قبل غيرهم الي موسكو وقال لهم تلك الكلمة المشهورة التي كانت بمثابة نبؤة وقد كررها في المؤتمر الشيوعي الأخير وهي : « سنصبح أمنع من عقاب الجو بمحالفتنا لصعاليك آسيا »

وقد أصبح « قانون الايمان » الشرقي هذا قاعدة للسياسة البلشفيكية . ويؤخذ مما سبق بيانه انه كما ان كل صعلوك يكون شيوعياً بطبيعته كذلك يكون كل شعب اسوي مشترك في الثورة الاجتماعية قلنا « الثورة الاجتماعية » ولم نقل ثورة روسيا لان هذا الفارق من دون سواه يبين موقف السوفيات بازاء الترك . فليس من خيانة لا ترتكبها موسكو بتساهلها مع انقره شفاء لغليل بغضائها لبريطانيا العظمى التي تعتبرها الدولية الثالثة حصنا حصينا للدفاع عن ذمار التمول ولا يحجم تشتشرين عن منح مصطفى كمال المرافق التي يطلبها . وستثابر روسيا على الرماية الى غاية واحدة ـ مهما سامها ذلك من الخسارة والتضحية ـ وهو التفاف مبغضي الاجانب حول رايتها الحمراء وتجهيز السلاح ومدربي العساكر لمساعدة الخارجين على النظام في أوربا . فان « جمعية الامم الاسوية » الشهيرة التي أكثر الناس من الكلام عنها في الحقبة الاخيرة تحولت الى نقابة بغض تستثمره طائفة من العاملين على هدم كل سلطة وكل نظام فان موسكو تزاحم جنيف بتأليف مؤتمرات يشترك فيها سفراء البلدان الشرقية فى الكرملين وتختم هذه المؤتمرات باجتماعات في أزمنة معينة يعقدها الملحقون العسكريون الاختصاصيون في مركز أركان حرب السوفيات . وبدلا من أن تنظم موسكو السلام تنظم الحرب وانه محقق انها في تنظيم الحرب أبرع من جنيف في تنظيم السلم .

لقد تحولت روسيا الى مسلحة حقيقية للشرق واذا صرفنا النظر عن منغوليا وهي ليست سوى مستعمرة عسكرية للسوفيات وقد قضى قائد جنودها الاكبر المتخرج من مدرسة الحمر الحربيـة شهرين من هذه السنة في موسكو يفاوض فوروشيلوف وجدنا ان ايران وافغانستان مدينتان بسلاحهما الجوي الى روسيا الكريمة. وتوصي تركيا على ذخائرها الحربية كالمدافع الضخمة والغازات الخناقة وطيارات الهجوم والاستكشاف في روسيا وهـذه تمهلها في الدفع ففي مدارس الحرب السوفياتية ولا سيما المدرسة الحربية الدولية والمدارس السياسية الحربية واكاديميا أركان الحرب التي خصصت صفوفا خاصـة للشرقيين واكاديميا تولماتشف والجامعة الشيوعية لعمال الشرق وهي عسكرية بحتـة شبان تعدهم الاقدار لان يكونوا يوماً من الايام من أمثال تيمورلنك . وقد جاء في «فوني فستنك» وهي النشرة الرسمية لوزارة الحرب في عددها السابع والعشرين ان في أكثر هذه المعاهد مختبرات لتعليم الحرب الاهلية وصفوفاً لتعليم اثارة الفتن عملياً والقتال في الشوارع وقد برع في هذه الدروس شبان من كنتون وجافا .

فهل يأتي دور الهنـد الصينية بعد جافا حيث يدبر المسألة أصدقاء ناجوين العواكي مندوب مستعمرتنا لدى الدولية الثالثة بما ترسله اليهم موسكو من المال والسلاح بطريق قناة كنتون . وهل يشن فرسان سفر الجليان الروس الغارة على التمدن الفرنسوي في تلك البلاد . هذه هي المسألة المؤلمة التي تشغل أفكارنا من جهة السياسة الشرقية وكل ذلك من صنيع الرفيق تشتشرين الذي سيحل قريبا ضيفاً على فرنسا وقدكلل رأسه بغار أودسا

« سرج دي شاسان »

وكتبت جريدة « الاتحاد » في باريس في ٢٠ اكتوبر ١٩٢٦ ما يأتي :

«ان جمعية الامم وان يكن لها صفة عامة لم تستطع أن تستميل اليها عواطف بعض الدول الشرقية فبعض هـذه الدول انتحل ما عند الاوربيين من العادات والاخلاق كاليابان مثلا والبعض الآخر كتركيا يحلم في انتحالها .

وقد كتب المسيو رايمون فرنكلان في جريدة الفيغارو قائلا ان هذه الدول

لم تحاول الاقتداء بالغرب حباً بتقربها منه من جهة العواطف أو الاقتصاد ولكن ليتسنى لها مناضلته .

وقد تكلموا عن الخطر الاصفر وكان الكلام عنه مستفيضاً قبل الحرب ولكن أظهرت الحوادث فيما بعد انه لا حاجة الى انتظار وقوع خلاف بين الجنسين الاصفر والابيض لتتلظى مواقد الحرب . ومعلوم انه قد وضعت نواة لتحالف شعوب الشرق بقطع النظر عن اعتبار الاجناس والالوان . وقد بني هذا التطور على قاعدتين وهما البلشفيكية في روسيا وتراجع تركيا نحو آسيا بعد ما نقلت عاصمتها من الاستانة الى انقرة »

ولا يخفى ان هذه البراهين وهذه التكهنات ليست صحيحة كلها وقد قلت في القسم الاول من هذا الكتاب ان طبقة العمال في آسيا ليست منظمة على مثال تنظيمها في أوربا ولا تصلح لان تضع أساساً متيناً للغاية التي تتوخاها موسكو . الا أن هنالك أمراً واقعياً وهو يقظة الشعوب الشرقية من سبات خمولها وشعورها بانه يحق لها أن تعيش عيشة مكرمة ومعاملة جيرانها لها معاملة الامثال للامثال وتعجبها من عودتها بخفي حنين بعد ما جاهدت معنا جنباً الى جنب وبعد ما جدنا عليها بالمواعيد الكثيرة التي لم تكن إلا كالبرق الخلب . وما دامت شعوب الغرب تسعى لرفع لواء تسوّدها لا يرجى أن يسود الوفاق وقد رأينا عند الكلام عن المانيا وايطاليا ان فكرة التوسع والامتداد لم تدخل في خبر كان وان بريطانيا العظمى وفرنسا اتخذتا لهما قاعدة ذهبية المحافظة على سيادتهما في الاقاليم التي احتلتاها . وبناء عليه نرى آسيا ساعية الى الاتحاد والجهاد لمعارضة مطامع الذين يحلمون بالاستيلاء على أراض جديدة ومناهضة الذين لا يبتغون أن يضعوا احداً لاحتلال الاقاليم التي احتلوها وتعديل المعاهدات المجحفة التي عقدوها . فهل تنوي هذه القارة اشهار الحرب على الغرب ؟ انها لا تنوي ذلك وقد خضنا مع كثيرين من أصحاب المقامات الشرقية العالية في مجال البحث في هذا الموضوع فقالوا جميعهم بصراحة انهم لم يخطر لهم قط أن يتقلدوا السلاح ويشنوا الاغارة على أوربا ولا تفكر أمة من الامم الشرقية في مجاراة روسيا السوفياتية اذا ما خطر لهذه أن تستنفر الناس الى القتال . ولم تتحالف هذه الامم الا لغرض واحد وهو الدفاع عن ذمارها من الاعتداء عليها .

ولقد أخطأ كتابنا في تحريك ساكنات الافكار والمناداة الى «الحرب الصليبية» والاستعمارية والزحف الى جيراننا الاسويين فانهم بعملهم هذا يهيئون الوقود لحرب طاحنة تلتهم الاخضر واليابس وهو لعمر الحق عمل وبيل المغبة . وحين يشيدون في كل مكان بمبادىء معاهدة لوكارنو ويستنفدون المجهود لتقرير نزع السلاح لا يخلو من الخطر تعمدهم نبذ أهم قسم من الكرة الارضية يأوي اليه مئات الملايين والباعث لهم على ذلك لون هذه الملايين

فهل يعتبر تفوقنا الغربي الذي نفاخر به تفوق القوة والتسلط ؟ أو لا يمكن أن يكون بعكس ذلك تفوق المسالمة والعدالة ؟

تتجلى الحقيقة للانسان فيبصرها حين لا تربطه صلة من الصلات بما يفسد عليه أمره وحين لا يجبر على مداراة حزب من الاحزاب وحين لا يضطر الى المحافظة على منصبه وحين لا يقضي عليه موقفه باحراق بخور التملق والاطراء للمثرين وحين ينظر بمقلة التجرد والنزاهة الى الناس والحوادث والاشياء . وقبل أن يشجب الانسان غيره ويقذفه بصواعق انتقاده يحسن به أن يثوب الى نفسه ويبحث عن هفواته وزلاته فذلك يساعده على تقدير الامور حق قدرها والسير على طريق العدل والانصاف

فلتظل شعوب أوربا وأميركا الشمالية على ضلالها فهذا أمر يعنيها ويكون من ورائه العبث بالسلام في العالم ولكني بصفة كوني فرنسويا يهمني أن أرى بلادي تغير وجهة سياستها وليس هذا من واجباتها بالنظر الى ماضيها المجيد وسمعتها الحسنة ومآثرها الحميدة فقط ولكن لاجل أبنائها الذين لا يقل عن ١٥٠٠٠٠٠ عدد الذين جادوا بنفوسهم في سبيلها في الحرب العظمى ما عدا مئات الالوف من الجرحى . فاذا كان في الحكومة خياليون وضعفاء العزائم فليتنحوا عن مناصبهم لغيرهم من أصحاب الآراء السديدة وذوي الاقدام

فلنضع فرنسا نصب عيوننا قبل كل شيء ولا نكن تابعين لاحد ولننبذ النظرية التي قالها لي نائب من نوابنا ذوي الكلمة المسموعة : « اني متحقق بان في سورية والشمال والجنوب ما يبعث على الخوف ولكن تقرب سياستنا من سياسة ايطاليا وسياسة بريطانيا العظمى يجعلنا بمأمن من نزول النوازل والمام الملمات . »

فلنكن فرنسويين وحين ننهج النهج القويم ونحالف ونصادق العالم العربي والاسلامي نصبح سادة في عقر دارنا والا قضي علينا .

فليس لبريطانيا العظمى ما لنا من المنزلة في الشرق ومع ذلك نراها جادة لاحراز مثل هذه المنزلة ولا يغرب عن أحد ان انتظام ايران وافغانستان في سلك الجامعة الشرقية فتح باب الشرق في وجه جميع قوات الشرق الاقصى والقوات التي تقدم بطريق تركستان وسيبيريا . وقد رأينا في السنين الاخيرة دولتين صغيرتين تألفتا كما تألفت دول العراق وسورية والشرق العربي وفلسطين وهما جورجيا واذربيجان فهما كسد في جبال القوقاس ولكنهما لم تقويا على رد غزوات الشمال وسيكون الامر عينه في الشرق لانا بما ارتكبناه من الضلال في سياستنا أضعفنا هذه البلدان . ولا يكون شيء قادراً على صد الغزوات الموجهة الى البحر الابيض الرومي . وقد كان أمر واحد قادراً على ذلك وهو المحالفة العربية المستندة الى أوربا أو الى بريطانيا وفرنسا على الاقل ولكن هاتين الدولتين أضاعتا الفرصة الملائمة لذلك . فلا ينبغي أن تتأخر فرنسا عن تلافي ما يمكنها أن تتلافاهُ مما فاتها وخير لها أن تنبذ آراء أصحاب المطامع من المتمولين فلهم مصلحة في بقاء الامور على ما هي عليه الآن .

فهل سقطت فرنسا الى هذا الدرك ؟ وهل من مصلحتنا أن نسمع الناس في الشرق وافريقية والشرق الاقصى يقولون انهم يحبون بلادنا ولكنهم لا يحترمون عمالها في الخارج وانهم لهذا السبب يؤثرون الابتعاد عنا .

فلتنبض فينا نبضة الشرف الفرنسوي وحينئذ يتحسن موقفنا ويكون من ورائه خير عام ولنقل لمن اشربت أفكارهم بالمبادىء اللوكارنية السلمية ان هذه الكلمات الخلابة يكون لها معنى لو لم نعارضها بالسير على منهاج يخالفها . وحذار أن نحرك بعملنا غيرنا على التسلح ونحن نرفع الصوت جهرة لنزع السلاح .

وهذا الكلام الموجه الى بلادنا يحسن به أن يوجه أيضا الى غيرها من البلدان الكبيرة فعسى أن يكون فيه عبرة للمعتبر وهذا هو هدفنا الاسمى الذي نعالل النفس بادراكه حباً بتسود السلام في العالم وبهناء الجنس البشري وراحته .

الفصل التاسع

الاسلام بين دولتين عظيمتين

لقد بينت في الفصول السابقة من هذا الكتاب ما يهدد الاسلام من الذين يتعمدون مواقعته وما يبديه من قوة الشكيمة وشدة الصريمة لدفع العاديات عنه . وقد توهم بعضهم اني بالغت في ما كتبته وصرّح بذلك في الكلام عن كتابي « استعباد الاسلام » فارد على هذا الانتقاد الذي لم يسند الى برهان دامغ غير مكتف بكتاب الزعيم العربي الذي ذكرته في ديباجة كتابي هذا بنشر رسالة جاءتني من فرنسوي رفيع المنزلة عند المسلمين :

« امحضك الشكر على الكتاب الذي نسجته على منوال الوطنية الصادقة وبينت فيه بجلاء ووضوح ما يتلبد من الغيوم في الشرق وأسبابها الحقيقية .

ان البحث القيم الذي عالجه حضرة محمود بك سالم المصري يعبر تعبيراً واضحاً عن أفكار جميع المسلمين الصادقين في الجزائر وتونس والمغرب الاقصى أما المسلمون الذين لا يراعون الا مصلحتهم فانهم يرون غير رأيه وقد قدرت ملاحظاته عن الخلافة حق قدرها فهي ضرورية ولكن يتعذر العمل بها الآن ومالأته على رأيه في بعض أشباه الرجال الذين لهم مكانة معززة عند رجال وزارة الخارجية »

وقد أرسل اليّ شخص مجهول ترجمة سلسلة خطب القيت في الجمعية العرفانية فعهدت سكرتيرية الجمعية الى السندباد البحري معاوني في انشاء جريدة « الشرق العربي » في تنسيقها فهي تؤيد أقوالي ولكنها تكشف عن حالة تضايق خصوم الاسلام فالاقوال الملفقة لا تقوى على الوقوف في وجه الحقيقة .

ان البحث الذي سنقتطف منه ما يلائم المقام يجب أن تنظر اليه فرنسا بمقلة الاهتمام بالنظر الى المسلمين المتفيئين في ظل رايتنا في أفريقية وفي آسيا والبالغ عددهم نحو خمسين مليونا ففي الحج السنوي الى بيت الله الحرام يلتقي هؤلاء المسلمون بالمسلمين الروس والصينيين والبوسنيين والالبانيين والبولونيين والهنود والايرانيين الخ . فيتبادلون الآراء ويتساءلون عن حالة كل منهم

في بلاده ويسعون لتوحيد خطة العمل للذود عن احسابهم والدفاع عن دينهم ويتمنى خصومهم لو أمكنهم ابطال الحج ولكنهم لا يتجرأون على ذلك مخافة أن يكون من ورائه حرب طاحنة تزعزع أركان الدنيا ولا شيء في وسعه أن يصد تيار الاسلام

فيجب على فرنسا أن تراعي عواطف المسلمين بتغيير تصرفها معهم تداركا لوقوع ما لا تحمد عقباه فلها مصالح كثيرة في بلاد الاسلام كمصر وجدة واوبوك وجيبوتي ومدغسكر وغيرها .

ويتضح من هنا سبب المشاكل التي تطرأ علينا في سورية فلو كان عندنا هناك سياسي حقيقي محنك حر" الضمير واسع المعرفة خبير بأحوال البلاد لكان قد فهم حقيقة الحالة من عهد بعيد . وفي الفصل التالي ايضاح للحالة المبهمة في تلك البلاد وقد اختصرته مراعياً في ذلك أحوالا لا غنى عن مراعاتها . فهو مدبج بيراعة مسلم متنور عالم وما خطته يراعته يوافقه عليه أربع مئة مليون من أبناء دينه :

أيها الاخوان الاعزاء والاصدقاء الكرام .

كلفتموني في اجتماعنا الاخير أن اعالج امامكم موضوعا وعر المسلك عنوانه: « الاسلام بين دولتين عظيمتين » وقد أبدى كثيرون من الاخوان في ذلك الاجتماع ما عندهم من الآراء الشخصية عن علاقاتنا بأوربا وما تشكوه من الحكومات المستعمرة وتكلموا عما يدعونه باسم « الحرب الصليبية الاخيرة » وذكروا أصلها التاريخي ولا سيما دسائس موقدي نارها وما كان من آثارها السيئة وقد شئتم أن أحصر الشكاوي وأنواع التظلم بالكلام عن الفاتحين المستعمرين مبتدئا بروسيا وبريطانيا العظمى وهما في عرفنا راقمتا الخطة السياسية في العالم . ان ماعهدتم به الي" أمر شاق فأنا أشعر بعجزي عن القيام بهذه المهمة فهي بقطع النظر عن صعوبتها تقتضي درساً جدياً واستعداداً عظيما ولكنني لا أرى بداً من النزول على رغبتكم فأرجو منكم أن توسعوني مكارم اخلاق فليس لدي متسع من الوقت لتهيئة المسائل السياسية والتاريخية الدقيقة التي تتخللها أمور تحتمل الاخذ والرد

ولا نرمي بحديثنا هذا المساء الا الى ايقاظ الرغبة في البحث عما بيننا وبين

أوربا الحديثة من العلاقات ويحسن بنا أن نذكر شيئاً من التاريخ القديم توطئة لبحثنا الحالي .

لقد أشاد كثيرون من المسلمين بمحاسن أوربا ولا سيما فرنسا فقد استهواهم لطف اخلاق أهل الغرب ومحاسن الاوربيات الفاتنات والذوق الباريسي وتنظيم طرق المواصلات وقوتهم الحربية التي لا تبارى وأساطيلهم الهائلة واختراعاتهم واكتشافاتهم في العلوم الطبيعية وعلم الحيل وغير ذلك من الامور العجيبة الغربية . وفي الاوربيين من نوهوا بمحاسن البلدان الاسلامية فاطنبوا بعظمة ابي الهول والاهرام وزهو الوان الملابس الشرقية وآداب الشرقيين والضيافة عند الكثيرين منهم ومناظر الاستانة البديعة وجمال الاقليم الفلسطيني وجود بعض الملوك الشرقيين . فليس من شأننا الكلام عن هذه الامور جميعها واذا الممنا بها في سياقة كلامنا فما ذلك الا لاقتضاء المقام ذكرها . فلا يتناول موضوعنا الا المسائل السياسية واهم شيء ندير عليه رحى الكلام اعمال روسيا القيصرية واعمال بريطانيا الاستعمارية فقد فتت روسيا في عضدنا بحروبها وقتلت منا مقتلة عظيمة وكادت بريطانيا تقوض أركاننا بسياستها فالدولة الاولى قضي عليها والدولة الثانية تسعى شيئاً فشيئاً لاصلاح مابدر منها . فاذا ثابرت على السعي كان ذلك لمصلحتها والا فاللوم عليها ويجب عليها حينئذ أن تعلم ان الاسلام يعيش الى ما شاء الله وان خصومه يعودون بخفي حنين . وآمالنا معقودة بيقظة الشعب البريطاني الكريم

ويسهل علينا أن نوجز الكلام عن علاقات روسيا القيصرية بالمسلمين فقد كانت سلالة رومانوف من ألد الاعداء لهم وكان هدفها الاسمى محاربة المسلمين وكان رجال الدين المسيحي في أوربا معجبين بها وكانوا ينتظرون استيلاء الروس على كنيسة اياصوفيا في الاستانة والقبر المقدس في بيت المقدس . وكان قياصرة الروس ينزلون أشد العذاب برعاياهم المسلمين ويقتلون من الترك والايرانيين والشركس وغيرهم من اخواننا الموحّدين مئات الالوف والملايين وكان ذلك من أكبر البلايا علينا وقد ثبطنا عن التقدم في طريق الرقي والعمران وهذا هو السبب الذي من أجله أصبح المسلمون آخر امة بين الناس فالفوضى ضاربة اطنابها بين ظهرانينا الان ونحن كقطيع من الغنم تعبث به الذئاب ولا هم لنا منذ

قرنين الا التذرع بذرائع تدفع عنا غوائل الاعتداء ولم ننس ما حل باخواننا من الاحن في عهد بطرس الاكبر وانا ايفانوفنا وكاترين الثانية واسكندر الاول ونقولا الاول واسكندر الثاني .

أما علاقات بريطانيا بالمسلمين فيصعب وصفها وهي من نوع آخر فليس فيها مذابح وسفك دم بل هي سياسية محضة ومقترنة بالمصالح المادية فهي تعطي لكل حالة لبوسها

أما وقد قلنا في هذا الصدد ما تقضي علينا الحال بأن نقوله فنذكر لمحة موجزة عن علاقاتنا ببريطانيا العظمى وروسيا ليسهل علينا بسط النبذة التاريخية التي توخينا اتحافكم بها . . .

تتجاذب الاسلام منذ قرنين قوتان وهما بريطانيا العظمى وروسيا فلما احرزت الاولى ثروة في الهند بعد القضاء على سلالة ملوك دلهي بما تفننت به من ضروب السياسة وأساليبها حولت أنظارها الى الاستانة وكانت قد تحققت ما يكون لها من المرافق العظيمة من وراء مصادقة السلاطين العثمانيين اصحاب الخلافة الاسلامية في ذلك العهد واستعانت بهم على قضاء أوطارها من توطيد سيادتها وتوسيع دائرة فتوحها في آسيا .

وكان ان حملة نابوليون بونابرت على مصر ساعدت بريطانيا كثيراً في اعمالها في الشرق فبسطت نفوذها على اصحاب الامر والنهي في الاستانة ولا سيما في ما يتعلق بوادي النيل وبلاد اليمن والديار الهندية ولم يكن سكان هذه الاقاليم يطلبون الا رعاية حرمة حريتهم بحيث لا يعاملون معاملة الارقاء .

ولما سقطت امبراطورية نابوليون اصبحت بريطانيا صاحبة السيادة في العالم الاسلامي لا ينازعها منازع في منزلتها فيه وكانت تراعي الاحوال في تصرفها مع « الباب العالي » فتارة تتزلف اليه بالحسنى وتارة تقلب له ظهر المجن . ففي نافاران أتت اعمالا تستميل اليها النصرانية وتجعل أوربا جمعاء تشيد بفضلها لتحريرها بلاد اليونان مهد التمدن الغربي . وفي شبه جزيرة المورة جاهرت بمصادقتها للمسلمين ليتسنى لها استعباد حكامهم الذين لم يدخروا شيئاً من الوسع لمساعدتها في سنة ١٨٥٧ على تقليم أظفار الفتنة في بلاد الهند .

وكان قياصرة الروس ينهجون نهجا آخر على ما سبق لنا ذكره فانهم لم يكونوا يفتأون عن اشهار الحروب لتوطيد سيادتهم على الشعوب المختلفة المقيمة في امبراطوريتهم الواسعة الارجاء وكان شعارهم العنف لخدمة الدين بحسب زعمهم . وكانوا يعللون نفوسهم بأمل الوصول بأي طريق كان الى استرداد أيا صوفيا وبيت المقدس ليصيبوا اكرام النصرانية جمعاء . وكان لهم غرض آخر وهو إلهاء المفكرين من رعاياهم عن طلب الاصلاح في بلادهم وكان آل رومانوف يطلبون دائما أن يكون لهم لقب المحامين عن الاقليات المسيحية في الشرق وهذا اللقب يطلبه البريطانيون الآن فكانوا يمجدون المسيح بقتل غير المؤمنين ويثيرون عليهم شعوب البلقان . أما البريطانيون فلم يكونوا يتوسلون بما عندهم من الوسائل لسفك دماء غير المؤمنين بل كان غرضهم نيل الفوائد المادية من بلادهم .

وليس غرضنا من الكلام في هذا المساء بيان حقيقة أسباب انحطاطنا وتقهقرنا وانما الكلام عن علاقاتنا السياسية والعسكرية باوربا الاستعمارية لنتجنب ارتكاب الاغلاط الفاضحة في المستقبل

ان الاسباب الحقيقية لانحطاطنا منبعها نحن فقد أوغلنا في السبات العميق وأغمضنا أعيننا عن تمرغ كبرائنا في حمأة السفاسف والخسائس وأهملنا تصفح القرآن بحيث أصبحنا لا نفهم معنى هذا الكتاب العجيب فهو مجموع العلم والنور وقد أقبلنا الآن على تقليد الغربيين كما تقلد القردة الآدميين ونبذنا تأويل سوره المشربة بروح الحكمة والسداد بشأن الزكاة أي مساعدة البائس الملهوف والضعيف الواني وصرنا لا نفهم الغرض من الحج حيث يتآخى فيه المسلمون على اختلاف نحلهم وأجناسهم . وأهملنا أمر الجهاد فهو حرب دفاعية مقدسة ولا تطلق أبداً لفظة جهاد عندنا على حرب هجومية يكون الغرض منها الاسراف في القتل و النهب فان سيدنا عيسى لم يوص بذلك قط

فلنذر الآن جانباً عدم تقيدنا بأوامر القرآن ونواهيه وما كان من وراء ذلك من وخامة المغبة على أمتنا ولنبحث في صلاتنا الاجتماعية والسياسية بشعوب اوربا عموما : أجل ان هذا يخرجنا قليلا عن دائرة موضوعنا ولكن لا يخلو من الفائدة . فلم تخدم حكومة من حكومات أوربا الاسلام بشيء كما أنه لم تسع حكومة من الحكومات الاسلامية لخدمة اوربا بشيء . فنحن خدمنا مصالح غيرنا

من الشعوب والامم بمزاولتنا الخفارة الدائمة على فلسطين فليتصور القارىء ماذا كان قد حدث في العالم لو لم يحافظ المسلمون على بيت المقدس من أربعة عشر قرناً . وقد يخطر لاحدهم أن يقول لنا : لولا ذلك لما وقعت الحروب الصليبية » نعم ولكن كان المسيحيون واليهود قد تقاتلوا وتطاحنوا أو كان العالم على غير ما هو عليه الآن .

وقد حافظنا أيضا على استتباب الامن في الحجاز ولولا هذا الامن لكان الحج قد نبذ وصرف النظر عنه وذلك يجعل الحرب مشروعة على من يقف في وجه الحج أياً كان وهذا سبب من الاسباب الخطيرة تدارك الاسلام وقوعها وقد جعل المسلمون في خلال قرون طويلة طرق التجارة الدولية العالمية مفتوحة في وجه الجميع ولا سيما طريق الدردنيل والبوسفور والطريق بين الهند وأوربا ولم ينقض المسلمون عهودهم على معاملة الجميع بالعدالة من دون أن يؤثروا هذا على ذاك .

ويجب على كل عاقل عادل أن يفكر في الحرية التي كان المسلمون يمنحونهم من الف سنة الى اليهود والنصارى للسفر الي الاراضي المقدسة دون أن يرهقوها بشيء وليس كما هي الحال في أيامنا هذه فلا يستطيع أحد أن يغشى تلك الربوع بغير اجازة من الحكومة البريطانية .

واذا قلنا ان الدول الاوربية لم تؤد أدنى خدمة للاسلام فلا يعني ذلك أننا ننفي عن الافراد ما أدوه لنا من الخدم فان أفرادا كراماً حلوا ربوع مصر وتركيا وايران ساعين وراء الكسب ولكنهم لم يشاؤوا أن يحشدوا الثروة من دون أن يقابلوا المعروف بالمعروف ونخص بالثناء من بينهم العلماء الفرنسويين الذين اختارهم محمد علي لتنظيم حكومته . أما أفراد الموحدين الذين خدموا البلدان الاوربية فقد ظهر منهم كثيرون في الماضي ولكن التاريخ الغربي يغمط فضلهم ولا ينوه باسمهم فقد عملوا أعمالا كثيرة في فرنسا وفي غيرها من البلدان ولا مجال الآن للاسهاب في هذا الموضوع .

أما الآن فلا تتنازل حكومة من حكومات اوربا الى تقليد المسلمين مناصب خطيرة فهي تعتبر ذلك محقراً لشأنها فالدول الاستعمارية تتسلط على نحو ٢٥٠ مليونا من المسلمين ولكنها لا تسند الى أحد منهم منصباً كبيرا

لا في باريس ولا في مدريد ولا في رومية ولا في لندن ولكن نستثني آغا خان فانه في لندن من كبار هواة الالعاب الرياضية فهو ينظم سباق الخيل أما فائدته السياسية فهي اسمه الاسلامي وهو لا يظهر الا في الحفلات الكبيرة حين تقتضي الحال عمل دسيسة سياسية عظيمة

وحين يرى هؤلاء المسلمون أن الدول الاستعمارية تقلد اليهود والمسيحيين سفاراتها ووزاراتها من دون أن تفتكر بأن تفوض الى احد المسلمين منصبا في عواصمها يتولاهم القنوط ويدهشون من تصريح تلك الدول بهوادتها واتهامها المسلمين بالتعصب الديني ولا تهتم في جنيف الا بحماية الاقليات المسيحية أو اليهودية ولا ينبغي لنا أن نذهل عن أن هذه الاقليات لم تشك حيفاً من الاسلام من أكثر من الف وثلاثمائة سنة .

ولنقف هنا قليلا ونتكلم عن فضل الاسلام على اوربا وتأثيره فيها ولنقدم الشكر للعلماء الاوربيين الاماثل الذين دافعوا عنا ودفعوا معرة التحامل علينا :

ان العالم الاسلامي لم يكن دائماً على ما هو عليه من التضعضع وتفرق الكلمة فنحن الآن في جميع البلدان تحت نير الاجنبي ولكن كان زمان حمل فيه الاسلام راية الحضارة والتمدن الحقيقي ومن كان منكم يا حضرات الاخوان ميالا الى معرفة ماكان من الفضل للاسلام على اوربا في القرون المتوسطة فليطالع ما كتبه عن ذلك الكتبة الاوربيون الكرام أصحاب الوجدان الطاهر ولكن هذه الكتب ملقاة فى المكاتب الكبرى بباريس وبرلين ولندن ورومية وفينا وجنيف وغيرها من المدن المشهورة بالعلم فالواجب يقضي على المسلمين باخراج تلك الكنوز من مخابئها واظهار فضل اولئك المجاهدين الجريئين وقد ألمت الجمعية العرفاتية غير مرة بهذا الموضوع ولا سيما في مجلتها « عرفات » ونشرت في بعض أعدادها شيئا من تلك المؤلفات التاريخية ولا يسعني المقام في هذا المساء أن أزيد في التمادي في هذا الموضوع . . .

ولندع جانباً أعمال الحكومات والافراد ولنستنر بمشكاة الكتب التي ذكرناها ولنبحث في تأثير الاسلام العقلي والادبي في الازمنة الحالية وتأثير الغرب الحالي وعلاقة كل منهما بالآخر ونقصد بهذا التأثير التأثير الطبيعي

المتبادل بينهما والناجم عن مخالطة كل منهما للآخر في السكن والعلاقات

ان الغرب الحديث الظافر يدخل بلاد الاسلام بقصد الكسب ويتولى الشؤون مباشرة وينصب القضاة على هواه ويختار أئمة الجوامع على ما يوافق مصلحته ويعبث بالشريعة المطهرة ويتدخل في كل شيء . والذين منكم في « مدينة النور » يرون ماهو جار في المسجد الجديد . أجل ان المستخدمين والموظفين فيه مسلمون ولكن الادارة العليا فيه بيد الفرنسويين أما الكنائس الاجنبية ومجامع اليهود في باريس وفي جميع انحاء العالم فان أدارتها بيد من يعنيهم أمرها . وقد قيل لنا أن الشذوذ عن القاعدة العامة في ما يتعلق بجامع باريس هو لأن السفراء الشرقيين لا يمثلون الاسلام وأن الخلافة ملغاة . . . .

ان الاسلام في عهد مجده الماضي وفي عهد عبوديته الحاضرة جعل مبدأه تجنب التدخل في شؤون اليهود والنصارى الداخلية فلهم انظمتهم الخاصة يديرون شؤونهم كما يشاؤون فلهم مجالسهم الصغيرة ولهم مدارسهم الحرة . ولهم ملء الحرية في وضع أنظمة أحوالهم الشخصية وهم يتصرفون في أملاكهم من دون أن يكون للمسلمين رقابة عليهم فيها . وقد كان المسلمون يمنحون هذه الحرية دائما لرعاياهم الاوربيين في اسبانيا وأيطاليا وفرنسا وقد كان ذلك مساعداً على احراز الاوربيين للعلوم وتوسيع دوائر عقولهم في جميع أنواع العلوم والفنون والفلسفة والدين وغير ذلك . ونستشهد بالميموني المشهور وهو من أقطاب المجددين في اليهود فلو لم يحصل العلوم في المدارس الاسلامية لما أصبح في مقدمة الذين نشروا المعارف الاساسية في أوربا وقد ساعده في مهمته هذه تلامذته الذين اغترفوا العلم من بحار هذه المدارس وكان الميموني الذي يلقبونه بموسى الثاني يكتب في اللغة العربية فى غالب الاحيان .

وان مجدّدي النصرانية الذين جاؤوا في أواخر العصور المظلمة أخذوا عن المسلمين ما كان مكتوباً باللغة العربية من الابحاث الفلسفية واللاهوتية ومن يتدبر حياة آباء الكنيسة الكاثوليكية لا يلبث أن يرى البضاعة الكثيرة والمادة الغزيرة التي اقتبسوها من مدارس قرطبة وسالرن وافريقية وآسيا .

وقد يقول لنا أحد المتحذلقين ولكن المسلمين في أيامنا هذه يتلقون العلم في مدارسنا . . . انتا نماشه على زعمه ولكننا نلقي عليه هذا السؤال وهو : هل

يستطيع هؤلاء المسلمون عند رجوعهم الى بلادهم أن يخدموها بملء حريتهم أو يجدون عقبات يقيمها الاجنبي في وجوههم . . . وليس للطريقة الاستعمارية الا غاية واحدة وهي خنق الافكار القوية والمستقلة فكم من مرة قلدوا مهندساً منصب القضاء وأدخلوا عالما من علماء طبقات الارض في سلك الجندية وعينوا عالما من علماء مساحة الاراضي موسيقيا حين يحتاجون الى موظفين لوظائف يرغب عنها أبناؤهم .

أما الاوربيون الذين كانوا يدرسون في الازمنة القديمة في المدارس الاسلامية فانهم كانوا يعودون الى باريس أو ديجون أو رومية أو فلورنسة أو غيرها ولهم حرية تامة في التصرف كما يشاؤون وليس من يمتري في انه كان للاسلام فضل عظيم على العلماء والصناع الاوربيين حين كانت شعوبهم متسكعة في دياجير الهمجية في القرون المتوسطة ولم تسع حكومة اسلامية قط مع اليهود والنصارى الذين ينهون دروسهم عندها لتحويلهم عن مبادئهم لغرض من الاغراض كما تفعل الآن الحكومات الاستعمارية للحؤول دون تفشي العلم بين مجموع الامة وتنوير أفكارها .

ونستشهد أيضا بما وقع في مصر فان الكاهن دونلو خلع عنه ثوب الكهنوت ودخل في خدمة الحكومة يدير مدارسها في خلال ربع قرن فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة وهذا الكتاب أساس حياتنا العقلية والادبية . وكان دونلو يتوهم أنه يخدم بعمله هذا الانسانية المعذبة خدمة جليلة بهدمه أركان تعاليم هذا الكتاب هدما بطيئا بخبث نية وكان غلادستون يقول في بهرة البرلمان ان القرآن أصل البلايا في هذا العالم

ان مثل هذا التعليم يجعل النشء الجديد ضعيف العقيدة وقليل الاعتصام بأواخي التقاليد التي كان يعتصم بها اباؤه ويقلد كل ما يقع تحت نظره . أما الاسلام فانه كان يطلق الحرية لليهود والنصارى في قرطبة وبالمرما ونربون ليتعلموا ما يبتغون تعلمه من غير ما ضغط ولا اكراه .

واسمحوا لي أن أغير الموضوع قليلا وأخاطبكم بضع دقائق عن مفاخرنا الاسلامية القديمة وبعد ذلك نعود الى استئناف الكلام عن علاقاتنا المؤلمة بغيرنا من الدول .

لما كان الغربيون يغمطون فضل الاسلام على اوربا وسواء في ذلك عالمهم وجاهلهم وكان كثيرون من المقدمين فينا يجهلون هذا الامر رأيت أن أكثر من الكلام عنه لكي ينتبهوا الى غرس هذه الحقيقة في قلوب الشبيبة التي تحصل العلم

ان الاسلام ملأ العالم نوراً في أثناء قرون كثيرة ولا عبرة فيما يقوله بعض المؤرخين الذين لم يدققوا في المسائل التاريخية فالفتوح الاسلامية الاولى عينها صحبها مآثر خطيرة وأعمال نبيلة بخلاف ما يزعمه الكتبة الجهال المأجورون لتزييف الحقائق وتشويهها . ولولا المسلمون لكان الاوربيون باقين على الارجح يهيمون في مجاهل الجهل فهم مدينون لهم بجميع فروع المعارف البشرية : العلوم والفنون والفلسفة واللاهوت الخ . وسيأتي يوم يرتفع فيه صوت الحقيقة فيسمعه كبار العلماء الفرنسويين والالمان والبريطانيين والسويسريين والاميركيين والاسبانيول والروس والايطاليين والهولنديين وغيرهم وقد جاهروا بفضائل الاسلام وفضله على اوربا في القرون المتوسطة

فماذا كان من شأن المذهب الكاثوليكي لولا القديس توما الاكويني . وماذا كان القديس توما لولا الدروس التي تلقاها عند المسلمين . ولو لم يأت المسلمون الى أوربا لما نشأت البروتستانتية . ونستطيع أن نورد أمثلة أخرى عديدة لتأييد نظريتنا هذه ان كان من جهة الشعر أو علم الادب أو الاشتراع أو غير ذلك .

فلو لم يكن الداني الليغيري الشاعر المطبوع يعرف الشعر العربي والدين الاسلامي لما بلغ ما بلغه من الشهرة . وغيره كثيرون من أمثاله الذين اشتهروا في علم الادب والعلوم الطبيعية . ولكن حذار يا اخوان أن تتمسكوا بمثل هذه القضايا أمام الجيل الحاضر وأمام علمائنا المتمدنين فانكم تعالجون اقناعهم على غير جدوى ولكن العالم سيفتح عينيه فيما بعد لرؤية الحقيقة . . . فالامة الاسلامية واحسرتاه في دور انحطاطها وقد بدأ هذا الدور من نحو قرنين أي من الحين الذي وجه فيه قياصرة الروس كل قواتهم على الموحدين اذ لا يخفى عليكم أنه لم يمر جيل من أجيال الروس من دون أن يغمس يديه بدم المسلمين وقد قتلوا من اخواننا مقتلة عظيمة فكان القياصرة يعتبرون اضرام نار

الحرب للاستيلاء على أيا صوفيا وبيت المقدس هدفهم الاسمى .

ولما تكلمت في المرة الاخيرة عن أعداء أمتنا لم يفهم بعض الحاضرين مرمى كلامي فمعاذ الله أن أقصد التحقير للكهنة أو الرعاة المحترمين الذين ليس في قلوبهم ضغينة وغل للاسلام فاعلموا يا اخواني ويا أصدقائي اني أستثني من بين خدام الدين المسيحيين فريقاً من كرام هؤلاء الخدام فهم مسيحيون حقيقيون يسيرون على الصراط المستقيم صراط المحبة وجودة القلب الذي خطه لهم سيدنا عيسى بن مريم الطاهرة القديسة ومن أمثال هؤلاء الاب هياسنت (لويزون) والارشمندريت خرستوفورس جبارة ومن سلك مسلكهما فالقرآن يمدح مثل هؤلاء الخدام الروحيين ويوصينا بهم خيراً . أما الآخرون الذين لا مطمع لهم إلا بحشد الفضة والذهب فان مصحفنا الكريم يحذرنا منهم .

واسمحوا لي أيضاً بأن أورد لكم فقرات مأخوذة من فرض الكهنة المذكور في تاريخ بيزا ومنها ترون رأيهم في ديننا الحنيف فانهم يقولون :

« دين محمد الهمجي والسكير الذي من نصيبه جهنم عقاباً له على سياته وهو دين خدام الشيطان والموابيين الانجاس الذين يرددون آيات الرسول ويكثرون من التجديف على ملكة السموات مريم »

وكل عاقل يعلم ان المسلمين يكرمون عيسى ومريم العذراء وانهم لا ينكرون أبداً الدين المسيحي الحقيقي ولا الدين اليهودي ولكنهم يحتقرون الكهنة الاشرار الذين يعيشون من ثروة الاغنياء .

والآن فلنعد الى الكلام عن قياصرة الروس فانهم اتخذوا حجة لمواصلة غزواتهم عبارة براقة تبهر الابصار وتخلب البصائر وهي : « حماية المسيحيين الخاضعين لنير الهمجية الاسلامية . »

فكل حصيف متنور يدري ان القرآن يوصي بحماية جميع الاجناس والشعوب والطوائف المستكنة والمذاهب الدينية المسالمة . ولهذا السبب كانت الطوائف المختلفة من المسيحيين واليهود تعيش من الف سنة في ظل راية الاسلام من دون أن تشكو ارهاقاً ومن دون أن يبثوا عليها العيون والارصاد الا حين يبدو منها تواطؤ مع غزاة بلادنا .

وهذا هو السبب الذي من أجله نرى اليهود والقبط والموارنة والكلدان

والسريان والارمن واليونان والرومان والبلغاريين والسربيين وغيرهم من الشعوب الصغيرة محافظين على جنسيتهم من دون أدنى صعوبة . فقد كانوا يعيشون بأمان وسكينة بين ظهراني المسلمين ولكن لم يرق هـذا الامر الغزاة الروس فانهم اشهروا الحرب على الاسلام الهمجيين بحجة حماية الاقليات .

وقد تألفت عشرات من الجمعيات السرية ولا سيما في روسيا وجعلت غايتها اخراج الكافرين من أوربا فالبلقانيون الذين كان المسيحيون يزينون لهم مستقبلا حسناً من عهد بعيد أسرفوا في ايقاد نار الفتن متكلين على بطرسبرج في حركاتهم . وكان من نتيجة ذلك ان أصبحت الرغبة في تحرير نصارى الشرق عامة في بلاد الغرب وما لبث العطف على البلقانيين ان انتشر في أوربا وأميركا وشرع الشعراء ينسجون برود القصائد على منوال الرزايا التي يتخبط فيها اليونانيون والبلغاريون والسربيون فشخص الى بلاد اليونان الشاعر اللورد بيرون متقلداً السيف وحاملا الصليب وكان المعجبون به والسالكون مسلكه يحركون ساكنات الهمم في الشعب فاغتنمت روسيا الفرصة السانحة وأجهزت على ما كان باقياً من قوة تركيا ومصر فدُمّر الاسطول المصري في نافاران في خلال الهدنة حين هجموا عليه على غرة وقد أقام أمبراطور النمسا النكير على هذا العمل الفظيع وقد اشتركت في هذا العمل بريطانيا وفرنسا وكان اشتراك فرنسا فيه توطئة لغزوها مسلمي أفريقية وافتتاح بلاد الجزائر بعد معركة نافاران بثلاث سنوات

وكان روح الثورة لا يزال حياً في ذلك العهد فكان للكلمات الثلاث. حرية. أخاء . مساواة معناها الأصلي الذي وضعت لاجله وقد خشيت الطبقات المتقهقرة في أوربا من انتشار هذا الروح بين الشعب ولذلك تألبت أوربا وتوسلت بجميع الوسائل لقذف فرنسا في ورطات الاستعمار ليجبروها على تغيير عقليتها والوقوف الى جانبهم بصفة تابع سلس المقادة

وبينما أنا أكلمكم أشعر بعامل داخلي يحركني لاقص عليكم حوادث تلك المعركة البحرية التي لا يصح ان نسميها معركة لأن الاسطول المصري كان راسياً بكل طمأنينة في ميناء نافاران وكان قائده الاكبر ابراهيم باشا والضباط قد نزلوا الى البر بعد ما وثقوا بالعهد المقطوع وهذا شأننا مع الدول المستعمرة ولو شئت الاسهاب في الكلام في هذا الموضوع لتمادى بي الى مدى بعيد ولكن يمكنكم

أن تقرأوا تلك الحوادث مفصلة في مجلتنا « عرفات » في العدد الصادر في ١٨ فبراير ١٩٠٤ في مقالة عنوانها « الجرائم البحرية » . وألفت نظركم بنوع خاص الى الفقرات التي أخذتها عن كتاب طبعته مكتبة مرتان في باريس بعنوان : « مذكرات عن حرب استقلال اليونان » وواضع هذا الكتاب كاتب فرنسوي اسمه الفرد ليماتر وقد استند هذا الكاتب الى التقارير التي عثر عليها في خزائن أوراق وزارة البحرية في باريس

وفي غد اليوم الذي وقعت فيه هذه المعركة أولها كل على هواه فقال شارل سنسرم في صحيفة المسألة الشرقية الشعبية : « جاهر شارل العاشر بسروره من هذا الظفر الباهر أما جورج الرابع فانه وصفه بكونه حادثة مؤلمة لانه دمر القوة التركية لفائدة روسيا » .

وقال الفرد ليماتر :

« من شأن الناس في فرنسا اما أن يتحمسوا واما أن يغضبوا بحق أو بغير حق فحين انتهى اليهم خبر الانتصار الكبير هللوا فرحا ولكن ما عتموا أن صمتوا بوقت قريب فقد فهم الجمهور ان هذا الحادث الحربي الذي يحسن بنا ألا نطيل الكلام عنه أو القضية اليونانية أصبحا معدودين من التاريخ القديم وقد اتفق جميع الذين اشتركوا في هذا الحادث على أن يصفوه بانه حادث فظيع فالاميرال دي ريني أثر به منظر الاسطول المدمر والجثث الكثيرة الطافية على وجه الماء حول سفنه فاصيب بمرض عصبي لازمه كل حياته ونغصها .

أما في بريطانيا فان الحكومة لما رأت سخط شعبها الكريم أنكرت على الاميرال كودرنغتن عمله ولكنه تلقى قلائد الشكر التي نظمتها له الحكومة الروسية .

انه ولا ريب في أن فريقاً من الاوربيين لا ينظر بمقلة الجد الى اشهار حرب دينية على المسلمين ولكنه يرغب في اتحافنا بمدنيته بصفة كونه وصياً علينا أو منتدبا لنا وفي الوقت نفسه يبتز أموالنا بلباقة ففي اسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا كثيرون من أمثاله ولكن الغربيين بوجه

الاجانب لا يكترثون لهـذا الامر حتى الروس أنفسهم فانهم لا يحبون أن يدار ذكره أمامهم .

ولقائل أن يقول وكيف استطاع آل رومانوف وعمالهم أن يتخذوا فكرة الحرب الصليبية أداة لنيـل أوطارهم مدة طويلة وأن يستنفروا الشعوب المختلفة الخاضعة لهم لخدمة أفكارهم ومساعدتهم على ادراك تلك الغاية فنقول له ان فهم ذلك الامر يقتضي سرد حوادث كثيرة التعقيد فنجتزىء في هـذا المساء بذكر كلمتين من هذا القبيل .

ان الشعوب الغربيـة توسعت عندها دوائر الشؤون العقلية توسعاً عظيما وقد اندغمت الاجناس المختلفة المتألفـة منها اندغاماً شديدا وتوحدت توحداً تاما بحيث لا يزعم جنس من هذه الاجناس ان له التسود على غيره ففي هـذه البلاد الصغيرة التي نحن فيها الآن أي سويسرا ثلاثة أجنـاس تعيش جنباً الى جنب بالوئام والائتلاف . وفي فرنسا أيضاً أجناس مختلفة من بريطانيين وباسك وغالو رومان وبرغونيين والزاسيين ونرمنديين الخ ولـكن لا يدعي جنس من هذه الاجناس بان تكون له الافضلية على غيره . وهـذا الامر عينه نلاحظه في ايطاليا أما في الامبراطورية الروسية فان قبـائل الفاريج استأثرت بالسلطة السياسية من بدء الامر ولا تزال حتى أيامنا هـذه صلة الوصل الوحيدة بين الاجناس الاخرى من بحر البلطيك الى البحر الاسود فبحر قزوين

ولـكن من هم هؤلاء الفاريج ؟ اذا فتحنا دائرة المعارف الـكبرى قرأنا فيها ما يأتي :

« الفاريج قبائل اسكنديناوية جاءت من اسوج ونروج واسمها باللغة الفنلندية رويتسي ومعناها يدل على ما يدل عليـه معنى «نورمندي» أو أهل الشمال وقد اطلقت اسمها على البلاد كلها . . . .

ومن وكدهم تأليف الحملات الحربية ومباشرة أعمال القرصنة . وغزا الفاريج الامبراطورية البيزنطية غير مرة ووالوا ارسال البعوث الى الجهات الجنوبيـة وقد كانت الغنائم الـكثيرة تجذبهم اليها ولا سيما الى القسطنطينية وقد يكون الباعث لهم على ذلك الرغبة في استيطان بلاد أدفأ وأغنى من بلادهم . . . .

وكانت حضارة الفاريج مماثلة لحضارة الشعوب الالمانية في آونة غزواتهم الكبيرة ثم مالوا الى حضارة اخوانهم النرمنديين . . . »

. . . .

وانتهى الامر بالفاريج والشعوب الاخرى الضاربة في روسيا الى انتحال الدين المسيحي ولكن دخلت القسطنطينية في حوذة المسلمين . وكانت الحال تقضي بان تنشأ رابطة تربط الرويتسي بالشعوب الخاضعة لهم فرأوا أن يخلقوا لهم هدفاً أسمى أشرف من القرصنة ولكن أين يجدونه وكيف يخلقونه وكيف يستعملونه . فان الشعوب التي خرجت من العالم الاغريقي اللاتيني كان لديها متسع من الوقت للتحول . فكان هدف الفرنسويين الاسمى نشر لغتهم وآدابها ومبادئهم الانسانية بين الشعوب الاخرى وجعلوا من وكدهم تسود الحرية والاخاء والمساواة في العالم وهم من هذا القبيل يشبهون المسلمين من بعض الوجوه

والغرض الذي يسعى الايطاليون للوصول اليه هو بعث الامبراطورية الرومانية من رمسها فهم يطمعون بالسيادة على البحر الابيض الرومي ليعيدوا الحضارة الرومانية الى سابق عزها وهي سياسة نبيلة عظيمة بعيدة المرمى .

ويرغب الاسبانيون والبرتوغاليون في الانضمام الى اخوانهم اللاتينيين في امركا الشمالية واميركا الجنوبية فما أعظم هذا الهدف الاسمى وما أضخم التحالف الذي تنويه هذه الشعوب الفتية الجريئة .

ولكن أي هدف يستطيع أن يوجده الرويتسي الذين كانت القرصنة مهنتهم في مامضى لكي يوقدوا نار الحماسة في صدور شعوبهم . ان تلك الشعوب التي تقيم في بلاد الثلج والجمد كانت نفوسها تطمح الى غزو الاقاليم الجنوبية بلاد الشمس والخير فقد كان ذلك ضالتها المنشودة وحينئذ فتق لهم العقل أن يذيعوا بين الامة الروسية فكرة استرداد الاراضي المقدسة في فلسطين وهي التي شرفها وقدسها المسيح باقامته فيها وذلك بعد الاستيلاء على أياصوفيا المشهورة بمجد القياصرة .

ما أسمى فكرة تجديد ماكان الاقدمون قد باشروه ولكن عملهم الحالي لا ينطبق على تلك الفكرة بل يتسم بسمة المطامع واللصوصية والاعتداء . . .

ان ايجاد هدف أسمى تتغنى به القرائح أمر سهل ولكن وضعه موضع

الاجراء عقـدة من العقد . فيجب أن يبتـدأ بانشاء ادارة راسخة الاركان فالحروب الطويلة الاجل البعيدة الغايات تقتضي مواصلة الجهد ولا سيما المحافظة على قيادة عامة موحدة .

ونظم الرويتسي أحوالهم ليتولوا الزعامة من دون أن ينكرها أحد عليهم من الشعوب المختلفة المتألف منها سكان الامبراطورية الروسـية أي الفنلنديين والتتار والمغول والصقالبة والترك واليهود وغيرهم وكان الرويتسي بمثـابة همزة الوصـل بينهم جميعهم فاقتسموا الاراضي فيما بينهم فوقع لـكل من زعمائهم ولاية من الولايات واصبح جميع السكان أرقاء لهم وأصبحت الاسرة السائدة بينهم فوق الجميع أسرة رومانوف وبات القيصر أباً للـكل وصار مركزه مماثلا لمركز ابن السماء في الصين ولم يكن لاحد الحق بأن يضع أعمـاله تحت البحث وكانت السياسة الخارجية وقيـادة الجيوش منوطتين به من دون سواه تضاف الى ذلك رئاسة الـكنيسة فقد كانت من اختصاصه . وعلى هـذا النمط تمشت سياسة القياصرة متنقلة من انتصار الى انتصار ومستندة الى سياسة سرية فاقدة النظير ومعززة بجواسيس كثيري العـدد انتشروا في قصور سلاطيننا الخاملين وأمرائنا البسطاء وكبار أصحاب المناصب والخطط المتشحين بالملابس المنسوجة من الحرير وخيوط الذهب والفضة والمرصعة بالحجارة الـكريمة التي كانوا يتباهون بها على مثال تباهي النساء بحاليهن . وما زال القياصرة يمشون على كوم من جثث اخواننا المسلمين حتى هبت الشعوب المختلفة في الامبراطورية الروسـية الواسعة وشقت عصا الطاعة وأطلقت عقال الفتنة وحطمت تحطيما أبدياً شكل ذلك الحـكم الاستبدادي الغريب وكان هذا الحـكم قد أصيب بضربة شديدة كادت تكون قاضية عليـه من يد ابن آخر من أبناء السماء وهو الميكادو وقد استند هذا الى محالفته لبريطانيا العظمى وأمنه جانبها .

وكان هم الرويتسي منصرفا الى الفتوح والمذابح والحروب وقد كان في الجاسوسية والسـياسة السرية عوامل مساعدة لهم على ادراك أغراضهم . أما بريطانيا فانها كانت تتوسل بغـير وسائل العنف والحرب لنيـل أوطارها فان السياسة كانت سلاحها الماضي .

نجتزىء بما ذكرناه ضاربين صفحاً عن ذكر ما بقي وذلك لاسباب لا محل لذكرها الآن ولعله تكون لنا عودة اليها في فرصة أخرى ملائمة فما لا يدرك كله لا يترك جله وكل آت قريب

***

ذيول

الذيل الاول

في المعاهدة البريطانية العراقية

حيث كان جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية التي ما وراء البحار وامبراطور الهند فريق أول . وجلالة ملك العراق فريق ثان يرغبان في أن تكون الوثائق المبينة في قرار مجلس جمعية الامم المؤرخ في ١٦ دسمبر سنة ١٩٢٥ مرعية الاجراء وفيها تعيين الحدود بين تركيا والعراق بموجب المادة الثالثة من معاهدة الصلح الموقعة في لوزان في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ والقاضية بأن تكون العلاقات بين الفريقين المتعاقدين المعينة في وثيقة المحالفة وتعهد حكومة جلالته البريطانية وقد وافق عليها مجلس جمعية الامم في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤ محافظاً عليها ما دام العراق — وفقاً للمادة الاولى من عهد جمعية الامم — لا يقبل عضواً في جمعية الامم قبل انقضاء هذه المدة .

وحيث كان المتعاقدان الساميان قد أبدى كل منهما رغبته في الوثيقة المؤرخة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٣ في عقد اتفاق تنظم بموجبه علاقاتهما في المستقبل فقد قررا بأن يضمنا بصورة قانونية اجراء الوثائق المذكورة بعقد معاهدة جديدة وقد عينا لهذه الغاية وكيلين مفوضين فان جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية التي ما وراء البحار وامبراطور الهند عين حضرة برنارد بورديلون المحترم مفوضاً سامياً بالوكالة لينوب عن جلالته البريطانية في العراق .

وعين جلالة ملك العراق عبد المحسن بك السعدون رئيس وزارة الحكومة العراقية ووزير خارجيتها مندوباً من لدنه .

وبعد ما تبادلا التفويض التام الذي أصابه كل منهما من مليكه وتحقق صحته وقانونيته اتفقا على النص الآتي بيانه :

المادة الاولى — ألغي نص المادة الثامنة عشرة من المعاهدة المعقودة بين المتعاقدين الساميين والموقعة في بغداد في ١٠ اكتوبر من سنة ١٩٢٢ مسيحية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر من سنة ١٣٤٠ هجرية وتنص الوثيقة المؤرخة في ٣٠ ابريل من سنة ١٩٢٣ مسيحية الموافق لليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٤١ هجرية من حيث اعتبار هذا النص قانونيا من جهة مدة المعاهدة المذكورة وستظل هذه المعاهدة مرعية الاجراء مدة خمس وعشرين سنة من تاريخ ١٦ دسمبر سنة ١٩٢٥ ما لم ينتظم العراق في سلك جمعية الامم قبل انقضاء مدة المعاهدة المذكورة .

وان جميع الاتفاقات المعقودة بين الفريقين المتعاقدين الساميين بشكل مؤيد للمعاهدة المذكورة المؤرخة في ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ تظل مرعية الاجراء أيضاً في خلال المدة المعينة في هذه المعاهدة باعتبار مدة قانونيتها متعلقة بمدة قانونية هذه المعاهدة من دون أن يغير شيء من نصها .

المادة الثانية — يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على اعادة النظر بعد مصادقة وموافقة مجلس جمعية الامم على هذه المعاهدة — في القضايا التي دار عليها الجدال بينهما فيما يتعلق بمراجعة الاتفاقات المتسلسلة عن المادتين السابعة والخامسة عشر من معاهدة ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢

المادة الثالثة — انه من دون أن يمس نص المادة السادسة من معاهدة ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ المتعلق بقبول العراق فى جمعية الامم أو نص المادة الثانية عشرة من المعاهدة المذكورة وفحواها أنه يجوز في أي وقت كان ان يعاد النظر برضى مجلس جمعية الامم في نص هذه المعاهدة أو نص الاتفاقات المؤيدة لها يتعهد جلالته البريطانية بأن يعيد النظر في القضيتين الآتيتين حين تصبح معاهدة ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ قديمة بالنسبة الى نص وثيقة ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٣ وفيما بعد الى مدد متوالية تعد اربع سنين فاربع سنين ريثما تنقضي مدة

الخمس والعشرين سنة المذكورة في المعاهدة الحالية أو ريثما ينتظم العراق في سلك جمعية الامم وهاتان هما القضيتان المذكورتان :

١ — اذا كان ممكنا أن يوصى بقبول العراق في جمعية الامم

٢ — اذا لم يمكن ذلك ينظر في امكان تعديل الاتفاقات المذكورة في المادة الثامنة عشرة من معاهدة ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ وذلك مراعاة لتقدم مملكة العراق أو لعلة أخرى من العلل

ان هذه المعاهدة المنظمة باللغتين الانجليزية والعربية — يعول على النص الانكليزي عند وقوع خلاف - يصادق عليها ويتم تبادل المصادقة بأسرع ما يمكن

واشعاراً بذلك وقع المفوضان المذكوران آنفاً هذه المعاهدة وختماها بختمهما .

نظم في بغداد فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير سنة الف وتسع مئة وست وعشرين مسيحية الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة الف وثلاث مئة وأربع واربعين هجرية في ثلاث نسخ تودع منها واحدة في خزائن أوراق جمعية الامم في جنيف ويعطى كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة .

التوقيع : ب . هـ . بورديلون

المندوب السامي بالوكالة الممثل لجلالته البريطانية في العراق

عبد المحسن السعدون

رئيس وزارة الحكومة العراقية ووزير الخارجية

***

الذيل الثاني

الاتفاق التركي البريطاني العراقي

ان فخامة رئيس الجمهورية التركية فريق أول

وجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا وامبراطور الهند
وعظمة ملك العراق فريق ثان .

حيث نظروا في النصوص المتعلقة بتصحيح حدود العراق على ما جاءت في المعاهدة الموقعة في لوزان في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣

وحيث كانوا راغبين في ازالة كل ما من شأنه أن يكدر صفاء العلاقات عند حدود البلادين قرروا عقد معاهدة لهذا الغرض وعينوا مندوبين مفوضين :

من لدن فخامة رئيس الجمهورية التركية
رشدي بك نائب أزمير ووزير الخارجية
ومن لدن جلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا وامبراطور الهند
السر رونالد تشارلس لندساي سفيره لدى الجمهورية التركية .
ومن لدن عظمة ملك العراق
الكولونل نوري السعيد وزير الدفاع الوطني

وبعد ما تبادلوا فحص أوراق اعتمادهم وبعد ما وجدوها قانونية قرروا النصوص الآتية :

الفصل الاول

الحدود التركية العراقية

المادة الاولى — يمين خط الحدود بين تركيا والعراق الخط الذي رسم في اجتماع مجلس جمعية الامم في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٤ (خط بروسل)

على أن هذا الخط الممتد في قسم الطريق الواصل أشو بعلمون يبقى في أرض تركية وان يكن ماراً في أرض عراقية

المادة الثانية — رُسم على المصور خط الحدود المعين بموجب المادة المذكورة (مقياس المصور ١٠٠٠ر٢٥٠ر١) المضموم الى هذه المعاهدة بحسب نص الفقرة الاخيرة من المادة الاولى واذا كان اختلاف بين النص والمصور كان المعول على النص

تصحيح الحدود

المادة الثالثة — يعهد الى لجنة تصحيح الحدود في رسم الحدود المبينة في المادة الاولى على الارض وستتألف هذه اللجنة من مندوبي تركيا وبريطانيا العظمى والعراق بحيث يكون اثنان من لدن كل دولة ومن رئيس سويسري يعينه — اذا رضي بذلك — رئيس جمهورية سويسرا .

ويجب أن تجتمع اللجنة في القريب العاجل وفي أي حال كان في الاشهر الستة التي تتلو وضع هذه المعاهدة موضع الاجراء .

وتؤخذ قرارات اللجنة بأكثرية الاصوات وتكون اجبارية للفريقين ذوي الشأن وتعنى لجنة تصحيح الحدود بان تتبع عن قرب الاشارات المبينة في هذه المعاهدة

وتتعهد الدول بمساعدة لجنة تصحيح الحدود اما رأساً واما بواسطة الحكومات المحلية في كل ما يتعلق بالنقل والسكن والعملة والادوات (علامات الحدود والاوتاد) اللازمة للنهوض باعباء مهمتها .

وتتعهد الدول ذوات الشأن بان تحافظ على العلامات الهندسية والاشارات والاوتاد التي تضعها اللجنة عند الحدود . وتوضع العلامات على مسافات يرى الواحد منها من الآخر وتوضع عليها اعداد ويرسم مصوّر توضع عليه الاعداد وموضعها . وينظم بيان نهائي بتصحيح الحدود وتعطى حكومة كل دولة من الدولتين المتجاورتين نسخة من هذا البيان وترفع الثالثة الى حكومة الجمهورية الفرنسوية وهذه ترسل نسخاً عنها حقيقية الى الدول موقعة معاهدة لوزان .

المادة الرابعة — تسوى مسألة سكان الاراضي المعطاة الى العراق وفقاً لنص المادة الاولى من هذه المعاهدة ووفقا لحقوق اختيار الجنسية بحسب ما نصت عنه المواد ٣١ و ٣٢ و ٣٤ من معاهدة لوزان وتكون هذه الشروط معمولا بها مدة اثني عشر شهراً من تاريخ اليوم الذي اصبحت فيه هذه

المعاهدة مرعية الاجراء . ويكون لتركيا الخيار في قبول أو رفض حق اختيار الجنسية لهؤلاء السكان الذين يطلبون البقاء تابعين لها .

المادة الخامسة — يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بقبول الحد النهائي من دون أن يعتدي على خط الحدود المبين في المادة الاولى ويحاذر أن يحاول تغييره

الفصل الثاني

علاقات حسن الجوار

المادة السادسة — يتعهد الفريقان المتعاقدان بان يقاوما بكل ما لديهما من الوسائل اعمال الافراد والعصابات المسلحة التي تأتي اعمال الشقاوة واللصوصية عند منطقة الحدود وتمنعها عن اجتياز هذه الحدود .

المادة السابعة — ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة من هذه المعاهدة اذا علموا ان شخصاً أو اكثر مدججين بالسلاح اتوا اعمال الشقاوة والنهب في منطقة الحدود اخبروا بعضهم بعضاً عن ذلك بلا تأخر.

المادة الثامنة — ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة من هذه المعاهدة يشعر بعضهم البعض الآخر باعمال الشقاوة والنهب التي تقع في ارض احد الفريقين فيتوسل موظفو الفريق الذي يشعر بذلك بجميع الوسائل التي لديه لمنع الاشقياء عن اجتياز الحدود .

المادة التاسعة — اذا تمكن شخص مسلح أو أشخاص مسلحون من الوصول الى الحدود بعد ارتكاب جنحة أو جناية في منطقة الحدود وجب على موظفي المنطقة التي لجأ اليها الشقي أو الاشقياء أن يلقوا القبض عليهم ويسلموهم مع سلاحهم وغنيمتهم الى موظفي الجهة الذين هم من تابعيها .

المادة العاشرة — يشمل نص هذا الفصل من المعاهدة مجموع الحدود بين تركيا والعراق ومنطقة تمتد في داخل بلاد كل فريق من الفريقين مسافة ٧٦ كيلو مترا تبتديء من خط الحدود .

المادة الحادية عشرة — ان الموظفين المفوضين المعهود اليهم في وضع منطوق هذا الفصل موضع الاجراء هم:

لوضع خطة التعاون العام وتحمل أعباء مسؤلية التدابير الواجب اتخاذها :

من جهة تركيا — القائد العسكري على الحدود

من جهة العراق — متصرف الموصل ومتصرف اربل

لتبادل الافادات المحلية والمواصلات المعجلة :

من جهة تركيا — الموظفون الذين يعينون برضى الولاة وامرهم

من جهة العراق — قائمقام زابو وقائمقام أم ضيف وقائمقام زيبار وقائمقام رافندوز

ولحكومتي تركيا والعراق أن تغيرا لاسباب ادارية موظفيهما المفوضين وأن يشعر كل منهما بذلك الفريق الآخر اما بواسطة لجنة الحدود الدائمة المبينة في المادة الثالثة عشرة واما بواسطة المفاوضات السياسية .

المادة الثانية عشرة — يتحاشى الموظفون الترك والعراقيون تولي المراسلات الرسمية مع زعماء ومشايخ وأعضاء القبائل التابعين للفريق الآخر المعاهد والمقيمين في أرض الفريق الآخر ويجب على الفريقين المتعاقدين ألا يتساهلا بتأليف جمعيات في منطقة الحدود تعمل على الدعاية لمعاكسة احدى الدولتين صاحبتي الشأن . . .

المادة الثالثة عشرة — تتألف لجنة دائمة على الحدود لتسهيل وضع نص هذا الفصل من المعاهدة موضع الاجراء والمحافظة على علاقات حسن الجوار على الحدود بوجه عام وتتألف اللجنة من موظفين تعينهم تركيا والعراق ويكون عددهم متساويا من كلا الطرفين ويكون من مهمة هذه اللجنة التي تجتمع بالتناوب في تركيا والعراق العناية بحل المسائل المتعلقة بتنفيذ هذا الفصل من المعاهدة والمسائل الاخرى المتعلقة بالحدود بطريقة حبية وذلك حين لا يتيسر الاتفاق عليها بين المفوضين ذوي الاختصاص . وتجتمع اللجنة في المرة الاولى في زابو بعد ما تصبح هذه المعاهدة مرعية الاجراء بشهرين .

الفصل الثالث

شروط عامة

المادة الرابعة عشرة — لاجل توسيع نطاق المصالح المشتركة بين البلادين ومن تاريخ وضع هذه المعاهدة موضع الاجراء تتنازل حكومة العراق للحكومة التركية عن عشرة في المئة من الدخل الذي تحصل عليه في مدة خمس وعشرين سنة وذلك :

ا — من « شركة البترول التركية » بموجب منطوق المادة الاولى من وثيقة الامتياز

ب — من الشركات الخاصة التى تعمد الى استخراج البترول بموجب نص المادة التاسعة من الوثيقة المذكورة

ج — من الشركات المساعدة التي تتألف وفقاً للمادة الثالثة والثلاثين من الوثيقة المشار اليها

المادة الخامسة عشرة — تقررت مباشرة المفاوضات بأقرب ما يمكن في امر الامتيازات بالطرق القانونية لعقد معاهدة بتسليم المجرمين بين الدول الصديقة لتركيا والعراق .

المادة السادسة عشرة — تعاهد حكومة العراق على الامتناع عن ازعاج الاشخاص المقيمين في أرضها والمجاهرين بآرائهم أو اميالهم الى تركيا ومنحهم عفواً عاماً كاملاً والغاء جميع الاحكام الصادرة من هذا القبيل وتوقيف التعقبات القانونية بحقهم .

المادة السابعة عشر — تصير هذه المعاهدة مرعية الاجراء من تاريخ تبادل الاقرار عليها وتكون الشروط المبينة في الفصل الثاني من هذه المعاهدة مرعية عشر سنوات من تاريخ العمل بموجبها .

وبعد مرور سنتين من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة يحق لكل من المتعاقدين أن يلغي ما يتعلق به من النصوص المبينة في الفصل الثاني ويصبح اعلان ذلك قانونيا بعد انقضاء سنة على اذاعته .

المادة الثامنة عشرة — يقر المتعاقدون على هذه المعاهدة ويتم تبادل النسخ المصادق عليها باقرب ما يمكن في انقرة وتسلم النسخ الحقيقية الى الدول الموقعة معاهدة لوزان

واشعاراً بذلك وقع المفوضون المذكورون اعلاه هذه المعاهدة نظمت منها ثلاث نسخ في انقرة في ٥ يونيو ١٩٢٦

الذيل الثالث

الاتفاق على بترول الموصل

ان الاتفاق الانكليزي الفرنسوي المعقود في سنة ١٩١٦ والمدعو « الاتفاق السري » نشرته صحيفة « البرافدا » عقب انكسار الروس في ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ .

واليك نص الاتفاق الانكليزي الفرنسوي الروسي المعقود في ١٩ فبراير ١٩١٦ :

كان من نتيجة المفاوضات التي دارت في ربيع سنة ١٩١٦ في لندن وبتروغراد ان حكومات بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا المتحالفات اتفقت على تقسيم مناطق النفوذ والاستيلاء على الاراضي في تركيا آسيا في المستقبل وانشاء دولة مستقلة عند حدود بلاد العرب أو تحالف دول عربية .

ويختصر الاتفاق في أهم أقسامه بما يلي :

تأخذ روسيا ولايات ارضروم وطرابزون ووان وبتليس وبلاد كردستان الجنوبية على الخط المار بموش فسعرت فجزيرة ابن عمر فالعمادية حتى حدود ايران أما منتهى الارض التي تطلب روسيا الاستيلاء عليها على شواطىء البحر الاسود فيعين فيما بعد في مكان غربي طرابزون .

وتنال فرنسا سواحل سورية وولاية ادنه وأرضاً يحدها جنوباً خط عين تاب — خربوط وينتهي عند الحدود الروسية وشمالا خط يمتد من علاطاغ الى قيصرية فآق طاغ فيلدز طاغ فزارا فخجين فخربوط

وتصيب بريطانيا العظمى القسم الجنوبي من العراق وبغداد وتأخذ مرفأي حيفا وعكا في سورية .

واتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على أن يتألف من الولايات التي بين الاقاليم الفرنسوية والاقاليم البريطانية تحالف عربي أو دولة عربية مستقلة تعين حدودها .

وتكون الاسكندرونة ميناء حراً

ولاجل ضمان المصالح الدينية للدول المتحالفة في فلسطين والاراضي المقدسة يسلخ هذان الاقليمان عن الدولة التركية ويخضعان لشكل حكومة خاص باتفاق يعقد مع روسيا وفرنسا وبريطانيا .

وتعاهد الدول المتعاقدة على الاعتراف بوجه الاجمال بالاتفاقات والامتيازات التي كانت لكل منها قبل الحرب في البلدان الدائر الاتفاق عليها وتأخذ كل منها قسما من الدين الذي كان على تركيا بالنسبة للارض التي أخذتها .

اتفاق سيكس — بيكو

الاتفاق الفرنسوي البريطاني المعقود في ١٦ مايو ١٩١٦

ان هذا الاتفاق نتيجة تبادل رسائل بين المسيو بول كمبون سفير فرنسا في لندن والسر ادوار غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى . وهذه الرسائل خلاصة مفاوضات دارت قبلا بين المسيو بيكو والسر مارك سيكس ولا يخلو من الفائدة ذكرها هنا :

من المسيو بول كمبون سفير فرنسا في لندن
الى السر ادوار غراي وزير الخارجية
لندن في ١٩ مايو سنة ١٩١٦

عهد الي في أن أعرف دولتكم بان الحكومة الفرنسوية توافق على الحدود المعينة في المصورات التي وقعها السر مارك سيكس والمسيو جورج بيكو والشروط المختلفة التي وضعت في أثناء تلك المفاوضات

فبناء عليه لا نزال متفقين على ما يأتي

١ — ان فرنسا وبريطانيا العظمى تعترفان بدولة عربية مستقلة وتحميانها أو تحالف دول عربية في المنطقة « ا و ب » المبينتين في المصورات المضمومة الى هذه الرسالة ويكون على رأس هذه الدولة أو هذا التحالف زعيم عربي

ويكون لفرنسا في المنطقة « ا » ولبريطانيا العظمى في المنطقة « ب » حقوق الافضليـة في المشروعات والقروض المحليـة ويكون لفرنسا في المنطقة « ا » ولبريطانيا العظمى في المنطقة « ب » الحق من دون سواهما لتقديم المستشارين أو الموظفين الاجانب بطلب الدولة العربية أو تحالف الدول العربية

٢ — يفوض الى فرنسا في المنطقة الزرقاء والى بريطانيا العظمى في المنطقة الحمراء أن تنشئا حكومة تتوليان ادارتها مباشرة أو غير مباشرة أو تزاولان الاشراف عليهـا بحسب ما ترغبان أو ما تريانه ملائماً بعد الاتفاق مع الدولة العربية أو مع تحالف الدول العربية

٣ — تنشأ في المنطقة السمراء حكومة دولية يقرر شكلها . . . بالاتفاق مع الحلفاء الآخرين وممثلي شريف مكة .

٤ — تمنح بريطانيا العظمى : ١ — مرفأي حيفا وعكاء — ٢ — ضمان مقدار محدود من مياه دجلة والفرات في المنطقة (ا) الى المنطقة (ب) وتعاهد حكومة بريطانيا العظمى على الامتناع عن المفاوضة في أي وقت كان مع دولة ثالثة للتنازل لها عن قبرس بغير رضى الحكومة الفرنسوية

٥ — تكون الاسكندرونة ميناء حراً للولايات التابعة للامبراطورية البريطانية ولا يكون فرق في معاملتها من جهة رسوم المرفأ أو منع امتيازات خاصة عن بحرية بريطانيا وبضاعتها ويكون نقل (ترانزيت) البضاعة البريطانية حراً بطريق الاسكندرونة وبسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت هـذه البضاعة مرسلة الى المنطقة الحمراء أو المنطقة «ب» أو المنطقة «ا» أو مجلوبة منها . ولا يكون فرق في المعاملة اما مباشرة واما غير مباشرة من جهة نفقات البضاعة البريطانية في أي سكة حديد كانت بل تكون نفقاتها مماثلة لنفقات البضاعة أو المراكب البريطانية في جميع ثغور المناطق المذكورة

وتـكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبـلاد المشمولة بحمايتها ولا يكون فرق أو تمييز في المعـاملة أو رسوم المرفأ التي تمنع عن بحرية فرنسا أو بضاعتها ويكون نقل (ترانزيت) البضاعة الفرنسوية حرا بطريق حيفا وبسكك الحديد البريطانية في المنطقة السمراء سواء كانت هـذه البضاعة مرسلة الى المنطقة الزرقاء أو الى المنطقة « ا » أو الى المنطقة « ب » أو مجلوبة منها

ولا يكون فرق في المعاملة اما مباشرة واما غير مباشرة من جهة نفقات البضاعة الفرنسوية في أي سكة حديد كانت بل تكون نفقاتها مماثلة لنفقات البضاعة أو المراكب الفرنسوية في جميع ثغور المناطق المذكورة

٦ — لا تمدد سكة حديد بغداد في المنطقة «ا» الى ما بعد الموصل جنوباً وفي المنطقة « ب » الى ما بعد سامرا شمالا قبلما تنتهي سكة الحديد التي تربط بغداد بحلب فوادي الفرات وذلك بتعاون الحكومتين .

٧ — يحق لبريطانيا العظمى أن تنشيء سكة حديد تصل حيفا بالمنطقة «ب» وأن تدير شؤونها وتكون وحدها صاحبتها ويكون لها الحق الدائم بنقل هذه السكة في أي وقت كان الى مكان آخر على طول الخط ويجب أن تعلم الحكومتان أن سكة الحديد هذه يكون من شأنها تسهيل اتصال بغداد بحيفا . ومعلوم أيضاً أنه اذا كانت المصاعب الفنية والنفقات الباهظة التى تقتضيها المحافظة على خط الاتصال هذا في المنطقة السمراء تجعل اخراج هذا المشروع الى حيز العمل غير ممكن كانت الحكومة الفرنسوية مستعدة لان ترى ان هذا الخط قد يجتاز الجهة التي على شكل كثير الزوايا وهي مؤلفة من بارس قيس نخريب فتل درعا فتل حصده فصوير قبل وصوله الى المنطقة « ب »

٨ — تظل الرسوم الجمركية التركية معمولا بها في مدة عشرين سنة في كل من المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين «ا» و«ب» ولا تزاد هذه الرسوم أو يبدل بالرسوم المراعاة فيها قيمة الاشياء رسوماً خاصة بغير موافقة الدولتين . ولا تكون حواجز جمركية بين المناطق المار ذكرها فرسوم الجمرك الموضوعة على البضاعة المرسلة الى الداخلية تدفع في المرفأ الذي تفرغ فيه ثم ترسل الى حكومة المنطقة المشحونة البضاعة اليها .

٩ — تم الاتفاق على عدم مباشرة الحكومة الفرنسوية لادنى مفاوضة في أي وقت كان للتخلي عن حقوقها ولا تتنازل عن الحقوق التي لها في المنطقة الزرقاء لدولة ثالثة ما عدا الدولة العربية أو تحالف الدول العربية بغير موافقة سابقة من حكومة جلالته البريطانية وهذه الحكومة تعاهد الحكومة الفرنسوية على الامور عينها في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

١٠ — تتفق الحكومتان البريطانية والفرنسوية بصفة كونهما محاميتين

للدولة العربية على عدم الاستيلاء على اراض في شبه جزيرة العرب أو بناء قاعدة بحرية في الجزائر التي في الجهة الشرقية من البحر الاحمر وعلى الحؤول دون استيلاء دولة ثالثة على مثل هذه الاراضي أو بناء مثل هذه القاعدة على أن هذا الامر لا يحول دون تصحيح الحدود عند عدن على ما تقتضيه الحال من جراء اعتداء الترك الحديث العهد .

١١ — تظل المفاوضات دائرة مع العرب على حدود الدولة العربية أو تحالف الدول العربية بالطرق السابقة عينها باسم الدولتين .

١٢ — تقرر أيضاً أن تتخذ الدولتان التدابير لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية .

فاذا وافق الملك على هذه الشروط كنت من الشاكرين لدولتك ان أشعرتني بذلك »

جواب السر ادوار غراي الى المسيو بول كمبون

« من السر ادوار غراي وزير الخارجية

الى المسيو بول كمبون سفير الجمهورية الفرنسوية في لندن

وزارة الخارجية في ١٥ مايو ١٩١٦

سأتشرف بمجاوبتك بالاسهاب في مذكرة أخرى على مذكرة دولتك المؤرخة في ٩ الجاري بشأن انشاء دولة عربية ولكنني أكون من الشاكرين لدولتك اذا كنت تؤكد لي بأن جميع الامتيازات البريطانية الحالية وحقوق الملاحة وحقوق الامتيازات في المعاهد الدينية وصروح العلم والمؤسسات الطبية البريطانية تبقى محفوظة في الاقاليم التي تصبح فرنسوية بحتة بحسب الشروط المبينة في مذكرتك أو التي يكون للمصالح الفرنسوية الافضلية فيها . وتؤكد حكومة جلالته البريطانية تأكيداً متبادلا بانها تفعل ذلك في المنطقة البريطانية »

وأرسل المسيو بول كمبون في اليوم عينه جوابا الى السر ادوار غراي يكرر

الكلام عينه الذي جاء في الكتاب المار ذكره ويضيف اليه ما يأتي :

« أتشرف بأن أعرف دولتك بأن الحكومة الفرنسوية توافق على الامتيازات البريطانية التي كانت قبل الحرب في الاقاليم التي ستعطاها وتكون خاضعة لها . أما المعاهد الدينية والعلمية والطبية فانها تظل تزاول أعمالها كما كانت تزاولها في الماضي على أنه لا بد من القول بأن هذا التحفظ لا يشمل حقوق الولاية القضائية وامتيازات الاجانب في هذه الاقاليم »

جواب السر ادوار غراي الى المسيو بول كمبون

« اتشرف بأن أخبر دولتك أن قبول مجموع المشروع على ما هو عليه الآن يرمي الى تخلي بريطانيا عن مصالح خطيرة ولكن حيث أن حكومة جلالته البريطانية ترى الفائدة التي تنجم عن انشاء حالة سياسية حسنة في داخلية تركيا لاجل خدمة مصلحة الحلفاء العامة فهي تقبل التسوية التي وصلوا اليها أعني ضمان التعاون مع العرب واتمام العرب للشروط الموضوعة وحصولهم على مدن حمص وحماة ودمشق وحلب . وقد تقرر والحالة هذه بين الحكومة الفرنسوية والحكومة البريطانية ان . . .

(ويلي ذلك صورة كتاب المسيو بول كمبون بالانكليزية بتاريخ ٩ مايو)

اتفاق سان ريمو في ٢٤ ابريل ١٩٢٠

(الاتفاق الفرنسوي البريطاني على البترول)

قالت جريدة الطان في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠

بني هذا الاتفاق على قاعدة مبدأ التعاون الودي في جميع البلدان التي يمكن التوفيق بين مصالح البترول لدولتين فيها ويتعلق هذا البيان بالبلدان الآتية : رومانيا وآسيا الصغرى والامبراطورية الروسية القديمة وغاليسيا والمستعمرات الفرنسوية ومستعمرات التاج البريطاني ويمكن أن يمتد هذا الاتفاق الى البلدان الاخرى بشرط أن يكون هنالك رضى متبادل

رومانيا — تعضد الحكومتان البريطانية والفرنسوية رعايا كل منهما في جميع المفاوضات المشتركة التي تدور مع الحكومة الرومانية على ما يأتي :

ا — الحصول على امتيازات البترول والاسهم أو غير ذلك من المصالح الخاصة بالافراد أو الشركات التي كان محجوزاً عليها كشركات ستيكارومانا وكنكورديا وفيجا الخ فقد كانت تؤلف في هذه البلاد شركات بترول الدتش بنك والدسكنتو جزلشافت وغير ذلك من المرافق التي يمكن الحصول عليها

ب — امتياز اراضي البترول الجارية على ملك الدولة الرومانية

وتقتسم جميع الاسهم التي كانت لامتيازات الاعداء السابقين والتي يمكن الحصول عليها وعلى غير ذلك من المرافق المتسلسلة عن هذه المفاوضات بنسبة ٥٠ ٪ لمصالح كل من بريطانيا وفرنسا

وتقرر أنه في الجمعيـة أو الجمعيات التي تتألف لادارة واستثمار الاسهم والامتيازات والمرافق الاخرى تصيب كل من البلادين ٥٠ ٪ في كل رأس مال مكتتب به ويكون لها النسبة عينها في الممثلين بمجلس الادارة وعدد الاصوات

أراضي الامبراطورية الروسية القديمة — تعضد الحكومتان رعاياهما في أراضي الامبراطورية الروسية القديمة لبذل الجهد المشترك للحصول على امتيازات البترول وتسهيل تصدير البترول وتسليمه

العراق — تعاهد الحكومة البريطانية على منح الحكومة الفرنسوية أو من تعينهم حصة قدرها ٢٥ في المئة من السعر الجاري في السوق من صافي حاصلات الزيت الخام التي تصيبها حكومة جلالته البريطانية من آبار البترول في العراق حين تستغل هـذه الابار بأسهم تصدرها الحكومة . ولكن اذا استثمرت شركة خاصة آبار البترول في العراق وضعت الحكومة البريطانية تحت تصرف الحكومة الفرنسوية الاشتراك في ٢٥ في المئـة من أسهم هذه الشركة .

ولا يكون السعر الذي تدفعه في هـذا الاشتراك أعلى من السعر الذي يدفعه أي كان من المشتركين في شركة البترول المذكورة . وقد تقرر أن تكون هـذه الشركة تحت المراقبة البريطانيـة الدائمة . وتقرر أيضا أنه اذا تآلفت الشركة المشار اليها قبلت فيها الحكومة المحلية (الوطنية) أو غيرها من

أصحاب المصالح الوطنيين اذا شاؤوا ذلك بحيث تبلغ الاسهم التي يبتاعونها ٢٠ في المئة على الكثير من رأس مال الشركة ويكون للفرنسويين نصف العشرة الاولى في المئة من هذا الاشتراك الوطني ويقدم الاشتراك الاضافي كل مشترك بنسبة ما يملكه

وترضى الحكومة البريطانية بأن تؤيد كل تسوية تستطيع الحكومة الفرنسوية بموجبها أن تحصل من الشركة الانكليزية الايرانية على البترول الذي يرسل اليها في الانابيب من بلاد ايران الى البحر الابيض الرومي وتكون هذه الانابيب مارة في أراض مشمولة بالانتداب الفرنسوي بحيث تسهل فرنسا مدها ويكون لفرنسا مقدار من البترول لا يزيد على ٢٥ في المئة من المرسل بالانابيب بشروط تقرر بين الحكومة الفرنسوية والشركة الانكليزية البريطانية .

وبناء على الاتفاق المار بيانه ترضى الحكومة الفرنسوية اذا راقها ذلك حالما يقدم لها طلب بأن تمد خطين من الانابيب يتميز أحدهما عن الآخر وخطوطا حديدية لازمة لمد الانابيب والمحافظة عليها وأن تنقل بترول العراق وايران في منطقة نفوذها الى مرفأ أو أكثر من مرافىء البحر الابيض الرومي الشرقي تتفق الحكومتان على تعيينه أو تعيينها

وحين تمر الانابيب والخطوط الحديدية في أراضي منطقة النفوذ الفرنسوي تعاهد فرنسا على تمهيد العقبات لمرور البترول المنقول الا أنه يدفع تعويض لصاحب الارض عن المساحة المشغولة فيها . وتقوم فرنسا بجميع وسائل التسهيلات في المرفأ المنتهية عنده الانابيب والخطوط الحديدية لامتلاك الارض اللازمة لبناء المستودعات والخطوط الحديدية ومصانع التكرير ورصيف الشحن الخ . ويكون البترول المرسل بالانابيب معفى من رسوم التصدير والنقل (ترانزيت) وتكون أيضاً المواد اللازمة لمد الانابيب والخطوط الحديدية ومصانع التكرير وغير ذلك من المباني معفاة من رسوم الواردات ورسوم المرور . واذا شاءت شركة البترول المذكورة مد الانابيب والخطوط الحديدية الى الخليج الفارسي بادرت الحكومة البريطانية الى منح التسهيلات المار ذكرها .

أفريقية الشمالية وبعض المستعمرات — تمنح الحكومة الفرنسوية التسهيلات

لكل شركة أو شركات فرنسوية بريطانية حسنة السمعة تقدم الضمان اللازم وفقاً للشرائع الفرنسوية لنيل امتيازات في المستعمرات الفرنسوية والبلاد المشمولة بحمايتها ومناطق نفوذها ومن جملتها الجزائر وتونس والمغرب الاقصى . ومما لابد من التنبيه اليه هو ان البرلمان الفرنسوي قرر بأن تكون نسبة مصالح فرنسا ٦٧ في المئة في كل شركة تتألف

وتسهل الحكومة الفرنسوية منح الامتيازات في الجزائر بحيث يوضع ذلك على بساط البحث حالما يتمم الطالبون مقتضيات الشرائع الفرنسوية .

مستعمرات التاج البريطاني — تمنح الحكومة البريطانية الوطنيين الفرنسويين الذين يريدون التنقيب عن البترول في أراضي التاج البريطاني واستثمارها امتيازات تماثل الامتيازات التي تمنحها فرنسا للرعايا البريطانيين فى المستعمرات الفرنسوية وذلك بقدر ما تمكن منه الانظمة البريطانية الحالية

ولا يشمل هذا الاتفاق الامتيازات المحتمل أن تكون موضوعاً للمفاوضات وتدور على مصالح الافراد سواء كانوا فرنسويين أو بريطانيين .

التوقيع : عن فرنسا : ميلران وبرتلو

عن بريطانيا العظمى : لويد جورج وج كادمان

اتفاق على اقتسام بترول الموصل

بين شركات أوربية وشركات أميركية

جاء في أنباء لندن فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ ان خمس شركات أميركية كبيرة ابتاعت قسما كبيراً من استثمار أراضي البترول في أقليم الموصل فان شركات ستندرد أويل نيوجرسي وستندرد أويل نيويورك والبان أميركان بتروليوم والاتلنتيك ريفينين والجلف أويل كوربوريشن رضيت بعد مفاوضات طويلة بأن تشترك مع الشركات البريطانية والفرنسوية والهولندية تحت ادارة شركة تركيش بتروليوم . وقد خصص حصة في المنافع قدرها ٢٥ في المئة لكل من الشركات الهولندية (رويال دتش شل) والشركات البريطانية (انجلو برشيان) والشركات الفرنسوية والشركات الاميركية الخمس المذكورة أعلاه

وستمد أنابيب طولها ستمئة كيلو متر من الموصل الى البحر الابيض الرومي

مارة بالاراضي السورية وذلك لاجل استثمار البترول . والمظنون ان المصاعب الخطيرة التي طرأت أخيراً بين السرهنري دتردنغ والستندرد أويل النيويوركية والخلاف على قسمة البترول الروسي ستذلل .

وكانت حصص المنافع في شركة تركيش بتروليوم موزعة في مفتتح السنة على الوجه الآتي : ٤٧½ في المئة لشركة الانجلو برشيان و ٢٢½ في المئة لشركة رويال دتش شل و ٢٥ في المئة للشركات الفرنسوية و ٥ في المئة للمسيو غلبنكيان .

الذيل الرابع

نشرت جريدة « الاسبوار » الصادرة في مصر في ٩ نوفمبر ١٩٢٦ ما يأتي :

الجامعة الاسوية

افتتح المؤتمر الاول للجامعة الاسوية في شهر أغسطس الماضي في ناغازاكي وقد شهده سبعة وثلاثون مندوبا يمثلون الصين واليابان والهند والفيلبين وكوريا ولم يكن لهذا المؤتمر الاتساع الذي كان يتمناه منظموه سواء كان من جهة عدد المشتركين فيه أو صفات أعضائه فلم يكن هذا المؤتمر يستطيع أن يدعي بأنه يمثل جميع شعوب آسيا . وعلاوة على ذلك ظهرت فيه من ابتدائه الخصومة والمشادة بين الصينيين واليابانيين ولم تبتدىء جلسة الافتتاح الا الساعة الخامسة بدلا من الساعة الثالثة لان مندوبي الصين كانوا مصرين على أن يدمجوا في البرنامج مسألة المعاهدات المعقودة من جهة واحدة بين الصين واليابان . فلما اقترح المسيو ايمازاتو المندوب الياباني من حزب سيوكاي ورئيس المؤتمر البحث في انشاء جامعة آسوية قال المندوبون الصينيون ان هذه الجامعة لا يمكن انشاؤها مادامت اليابان لا تلغي المعاهدات « الجائرة » المعقودة مع الصين . وقد استطاع مندوب الهند ان يسكن خواطرهم فوضع حينئذ أساس أنظمة الجامعة الاسوية على الوجه الآتي بيانه :

المادة الاولى — أنشئت الجامعة الآسوية لايجاد السلام الدائم المبني على المساواة والعدالة وضمان حرية الانسانية التامة وهناءها بازالة الفوارق بين الطبقات والاجناس والاديان

المادة الثانية — ولكي تدرك الجامعة الغاية المار بيانها يجب عليها أن

تجري ما يأتي : بعث التمدن الآسوي من جهتيه العقلية والمادية واصلاح الاجناس الآسوية الخاضعة الآن لسلطة الاجنبي والغاء المعاهدات المعقودة من جهة واحـدة بين الاجناس الآسوية وذلك حباً باصابة النجاح العقلي والاقتصادي والسياسي وتشجيع المصانع الآسوية على العمل والانتاج

المادة الثالثة — تكون توكيو مركز الجامعة ويكون للجامعة فروع في غيرها من المدن الكبيرة .

المادة الرابعة — يكون للجامعة مجلس مؤلف من ٢٥ عضواً ويقلد أعلى سلطة اجرائية للجامعة

المادة الخامسة — يلتئم مجلس الجامعة مرة واحدة في السنة

المادة السادسة — تعترف الجامعة اعترافاً رسمياً بكل جمعية من نوعها في البلدان الآسوية

المادة السابعة — يستطيع مجلس الجامعة أن يدعو كل شخص عظيم أدى خدماً عظيمة الى القضية الاسوية الى حضور الجمعية العامة

المادة الثامنة — ينتخب أعضاء المجلس لسنة في الجمعية العامة

المادة التاسعة — ينتخب مجلس الجامعة رئيسه لسنة واحدة

وفهم أن مندوب أفغانستان وهو ذو عواطف مناوئة لبريطانيا لم يرخص له في الذهاب الى المؤتمر بحجة أنه أضاع جواز سفره .

وكان الهياج شديداً في جلسة ٢ أغسطس ولم يتمكنوا الا بشق النفس من تسكين خواطر الصينيين الذين أصروا على اعتراف المؤتمر بتقديم مسألة المعاهدات الجائرة على غيرها من المسائل ومع ذلك وافق المؤتمر في ذلك اليوم على أحد عشر اقتراحا أهمها انشاء مصرف مالي آسوي وتشييد مدرسة جامعة آسوية والغاء منع العمال الصينيين عن دخول اليابان وموافقة جمعية الامم على مبدأ مساواة الاجناس وتأليف لجنة صينية يابانية لتسوية الخلافات الطارئة بين البلادين

واتفق مندوبو الصين واليابان في ٣ أغسطس وهو يوم ختام المؤتمر بعد جدال جديد عنيف على الغاء المعاهدات « الجائرة » ويتناول هـذا الاتفاق البلاغ المشهور المتضمن «واحداً وعشرين طلباً» والمرسل الى الصين في سنة ١٩١٥

وعين المسيو ايمازاتو المنتخب رئيساً للجامعة الآسوية مديرين للاعمال وختمت الجامعة أعمالها .

أما مندوب أنام الذي أمسكته السلطة اليابانية فانه رخص له بحضور جلسة الجامعة الاخيرة فخطب فيها خطابا باللغة اليابانية .

هذا بوجه الاجمال مجمل العمل الذي عملته الجامعة في الايام الثلاثة الاولى من شهر أغسطس . فكأنا بنا نرى عبرة في جلسات هذا المؤتمر فعلى الوجه الذي دارت عليه وان لم تكن قد حققت مطامع الذين نظموا المؤتمر تدل على مرامي المفكرين الآسويين وأميالهم الى الاتحاد لمقاومة أوربا وأميركا . وقد قال المسيو ايمازاتو قبل افتتاح المؤتمر بقليل من الحين : « ان المؤتمر يرمي الى البحث في مسائل الثقافة والسياسة والاقتصاد السياسي التي تهم آسيا وذلك بحرية أوسع من الحرية التي يتباحثون فيها في جمعية الامم فغرضنا وحدة آسيا وسلامها بالاتفاق مع السلام في العالم وليس غرضنا اشهار الحرب على العالم طر"اً فنحن بلدان تجهلنا الدول الرسمية ولا ندعي تسيير سياسة بلداننا الى جهة مخالفة للجهة السائرة اليها الآن ولكننا نبتغي التأثير في الرأي العام واصابة نتائج قيمة له . ولا يذهب عني ان بين أعضاء هذا المؤتمر فريقاً يريد ان يلقي أسئلة حادة يطلب بها تحرر الاسويين التام من نير الاجنبي ولكنني مقتنع ان الاسويين بوجه الاجمال مسؤولون عن الحالة التي صاروا اليها وهذا ما ينبغي لنا ان نفهمهم اياه »

ومع ما في هذا الكلام من الاعتدال قالت جريدة « نذير اليابان » الاميركية ان العواطف العدائية للغرب كانت الرابط الوحيد بين أعضاء مؤتمر الجامعة الآسوية وقد أشار المسيو ايمازاتو في كلامه الى الرغبة في البقاء بعيداً عن جمعية الأمم فهي والحق يقال تظهر لشعوب آسيا أنها ليست جمعية أوربية فقط بل اداة لتسلط الاوربيين أولم يقف ممثلو بعض البلدان الآسوية في جنيف ويجاهروا بهذا الأمر ؟

أجل ان مؤتمر ناغازاكي كشف الستار عن بعض مصاعب تحول دون بقاء الجامعة الآسوية ويكون من الخطأ أن نضرب عرض الحائط بهذا الانذار الذي يأتينا من جهات مختلفة فالاستخفاف به سهل ولكن الحنق عليه باطل . فانشاء

الجامعة الآسوية في الأحوال الحاضرة العصيبة له مغزى لاينكره الا من يجهلون الحقائق .

ان موقف آسيا الحالي سيضطر أوربا ولامراء الى تغيير عظيم في علاقاتها بهذه القارة ولم يبق الآن من سؤال نلقيه لنعلم هل يمكننا أن نثابر على أعمالنا الرسمية والخاصة كما كنا نفعل في الماضي . فيهمنا الآن أن نعلم كيف وبأي صورة وبأي وسيلة ننشيء علاقات جديدة بيننا وبين الآسويين . ويشبه قيامنا على الحالة الفكرية السائدة في آسيا قيامنا على عودة الشتاء لزعمنا أن الصيف فصل أجمل منه .

وكيفما كان الأمر فكل شيء يجعلنا نفتكر أن التجربة التي جربوها هذه السنة ستجدد في السنة القادمة والأحوال التي ستتم فيها سيكون لها معنى يستوقف الافكار وان لم تكن أفضل من الأحوال الماضية .

اندره دوبوسك

الذيل الخامس

الحبشة

أرسل السكرتير العام لجمعية الأمم الرسالتين الآتيتين الى جميع الدول المنتظمات في سلك الجمعية المشار اليها :

— ١ —

رسالة الراس تفري الى السراريك درموند

السلام عليك

تشرفت بأن أرسلت اليك في ١٩ حزيران الماضي احتجاج الحكومة الأمبراطورية على الاتفاق المعقود بين الحكومة البريطانية والحكومة الايطالية بتبادل مذكرات مؤرخة في ١٤ و ٢٠ دسمبر سنة ١٩٢٥ تدور على اشتراكهما فى المفاوضات مع الحكومة الامبراطورية بشأن مصالحهما في الحبشة ورجوت منك ايصال ذلك الى الدول الداخلات في جمعية الامم .

وقد تأثرت الحكومة الامبراطورية من معرفتها أن الدولتين العظيمتين

اتفقتا على العمل فى بلاد صديقة وداخلة معهما في جمعية الأمم من دون أن يسبق لهما مفاوضة معها .

وكان في العمل الذي اتفقتا عليه ضغط عليها لاصابة امتيازات اقتصادية تعتبر الحبشة ان من مصلحتها العامة عدم قبولها .

وبناء عليه نرى أن الاتفاق البريطاني الايطالي لاينطبق على نص العهد فان فيه تهديداً مضمراً لسلامة أراضي الحبشة واستقلالها السياسي المرتقي الى أكثر من ألف سنة وقد اتفقتا مع دول جمعية الامم على احترامه وفقا للمادة العاشرة . وعندنا أنهما كان يجب عليهما بمقتضى المادة العشرين من العهد أن تمتنعا عن عقد مثل هذا الاتفاق ولكن حيث لم تكونا تنويان خرق حرمة نصوصه فانه ليس لاتفاقهما أقل قيمة بالنظر الينا وانه يعتبر ملغى .

ولولم يصل الى الحكومة الامبراطورية اشعار رسمي من كل من الدولتين المشار اليهما فى يوم واحد لما اكترثت له قط . ولم تجد في تلك المذكرة المزدوجة الواقع الاتفاق عليها الا مظاهرة أولى للغاية التي تتوخيانها .

ومن ذلك الحين لما رأت الدولتان اعتراض الحكومة الامبراطورية على مذكرتهما بادرتا الى تسكين مخاوفها بتأكيدهما أنهما صديقتان مخلصتان لها . وأبلغتها الحكومة البريطانية صورة عن تصريحات حضرة السر أوستن تشمبرلن للبرلمان البريطاني في هذا الصدد . فقد قال رسمياً ان الدولتين لم يكن يخطر لهما قط أن تقتسما بلاد الحبشة من الوجهة الاقتصادية وان اتفاقهما لايقيد الحكومة الحبشية بشيء من الاشياء وانهما لم تقصدا أن تستخدماه للضغط على الحكومة الحبشية . وقال أيضاً ان لحكومة الحبشة ملء الحق بأن تتصرف في مصالح بلادها

وأرسلت الينا الحكومة الايطالية تصريحات بهذا المعنى عينه . وأعلنت الحكومة البريطانية ان الدولتين تبتغيان أن تقدما الى سكرتيرية جمعية الامم المذكرتين المار ذكرهما وقد علمت الحكومة الامبراطورية أن هاتين المذكرتين قد سجلتا في جمعية الامم .

وحيث كانت الحكومة الامبراطورية تعلم أن التسجيل المنصوص عنه في المادة الثامنة عشرة من العهد ليس له سوى صورة بسيطة في المعاملات فلا تشكو من التقصير في اتمام هذه المعاملات ولكنها مراعاة لتعهدها بموجب

نصوص العهد أي « أن تكون العلاقات الدولية المبنية على العدالة والشرف واضحة كالشمس في رائعة النهار . » ترى من واجباتها وحقوقها أن تطلب منكم أن تضموا هذه الرسالة الى المذكرتين اللتين سجلتموهما بحيث لايجهل أحد مايشعر به الآخر نحوه ولاحقيقة التصريحات المسكنة للخواطر والمعتبرة جوابا على اعتراضنا .

وعلى هذا النمط لايبقى عندأعضاء جمعية الامم شك في أننا لم نعاهد الدولتين صاحبتي الشأن على شيء وان الحكومة الامبراطورية اعترضت عند وصول تصريحات الحكومتين البريطانية والايطالية اليها بأن لها ملء الحرية بتقدير الطلبات التي تقدم اليها وبأن لها الحق دون سواها في التصرف بمقدرات بلادها

كتب في اديس ابابا في ٣٠ نحاسية سنة ١٩١٨ (٤ سبتمبر ١٩٢٦)

تفري ما كونان

ولي العهد ووكيل امبراطورية الحبشة

— ٢ —

جواب السكرتير العام الى سموه الامبراطوري والملكي

مولاي

لقد شئتم سموكم الامبراطوري والملكي أن تعرفوني بكتابكم المؤرخ في ٣٠ نحاسية ١٩١٨ (٤ سبتمبر ١٩٢٦) والمرفق بترجمته الفرنسوية أنكم ترغبون بأن يضم هذا الكتاب الى المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والايطالية في ١٤ و ٢٠ دسمبر ١٩٢٥ والمسجلة وأن ينشر معها .

واني سأجري وفقاً لرغبة سموكم فأوزعه على أعضاء جمعية الامم وأنشره في الجريدة الرسمية .

أما ما يتعلق بالتسجيل فان سموكم تأذنون لي بأن أبدي لكم ملاحظة وهي أن كتابكم يعبر عن بيان صادر عن جهة واحدة وليس له صفة ميثاق أو عهد دولي على ما هو منصوص عنه في المادة الثامنة عشرة من عهد جمعية الامم . وفضلا عن ذلك ليس عندي سابقة في الخطة التي سرنا عليها حتى الآن تمكنني

من تسجيل كتابكم مع مجموعة المعاهدات ونشره . على انني سأشير الى ذلك في مجموعة المعاهـدات حينما تطبـع المذكرات المتبادلة بين الحـكومتين البريطانية والايطالية .

وعلاوة على ذلك سيبلغ كتابكم الى الحكومتين البريطانية والايطالية المتعلق بهما هذا الامر رأساً . وأظن أن هـذا العمل سينطبق على رغبة سموكم التي أظهرتموها في كتابكم المؤرخ في ٣٠ نحاسية ١٩١٨ (٤ سبتمبر ١٩٢٦)

فتـكرم يا صاحب السمو بقبول فائق احترامي

جنيف في ١٨ اكتوبر ١٩٢٦ أريك درموند

السكرتير العام لجمعية الامم

الذيل السادس

المعاهدة المعقودة بين ايطاليا واليمن

في ٢ سبتمبر ١٩٢٦ وقع الامام محمود يحيى حميد الدين ملك اليمن والسنيور غسبريني حاكم الاريتره المعاهدة الآتي نصها :

١ — تعترف ايطاليا باستقلال اليمن التام المطلق وبمليكها

٢ — تعاهد الحـكومتان على تسهيل تجارة البلادين

٣ — ترغب حكومة اليمن في جلب حاجاتها من ايطاليا والاعتماد على مساعدة الفنيين الايطاليين لتوسيع نطاق اقتصاديات اليمن وتفعل الحـكومة الايطالية ما في وسعها للانتهاء الى هذه الغاية

٤ — تنبذ الحـكومتان الحاصلات الممنوع دخولها الى بلاديهما وتضبطانها

٥ — تظل هذه المعاهدة معمولا بها ست سنوات

الذيل السابع

في شبه جزيرة العرب

معلوم أن ايطاليا المقيمة في الاريتره تسعى من مدة طويلة لتولي العلاقات مع حكومات الاقاليم الجنوبية من شبه جزيرة العرب ، وتعتبر المعاهدة الأخيرة التي عقدتها مع اليمن نتيجة أولى لمساعيها وذات قيمة عظيمة وهي في عرف الايطاليين انتصار باهر لهم

واليك ما نشرته جريدة « التريبونا » في هذا الصدد بتاريخ ٦ اكتوبر الجاري :

« جلاء الغامض عن المعاهدة المعقودة بين ايطاليا واليمن

« لم يكد الاتفاق المعقود بين ايطاليا واليمن يعرف حتى أصبح له صدى شديد في العالم العربي الاسلامي في البلدان المنبسطة على شواطىء البحر الابيض الرومي وفي البلدان الشرقية البعيدة وندرك معنى خطورة هذا الحادث حين نفتكر بأن هذه هي المرة الاولى التي فيها تباشر دولة اسلامية مستقلة في شبه جزيرة العرب ذات حول وطول علاقات رسمية سياسية واقتصادية بدولة أوربية مستقلة من عهد بعيد ومأهولة بالمسلمين في بعض أنحائها . وهنالك أيضاً معنى آخر وهو أنه اذا كان للحجاز أو لعسير مصلحة من وراء هذه المعاهدة لرغبتهما في توسيع نطاق صلاتهما في بلدان المغرب من الوجهتين السياسية والتجارية فان لجميع البلدان العربية المستقلة مصلحة خاصة من وراء ذلك

وهي ترى في معاهدة صنعاء برهاناً ناصعاً عن امكان كل دولة نالت استقلالا ذاتياً وبلغت درجة عالية من التمدن الاقتصادي أن تتولى العلاقات الحرة بالبلدان الاوربية التي لها مصالح في بلاد الشرق من دون أن تفقد شيئاً من حريتها واستقلالها .

وهذا أمر جوهري

أما العلامة الفارقة البارزة في المفاوضات بين ايطاليا واليمن والمعاهدة المعقودة بينهما فهي انتفاء تلك الامور المبهمة المقدرة التي من شأنها أن تكدر صفاء العلاقات بين البلدان الشرقية والبلدان الغربية . فنحن ليس لنا نحو اليمن

أقل فكر غير مبين في المعاهدة التي نشرت من عهد قريب . وهذا هو السبب الذي من أجله قرأنا بدهش في صحيفة عربية كلاماً يثير الشك من رقدته . فثمت من يفتكر بأن ايطاليا أبرمت أسباب العلاقات باليمن وعملت على توسيع دائرة سياسة قد لا تكون سلمية . فاذا كان هذا الشك قد نشأ في أوربا أو في الشرق استطعنا ان نجاهر بأنه لا أساس له فان السياسة الايطالية في شبه جزيرة العرب اذا لم يكن الغرض منها توطيد أركان الشؤون السياسية والاقتصادية في بلاد ايطاليا تعارض الغاية التي رمينا اليها في عقد المعاهدة ويجب أن نحصر الموضوع ونقول أن الداعي الى ذلك هو مزاولة العلاقات الاقتصادية بين الاريتره واليمن أو بين اليمن وايطاليا اذا كان ذلك ميسورا .

وان نحن توهمنا أن ادراك هذا الامر هين اذا عادت القلاقل الى شبه جزيرة العرب على مثل ما كانت عليه بعد الحرب الكونية الاوربية في خلال ست سنوات أي في حالة حرب وجلاء عدد كبير من المسلمين عن بلادهم كنا كمن يطلب المستحيل ولكن اذا انتشرت ألوية السلام في شبه الجزيرة اتسع نطاق العلاقات الاقتصادية على ما نشتهي . وحيث تكون نيران الحرب مشبوبة لا تكون تجارة رائجة وذلك إما لان الاموال تصرف في وجوه أخرى ، وإما لأن المناوشات تشلّ الحركة التجارية . فليكن والحالة هذه معلوماً أنه اذا عاد الاضطراب الى شبه الجزيرة عدّ منبعه الفتن الداخلية المحلية من دون أن يكون لسياستنا شأن فيه وبالتالي يكون ذلك معا كساً لهذه السياسة ومعارضاً لمصالحنا

فياليت شبه جزيرة العرب تظفر بمساعدة السياسة الغربية بهناء المعيشة التام وبانشاء علاقات سلمية واقتصادية وسياسية يرتبط بها السلاطين والبلدان الذين أصابوا استقلالهم ووحدتهم بما بذلوه من التضحيات كالحجاز وعسير واليمن . ونعتقد أن الاحوال الحاضرة لا تمكن فقط من صيانة حياض السلم من التكدير بل تساعد على انشاء علاقات اقتصادية وسياسية ترضي الجميع . وجليّ أن الاريتره لا يسعها الا مساعدة شبه جزيرة العرب على توسيع دائرة حياتها الاقتصادية فان ثغر مصوع يطمح ببصره الى الشاطىء المناوح له مؤملا أن يلقى فيه حياة جديدة بعد ما حرم حياته الاولى بانتزاع كسلا منه وبانشاء سكة حديد جيبوتي — اديس ابابا ، فالاريتره تبحث عن مصارف اقتصادية

وقد تحدت حكومة رومية سياستها على هذا المنهاج فانتهت الى عقد معاهدة صنعاء ويؤمل أن تفضي الى مرافق أخرى كثيرة

وعلقت جريدة المقطم الصادرة في القاهرة شرحاً على هذه المعاهدة قائلة انها تأمل أن الامام يحيى يفكر في صيانة مصالح اليمن بعقد مثل هذه المعاهدة مع الدول الاخرى وهو يرى أن السياسة التي تستند الى دولة أوربية واحدة وتختصها بالمنافع تكون غير مؤاتية لمصلحة اليمن .

وقد عدت جريدة « الاونيوني » الصادرة في ١٣ الجاري مخاوف المقطم مبالغاً فيها وغير مبنية على أساس وطيد فانه منصوص فى المادة الرابعة من المعاهدة أن للبلادين المتعاقدتين الحرية المتبادلة في مزاولة التجارة وشراء الحاجات وبيعها » .

الذيل الثامن

دستور الحجاز

نشرت « أم القرى » جريدة الحجاز الرسمية الانظمة الاساسية التي أصدرها ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز بن سعود في ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ هجرية (٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٦) واليك خلاصتها :

القسم الاول ـ ان مملكة الحجاز بحدودها المعروفة هي واحدة وغير قابلة للتجزؤ وهي مملكة دستورية اسلامية لها استقلالها الداخلي والخارجي وعاصمتها مكة ولغتها الرسمية العربية .

القسم الثاني ـ تلقى مقاليد ادارة المملكة الى جلالة عبد العزيز الاول نجل عبد الرحمن آل فيصل آل سعود . ويجب عليه ان يحترم الشريعة الاسلامية بمزاولة أوامر ونواهي كتابه تعالى (القرآن) والسنة وعادات الصحابة والسلف الصالح .

ويعين جلالة الملك نائبه العام والمديرين ورؤساء الخطط في الدولة ويكون موظفو المصالح المختلفة مسؤولين تجاه النائب العام ويكون الملك مرجعه

القسم الثالث — وتشتمل خطط الدولة على ستة أقسام وهي الاديان

والداخلية والشؤون الخارجية والمالية والمعارف والجيش .

ويدخل في قسم الداخلية الأمن العام والبريد والبرق والصحة والبلديات والاشغال العامة والتجارة والزراعة والصنائع والمعادن وجميع المؤسسات الخاصة ويكون النائب العام مرجع هذا القسم

وانشئت ادارة الحج برئاسة النائب العام وهي تتناول مديري الخطط يعاونهم أشخاص اكفاء يعينهم الملك فيما بعد ولهذه الادارة سلطة تامة للاهتمام بجميع الشؤون المتعلقة بالحجاج والحج ويضع النائب العام قراراتها موضع الاجراء بعد موافقة الملك عليها

ويحتوي قسم الشؤون الخارجية على اربع ادارات : سياسية وادارية وقنصلية وقضائية ويكون الملك مرجعه رأسا الا ان الادارتين الادارية والقنصلية تتلقيان التعليمات من النائب العام

ويتألف قسم المالية من اربع ادارات : المالية والودائع ودخل الحكومة ورسوم الجمارك وتكون جميعها مرتبطة بالنائب العام

ولا يكون في قسم المعارف الا ادارة واحدة يكون مرجعها النائب العام وسيوضع فيما بعد برنامج التعليم ويوضع موضع الاجراء ويكون التعليم الاولي مجانيا في جميع المملكة .

القسم الرابع — ينشأ في العاصمة مجلس كبير (مجلس الشورى) يتألف من النائب العام ومستشاريه ومن ستة ذوات اكفاء يعينهم الملك ومن خصائص هذا المجلس ان يجتمع مرة في كل أسبوع واكثر من مرة اذا اقتضى الامر ذلك برئاسة النائب العام أو احد مستشاريه ويصدر قرارته باكثرية الاصوات ويمكن ان يحضر مديرو الخطط مباحثاته حين يكون البحث دائرا على مصالح خططهم . وتصبح قراراته مرعية الاجراء بعد موافقة الملك عليها

ويكون في كل من جده والمدينة مجلس ادارة يتألف من القائمقام ومعاونه ومديري المصالح المحلية واربعة من الذوات المحليين يعينهم الملك وتكون له الوظائف نفسها التي للمجلس الكبير ويعين اعضاء المجالس لسنة واحدة

ويكون لكل ناحية وكل قرية وكل قبيلة مجلس يعنى بالشؤون المحلية ويتألف من الموظفين والذوات المعينين

القسم الخامس — ويتألف تفتيش المالية العام من رئيس وثلاثة أعضاء يعينهم الملك ويكون مرجعهم النائب العام وتكون لهم السيطرة على مالية الدولة ولا يعمل شيء من دون ترخيص منهم ما عدا القرارات الملكية

الذيل التاسع

المسألة السورية

عن جريدة الطان الصادرة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٦

« ذكرنا قبلا ان لجنة « فرنسا — أميركا » ومجمع العلوم الاستعمارية نظما سلسلة اجتماعات لدرس ما يتعلق « بسلطنة فرنسا الاستعمارية » وقد تكرمت لجنة فرنسا — أميركا علينا بنص المحاضرة التي خصصها الجنرال ويغان للمسألة السورية وها نحن نذكر خلاصتها :

تعالج المسألة السورية من أوجه مختلفة

ويمكننا أن نتساءل عما اذا كانت فرنسا في سنة ١٩١٩ — بدلا من أن تقبل فى سورية موقفاً يجر عليها مسؤولية بقدر ما يضطرها الى الخسارة — لم تخطىء بعدم اكتفائها بالمحافظة على نفوذها وسؤددها وتوسيع دائرتهما فهي مدينة بهما لمرسليها وعلمائها وانتشار لغتها وثقافتها فذلك لا يكلفها سوى بضع ملايين من الفرنكات .

ويمكننا أن نتساءل أيضاً عما اذا لم تكن طريقة الحكم المباشر أو الحماية في قسم من سورية كان يطلب ذلك منا أفضل من الانتداب فانه شكل جديد دقيق العمل به .

ويمكننا أن نتساءل أيضاً عما اذا كانت فرنسا بازاء المصاعب المتصدية لها والخسارة الكبيرة التي تكبدتها من الرجال والاموال تنزل على رغبة فريق يقترح عليها ترك سورية فتنقض ما أبرمته من العهود وتفتح في هذه البلاد أبواب الفتن وتكون سبباً لمذابح المسيحيين وتزعزع موقفها في الشرق وتهجر البحر الابيض الرومي الشرقي .

ان هذه الاسئلة تقتضي أبحاثاً دقيقة مطولة فان أكثرها قد حل :

المسألة الاولى — حيث نحن في سورية

المسألة الثانية — حيث نزاول السلطة فيها بقوة الانتداب

المسألة الثالثة — أجاب عنها رئيس الوزارة من على منبر مجلس النواب في ٢٩ مارس المنقضي بقوله :

« أما جلاؤنا عن المغرب الاقصى وبلاد الشام فانه جريمة بليدة فهو يجر الى دفع هذين الاقليمين الى مخالب الفتن والحرق والقتل والشقاء ولكن الحكومة الفرنسوية لا تفعل مثل هذا الامر » .

وتدل قرائن الاحوال الآن على ان المسألة السورية الوحيدة التي يحسن أن يدور البحث عليها هي التي يجب على فرنسا أن تحلها أي تطبيق الانتداب تطبيقاً مقروناً بالصدق .

ومعلوم أن حقوق وواجبات المنتدب معينة في نص وافق عليه مجلس جمعية الامم ورضيت به الحكومة الفرنسوية وجميع ذلك مدوّن في وثيقة سنعود اليها في سياقة الكلام .

ولا يخفى أن الانتداب الفرنسوي يزاول في سورية في أراض تبلغ مساحتها ١٥٠ الف كيلو متر مربع وهي مأهولة بمليونين ونصف مليون من أهل الحضر وثلاث مئة الف الى أربع مئة الف من الرحل ونحو ١٠٠ الف من المسيحيين اللاجئين اليها من تركيا ويتألف هؤلاء السكان — ما عدا العرب المتحدرين من أصل عربي محض — من مزيج من الاجناس يميز الدين الواحد منها عن الآخر .

وفي سورية نحو عشرين طائفة دينيـة تنتمي الى ثلاث ديانات : الاسلامية والمسيحية والموسوية وقد ذكرناها بحسب أهمية عدد المنتمين اليها . والمسلمون في الداخلية يؤلفون الاكثرية أما المسيحيون فانهم أقلية في المدن الكبيرة . وفي الساحل ولبنان يتساوى عـدد المسيحيين وعدد المسلمين ولكن المسيحيين يتفوقون في الثقافة . وفي بلاد العلويين ينتمي ثلاثة أرباع السكان على التقريب الى شيعة منشقة عن الاسلام وهي شيعة النصيرية فهي لا تميل الى السنيين .

وثمت ما عدا ذلك اختلافات شديدة تعبث بالسكان وتميزهم فرقاً متفاوتة فى قبول شكل السياسة الحديثة المنطبقة على الافكار التي انتشرت بسرعة في المعمورة

بعد الحرب من غير ما تمييز للصقع المنبثة فيه أما لبنان فانه بموقعه على شاطىء البحر تمرس بالتمدن الغربي ولا سيما التمدن اللاتيني وبالاخص لعلاقته بالتقاليد والاخلاق والروح الفرنسوية وهو باختلاط أبنائه المهاجرين بالامم المختلفة ومشاركته اياها في حياتها يمهد السبيل للدولة المنتدبة للعمل بين ظهرانيه . وأما سورية فانها باعتزالها وراء جبل لبنان الشرقي وبلاد النصيرية تعتبر دمشق مدينتها المقدسة ومحور الحركة الفكرية فيها ولم تصطبغ الطبقة الراقية فيها بصبغة التحول الكافي ولم يتلق مجموعها حظاً كبيراً من العلم ولذلك لم تكن الاسباب التي تبعث على الرقي متوفرة لديها .

وحيث كان العلويون والدروز أبسط معيشة وأشد صريمة كانت المعاونة التي يحتاجون اليها من نوع آخر .

أما وقد بسطنا هذه الملاحظات فاننا نعتقد انها كافية لتدل على مقدار دقة المهمة الموكولة الى فرنسا فالنهوض باعبائها يقتضي حنكة ودقة وروية .

وبعد عرض المسألة على الوجه المار بيانه تقتضي علينا الحال بأن نعالجها على التوالي من جميع وجوهها السياسية والمالية والاقتصادية والعسكرية .

ان السياسة تدعو الى الوقوف عندها فالمسائل المختلفة المؤلفة منها مقدماتها لم تحل حتى الآن حلاً نهائياً وهذه هي الجهة الموجهة اليها بلهجة شديدة مطالب الاحزاب والافراد الذين يقيم الفريق الاكبر منهم في خارج الديار الشامية وحيث لم يكن لهم اختصاص لمعالجة هذه القضية معالجة رسمية رأوا أن يلجأوا الى جمعية الامم في كل فرصة سانحة وتدور رحى أعمالهم على قطب النظام الاساسي (الدستور) المقضي على الدولة المنتدبة بأن تسنه طبقاً للمادة الاولى من صك الانتداب .

ويجب أن يبحث في هذا النظام من وجهين : تقسيم البلاد بين الدول وشكل الحكم الذي يكون له تأثير في حياتها السياسية . فالدول المؤلفة منها البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي هي لبنان الكبير وسورية وبلاد العلويين وجبل الدروز . ولو سمح الوقت لكان من المهم بيان سبب هذا التقسيم والوجه الملائم لمطابقته لصك الانتداب مما دعا الدولة المنتدبة الى مساعدة الدول على مزاولة الاستقلال الاداري من وجوه معينة ولنكتف بالقول ان لهذا التقسيم معارضين

يطلب فريق منهم الوحدة السورية المطلقة وهذا يضع تحت رحمة أكثرية غير متصفة بروح الهوادة أقلية من السكان كالمسيحيين والعلويين ما عدا الطوائف الاخرى التي يجب علينا أن نحميها ويحصر الباقون همهم في تفكيك أوصال لبنان الكبير على ما أنشىء في سنة ١٩٢٠ حين ضم الجنرال غورو الى الجبل المتألف منه لبنان القديم سهل البقاع ليوجد له الخبز والسواحل ليوجد له منافذ بحرية وقد كان الاولى أن يقفل باب هذه القضية فان ما يتعلق بدولة سورية يدل على ان ارتباط أجزائها بعضها ببعض على ما هي عليه الآن مبني على رغائب المجالس التمثيلية المنتخبة انتخاباً قانونياً في سنة ١٩٢٣ . فيجب العدول عن بقاء الامور جارية جرياً موقتاً . وفضلا عن ذلك كيفما كان التعديل المتخذ فانه لايرضي جميع الناس من جراء اختلاط الطوائف بعضها ببعض .

والآن أعود الى الكلام عن المنهاج السياسي الذي يسيرون عليه في تلك الدول المختلفة فالحال تقتضي اطالة الروية في أمر تطبيق الانتداب فهل يحق للدولة المنتدبة أن تنشىء في البلاد المعهود اليها في تهيئتها الى تولي الحكم بنفسها بالاستقلال شكل الحكومة الذي تراه أفضل من غيره لادراك هذه الغاية أو ان لسكان هذه البلدان دون سواهم الحق بتقرير شكل حكومتهم . ويتراءى لي أن طرح هذا السؤال هو حله أيضاً أو ليس من الواضح انه لوكانوا يرون هذه البلدان قادرة على تنظيم المراحل المقضي عليها اجتيازها في الطريق الطويل الذي أمامها لما وضعوها تحت الوصاية المسماة انتداباً . أو ليس من المحقق أيضاً أن جعلها تعيش حياة سياسية خاصة يبعثها على الاشتراك في سن الدستور عينه الذي تسير بموجبه بالتعاون المعتبر جوهراً لروح الانتداب فالنصوص تدل على الحقائق الثابتة وقد جاء في المادة الاولى من صك الانتداب « ان الدولة المنتدبة تضع نظاماً أساسياً بالاتفاق مع السلطات المحلية وتؤخذ في وضعه بعين الاعتبار حقوق ومصالح وأماني كل الشعوب النازلة في البلاد المشمولة بالانتداب » على انه لو تمعنا في ما ينبغي أن يشتمل عليه النظام الاساسي لتبينت وجوه القضية بجلاء .

ويجب أن يحدد النظام الاساسي شكل الحكومة الملائم لكل دولة من تلك الدول وتنظيم العلاقات بين الدول واختصاص ممثل البلاد المنتدبة اي المفوض

السامي . والآن فلنبحث بحثاً معجلاً في هذه المسائل الثلاث :

١ — حين يوضع النص الذي يعين شكل الحكومة الملائم في كل دولة من تلك الدول يحق لسكانها أن يتدخلوا لبسط أمانيهم والدفاع عن حقوقهم عند مسيس الحاجة ولكن هل تقرر هذه الامور الخطيرة جمعيات تأسيسية تعمل من دون أن يكون لها جهة مقررة تسير اليها . اني لا أظن ذلك . فالوصي يقصر في القيام بأول واجب من واجباته ان هو تركهم وشأنهم يضعون أول نظام أساسي سياسي ففي مثل هذه الجمعيات قد يقررون أموراً خطيرة بتأثير نفوذ بعض زعماء متطرفين يجرون البلاد الى وهدة الفوضى . ولا تستطيع الشعوب الانتقال من حكومة الاستبداد الى الحرية التامة من دون أن تمهد لذلك تمهيداً مقروناً بالتعقل .

وعليه نرى ان الدول نفسها تصل الى هذه الغاية بمعاونة الدولة المنتدبة التي تمدها بمشوراتها ويكون لثقتها بممثل الدولة المنتدبة تأثير شديد .

٢ — واذا اقتضت الحال تسوية علاقات الدول بعضها مع بعض ولا سيما تعيين الحدود الفاصلة بينها وتقرير مسائل الجمارك والبريد والنقود وجميع الشؤون الاقتصادية المشتركة المصلحة بينها لم تلق لها هذه الدول بدّاً من التدخل لصيانة مصالحها ولكن لا مندوحة أيضاً في مثل هذه الحال عن أن يكون ثمت سلطة عليا تتدخل كحكم فى فصل الخلافات بينها .

وبناء عليه نرى ان اشتراك الدول في وضع هذا القسم من الدستور تقل أهميته عن أهمية اشتراك الدولة المنتدبة فيه .

٣ — أما ما يتعلق بوظيفة المفوض السامي فيجب أن يمنح سلطة خطيرة في هذه البلاد التي لا تحترم الا السلطة وتتجاوز عن كل شيء الا عن الضعف ويجب أن يكون للمفوض السامي سلطة وسيطرة على القوات الوطنية طبقاً لنص المادة الثانية من صك الانتداب وأن يكون له حق الاحتفاظ للحؤول دون اجراء القرارات المالية والقضائية المعارضة لمصالح البلاد والانتداب ولكن لا تكفيه هذه السلطة السلبية فلا بد من توسيع اختصاصه باصدار أوامره لاتخاذ تدابير لا غنى عنها لحياة البلاد وذلك حين يرى تقصيراً أو سوء نية من السلطات الوطنية وأن يعنى بالمحافظة على الامن والسكينة عند اضطراب حبلهما

ومعلوم ان وضع هذا القسم من الدستور من خصائص الدولة المنتدبة وحدها ويستنتج مما تقدم بيانه انه يستطاع تحديد الجهات العائدة الى البـلاد المشمولة بالانتداب والى الدولة المنتدبة وبيانها في النظام الاساسي وهذا خير حل لهذه العقدة فالنظام الاساسي يتضمن والحالة هذه دستوراً لكل دولة تقرره هي بنفسها ومؤتمراً تعقده الدول المفوض اليها النظر في المسائل المشتركة مصلحتها بينهامع حق الرجوع الى تحكيم المفوض السامي اذا قضت الحال بذلك ووثيقة (بروتوكول) تعين سلطة المفوض السامي في الامور الآنفة الذكر .

ولا يخفى ان الحالة المالية في الدول السورية آخذة بالتحسن المطرد بفضل حسن ادارة مستشارينا الماليين وهذا خير دعامة لعملنا السياسي .

أما الحالة الاقتصادية فانها تتحسن تحسناً مستمراً والشاهد على ذلك التقدم الظاهر الذي أصابته وميل الميزانية التجارية الى التوازن بعد ذلك العجز الفاضح الذي طرأ عليها في بدء الامر الا أن هـذا التحسن فاتحة عهد جديد لا يحسن أن يكتفى به فالموقف يقتضي الاستزادة . . وذلك ميسور فالتجارة والزراعة قادرتان على تغيير وجوه الحالة الاقتصادية في أجل قريب . وتستطيع سورية أن تحصل على موارد كافية — ما عـدا الخيرات التي يجنيها سكانها — تسـد مسد حاجاتها ويدخل في ذلك حاجتها الى الدفاع عن ذمارها والتعويض لفرنسا عن التضحيات الكبيرة التي ضحت بها وذلك بدفع ما تنص عنه المادة الخامسة عشرة من صك الانتداب أي دفع قسم مما أنفقته في تلك البلاد وتسهيل علاقات الاعمال بين البلادين . الا ان وضع هذا البرنامج السياسي والاقتصادي موضع الاجراء يقتضي انتشار الامن والسكينة في البلاد وهـذا يدعوني الى الكلام عن المسألة العسكرية فهي مسـألة يتعلق بها الامن الداخلي فالقوات المعدة للمحافظة على النظام في البلاد المشمولة بالانتداب تتألف من الجيوش الفرنسوية والجيوش المساعدة السورية وفصائل البوليس والجندرمة .

أما الآن فالجيوش الفرنسوية هي المعوّل عليهـا لان الجيوش السورية المساعدة والجندرمة لم تتألف على شكل ثابت بقطع النظر عن بعض فصائل تعد من باب الشواذ ولا يؤمن جانبها مخافة أن يكون بينها وبين الثائرين تواطؤ . ولكن يجب أن تراعى النسبة في مجموع هذه القوات بحيث تقوم بالعهود المقررة

ولا بد من أن يوضع لها برنامج يزاد بموجبه عدد الجنود السوريين والجندرمة ليتيسر حينئذ تقليل عدد الجنود الفرنسويين بالنسبة الى عدد الجنود الوطنيين ففي هذا الامر مصلحة مزدوجة وهي تخفيض ما تبذله فرنسا من الرجال والمال واسقاط النظر عن الدولة المنتدبة بتيقنها ان عملها يدوم بعد انقضاء مهمتها .

ثم ان نفقات القوات السورية والجندرمة البالغ عددها نحو خمسة آلاف تدفعها الدولة السورية أما الفرقة السورية التي يبلغ ما ينفق عليها أربعين مليوناً في السنة فان القسم الاكبر من نفقاتها لا تزال فرنسا تدفعه وقد دفعت الدول السورية ثلاثة ملايين من هذه النفقات كل سنة من السنوات ١٩٢٢ و ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ورفعت هذا المبلغ الى سبعة ملايين ونصف مليون في سنة ١٩٢٥ والى عشرة ملايين في سنة ١٩٢٦ ومن المأمول ان حالتها المالية ستمكنها في وقت قريب من دفع جميع نفقات القوات السورية .

وها نحن نختم موضوعنا هذا ببسط نظرية أخرى نجلو بها الغامض وهي انه لا يمكن ادراك الغرض من العمل العسكري لنشر ألوية الامن الا بتطبيقه على العمل السياسي فان النجاح العسكري المؤيد اذا لم تدعمه سياسة ولو ضعيفة لا تكون له نتيجة ثابتة . فقد قلت وأكرر القول الآن ان الانسان اذا كان في تلك البلاد شديد الصريمة اعتبر عالي الهمة كريم الخلق فيتجنب كل ما يجره الضعف معه من الفوضى ثم ما تدعو اليه الحال من الالتجاء الى العنف .

وأقول في الختام ان المسألة السورية مسألة دقيقة بالنظر الى روح الانتداب واختلاف عناصر السكان المشمولين به ولكن يمكن الوصول الى حلها واعتبر ان قسما منها قد حل فياليت هذه اللمحة الوجيزة تجعل الناس يشعرون بذلك .

ان الحالة الحاضرة تقتضي :

انتقاء موظفين محنكين تطول مدة اقامتهم في البلاد ويكونون ذوي مكانة عالية يبرهنون في مزاولة مهمتهم عن حرية فكر ومكارم أخلاق وجودة قلب ورباطة جأش .

وتجنب السياسة المجردة والخصومات الدينية ومزاولة الشؤون الادارية أعني التنظيم والعدالة وضبط المالية وتقرير الامن .

وتشييد عمل اقتصادي كبير على هذه القاعدة التي لا مندوحة عنها ويكون

من وراء اليسر الذي يجلبه هذا العمل اتفاق وثيق العرى بين الفريقين وينشيء عند انقضاء عهد الانتداب صلات مادية تتمم الصلات الادبية المرتبطة بها فرنسا بلبنان وسورية من قرون وتحافظ بين هذه البلدان على علاقات يكون للعواطف والمصلحة فيها شأن كبير مفيد طويل الاجل .

الجنرال ويغان

الذيل العاشر

احتجاج علماء وكبراء المسلمين في بيروت

الى مندوب المفوض السامي بشأن اختصاص المحاكم الشرعية

يعرض لكم مسلمو مدينة بيروت ما يلي :

قرأنا في الجرائد المحلية القرار الذي يلغي القسم الاكبر من اختصاص المحاكم الشرعية مع ان هذا الاختصاص اساسي لهذه المحاكم ومبني على القواعد الدينية فهو يحصره في مسائل الزواج والطلاق ونفقة الزوجين . وهذا القرار يغاير فروض ديننا الاسلامي ويمس شؤوننا الدينية الملقاة مقاليدها الى قضاتنا الشرعيين . ولا يجيز ديننا تدخل الاجانب في شؤونه التي ليس لها مرجع الا ممثلي الشريعة الاسلامية فاليهم دون سواهم يرجع الفصل في هذه الشؤون طبقاً لمبادىء القرآن الذي هو دستورنا المقدس . وبناء عليه نرجو منك توقيف تنفيذ هذا القرار وتعديله على وجه يضمن المصلحة العامة وحقوقنا الدينية واعتبار عريضتنا هذه احتجاجاً على هذا القرار الخ

احتجاج البطريركية المارونية على اصلاح المحاكم الشرعية

ان القرار الصادر بعدد ٢٦١ والمتعلق بالاحوال الشخصية يحصر اختصاص المحاكم المذهبية في مسائل الزواج دون سواها وهي مبينة على الوجه التالي : عقد الزواج وصحته والهجر والطلاق والنفقة .

فنتشرف يا حضرة المفوض السامي بلفت نظرك الى ما يلي :

١ — عندنا مسائل أخرى تتعلق بالزواج والحقوق العائلية وينطوي تحتها قسم جوهري من الاحوال الشخصية كالخطبة والبائنة والجهاز وفض

البكارة مع الوعد بالزواج والقرابة الدموية والاقرار بشرعية الزواج والاولاد والتبني والحضانة وكفالة الاولاد ونفقة القاصرين والوالدين واعلان الوفاة وتعيين نفقة دفن الموتى وحجز التركات وتعيين الارث .

٢ — ومن الاحوال الشخصية التي كانت معتبرة دائماً من اختصاص المحاكم المذهبية المسائل المتعلقة بالكفاءة الشخصية كبلوغ القاصرين والقاصرات والحجر والوصاية ورفعها وتبحث السلطة الدينية في الوصايات وصحتها .

٣ — ويعتبر أيضاً من باب الاحوال الشخصية كل ما له علاقة بالمسائل الدينية والاوقاف الدينية وأوقاف الذرية (الهبة ووكالة الوقف والسيطرة عليه وادارته واختيار الاوصياء وتسوية الخلافات بينهم وبين الموصى عليهم) واعفاء بعض الممتلكات الاكليريكية من الضرائب ورسوم الجمرك ورعاية حرمة الاماكن المقدسة والديورة وكراسي الاساقفة ورعاية حرمة رجال الدين أي عدم مثولهم أمام المحاكم المدنية واعفائهم من التقيد بالقانون المدني في بعض الاحوال .

ان ما بسطناه وما لم نبسطه من المسائل الاخرى العائدة اليه مشهورة باسم « الامتيازات المذهبية » حيث ان أنظمة كل طائفة تنص عليها وقد أيدها العرف من عهد بعيد . واعترفت بها الحكومات التي تعاقبت في هذه البلاد وأقرتها الفرمانات السلطانية رسمياً وضمنها أخيراً صك الانتداب المنصوص فيه وجوب احترام الاحوال الشخصية عند الشعوب المختلفة واحترام مصالحهم المذهبية .

وحيث كان لنا ثقة بالدولة المنتدبة الراغبة في اجراء الاعمال طبقاً لصك الانتداب جئنا باسم طائفتنا نرجو من فخامتكم أن تصونوا حقوقنا وامتيازاتنا ونرى ان الضرورة تقضي بتعديل طريقة تقسيم التركة سواء كان ذلك من اختصاص المحاكم الدينية أو المدنية .

وعلاوة على ذلك نرجو منكم أن تتكرموا باعلان مبدأ المساواة في الحقوق بين جميع المحاكم المذهبية واستقلال كل محكمة منها في النظر في دعاوي التابعين لها في ضمن دائرة اختصاصها واصدار الاحكام وتنفيذها طبقاً لاصول المحاكمات الخاصة بها .

ونرغب أخيراً في ان جميع الخلافات التي تكون تسويتها من اختصاص المحكمة التي تعين المرجع تفض بموجب القوانين أي ان الاعتراض على المرجع الذي تكون تسويته عائدة الى المحكمة التي تعين المرجع يفض قبل الدخول في الدعوى وان القانون الموضوع لتعيين المرجع يعمم على جميع المحاكم المذهبية على السواء .

وبينما نحن نعلل النفس بأن فخامتكم تنظرون بعين الاعتبار الى ما عرضناه لكم وتتخذون قراراً بهذا الشأن نرجو منكم أن تتكرموا بقبول فائق احترامنا لفخامتكم واخلاصنا الشديد لفرنسا وتعلقنا بها .

الذيل الحادي عشر

في شؤون سورية

جواب الى المسيو دي كاي

في أول فبراير سنة ١٩٢٧

أرسل الينا الوفد السوري في جنيف الكتاب الآتي الذي وجهه الى المسيو روبر دي كاي ممثل فرنسا في دورة انعقاد لجنة الانتدابات الدائمة في اجتماعها الاخير لما اطلع الوفد على تصريحات المسيو دي كاي لصحافية أميركية .

قابلت صحافية أميركية المسيو روبير دي كاي المندوب الرسمي لفرنسا لدي لجنة الانتدابات الدائمة فسألته عدة أسئلة عن حالة سورية وقد اطلعنا على ما دار بينهما من الحديث فرأينا أن نعلق ملاحظتنا على ما يبدو لنا انه مخالف للحقيقة

يرى المسيو دي كاي في المستوى الاجتماعي في سورية مبرراً لشكل الحكومة الاستبدادية الذي وضعته فرنسا بالقوة في هذه البلاد . وهو يبتغي أن يجعل الاميركيين يرون أن المناهج المتنافرة مع المناهج الانسانية والموضوعة في الديار السورية هي مشروعة وقانونية ويعالج أن يقنعها بأن السوريين لم يبلغوا مبلغ سكان الولايات المتحدة في الثقافة والحضارة وبالتالي لا يستحقون أن يمنحوا نعمة مبادىء الديمقراطية المنتشرة في بلاد كولمبس

نعتقد أنه من الخطأ أن نزعم أن حقوق الشعب المقدسة منوطة بدرجة ثقافتها وحضارتها فهذه الفكرة استعمارية محفوفة بالخطر وقد تجعل كيان أمم كثيرة مستهدفا لنبال التلف مع كونها مستقلة ومع ذلك ليس لها ما لسورية من الميراث التاريخي والهدف الاسمى المشترك بين جميع السوريين ولا مستوى مدنيتهم . ولما أعلن المستر ولسن حق الشعوب بأن تتصرف بحرية بحظوظها ومقدراتها أراد أن يبين الخطر الذي يتوعدها من وراء فكرة تماثل فكرة المسيو روبير دي كاي .

وكان جواب المسيو دي كاي ايجابيا على السؤال الذي ألقته عليه الصحافية الاميركية عن مواعيد بريطانيا العظمى وفرنسا للبلدان العربية بمنحها الاستقلال ولكنه قال لها ان جمعية الامم رأت أن تولي الشعب السوري ادارة شؤونه بنفسه بلا مساعد ولا مشير وهذا لا يخلو من الخطر فعهدت الى فرنسا في المسؤولية الكبرى لارشاد سورية .

وانه من باب الحق والعدل أن نذكر في هذا الفصل أن فرنسا وبريطانيا العظمى لم تقتصرا على نسيان مواعيدهما بعد انتهاء الحرب حين لم يبق لهما حاجة الى مساعدة العرب بل قسمتا بلادهم الى مناطق واستولى كل منهما على قسم منها بموجب روح وثيقة سيكس — بيكو فلا يكون لجمعية الامم والحالة هذه ناقة ولا جمل في هذا العمل وان فرنسا وبريطانيا طلبتا في مؤتمر سان ريمو أن تعطيا الانتداب على سورية وفلسطين والعراق فنالتا ذلك وقد رفضت سورية هذا الانتداب ولا سيما انتداب فرنسا على أثر استفتاء البعثة الاميركية برئاسة المستر كراين الموفد من لدن مؤتمر الصلح في باريس في سنة ١٩١٩ (طالع خلاصة هذا الاستفتاء في التقرير الرسمي الذي نشرته البعثة الاميركية في سنة ١٩٢٢) الا ان المؤتمر لم يبال بأرادة الشعب السوري بل تجاوزها وتشبث بالفقرة الاخيرة من القسم الرابع من المادة الثانية والعشرين من ميثاق جمعية الامم ومنح فرنسا الانتداب لسورية قبل التئام الجلسة الاولى لجمعية الامم .

فاذا نظرنا الى الانتداب الفرنسوي لسورية من الوجهة القانونية وجدناه غير شرعي وسيظل كذلك لان أكثرية الشعب السوري لا تزال ترفضه

ان سورية حين ترفض الانتداب الفرنسوي تتذكر الحالة السيئة التي

صارت اليها شعوب أفريقيا الشمالية ويحق لها أن توجس خيفة من أن يكون لها الحظ عينه ولذلك كانت متمثلة في ذهنها فكرة الفتح التي كانت فرنسا تعلل بها النفس من عهد بعيد فابرزها الى الوجود رجال حكومتها الذين تعاقبوا على الحكم . وقد حقق الشكل الذي قبلت فيه فرنسا الانتداب وطريقة العمل به هذه المخاوف من نيات الدولة المنتدبة .

وقال المسيو روبير دي كاي للصحافية الاميركية ان الحكومة الوطنية التي تألفت في عهد الملك فيصل في سنة ١٩١٩ في دمشق كانت حكومة حقيرة ولم يستطع جيشها مقاومة أول صدمة من جيش الجنرال غورو . ونحن نعتقد ان قناصل الدول في دمشق أظهروا غير مرة رضاهم عن ادارة الحكومة الوطنية المنظمة . ولدينا كثير من هذه الشهادات ونحن مستعدون لابرازها الى حضرة المندوب

وكان للحكومة الوطنية جيش منظم وبوليس وجندرمة تضمن الامن ضمانا لم تتمكن الحكومة الحالية من تحقيقه

واذا لم يتمكن الجيش السوري الحديث النشأة في ذلك العهد من مقاومة صدمة جيش الجنرال غورو فما ذلك الا لان الحكومة الوطنية نشبت في أحبولة حيلة لا تجر الى هذا القائد العظيم فخراً عظيما فلا يخفى ان حكومة الملك فيصل أجابت القائد الفرنسوي الى ما طلبه منها في بلاغه الاخير وأمرت بتسريح الجيش في الحال الا ان الجنرال غورو يزعم ان الجواب بقبول بلاغه لم يصل في حينه فامر بزحف جيشه وغرضه من وراء ذلك أن يصيب انتصاراً لا يمكن اعتباره مجيداً لان الهجوم كان على شعب أعزل

ان هذا الشعب الذي كانوا يظنونه بالامس مدحوراً مقهورا هب الى الدفاع عن احسابه وحقوقه المغتصبة من سبعة عشر شهراً ومناهضة جيش مؤلف من ستين الف مقاتل ومجهز بجميع الاعتاد الحربية فالعراك غير المتساوية فيه قوة الفريقين يدل على مقدار شعور سورية بحقوقها وعظم التضحية التي رضيت بها وسوف تستميل اليها يوما من الايام عطف الشعوب المتمدنة عليها ومناصرتها لها .

ويزعم المسيو دي كاي حين يتكلم عن الموقف المضطرب في سورية التي

يشعر — بحسب قوله — بميل اليها ان فرنسا لقيت أمامها مصاعب شتى لتنظيم الحكومة وان الدولة المنتدبة لم تصل الى الغاية التي سعت اليها الا بعد ما لقيت الامرين وانتقد سوء ادارة الموظفين السوريين وعجزهم عن العمل وهو يقصد من وراء ذلك أن يبين ان سورية عاجزة عن تولي شؤونها بنفسها .

ومن المقضي عليه اذن أن يذكر ان أول عمل عملته الحكومة المنتدبة عند اكتساحها سورية كان الغاء الانظمة المولية الحرية والاستقلال في البلاد لتستبدل بها طرائق الحكم الاستعماري المعمول بها في شمالي أفريقيا ومزاولة السلطة المتكتمة لادارة الشؤون .

أما الموظفون السوريون فانهم تلقوا التعليم العالي في أوربا والاستانة الا انهم فصلوا من مناصبهم من دون أن تراعى مقدرتهم وقد عرفها المسيو بريان عينه . والذين أبقوهم في مناصبهم انما أبقوهم لسلاسة مقادتهم وامنهم جانبهم ومع ذلك لم يسع هؤلاء الموظفين الوطنيين الا احتقار زملائهم الفرنسويين الذين يزعمون انهم جاؤوا الى سورية لارشادهم ولكنهم والحق يقال برهن معظمهم عن جهل يقضي بالعجب العجاب . واذا كان بعض الموظفين الوطنيين المختارين من بين الحاصلين على رضى السلطة المنتدبة أو من المظللين بكنف حمايتها لم يبرهنوا عن الكفاءة التي يلمح المسيو دي كاي اليها فالخطاء يقع على الذي قلدهم مناصبهم .

ولا يسوغ للمسيو دي كاي أن ينتقد الفوضى الضاربة أطنابها في سورية فان الدولة المنتدبة هي التي أوجدتها ففي السنين التي قضتها في مزاولة الحكم الموقت أذاعت قرارات كثيرة لها قوة الشرائع وكان بعضها يناقض البعض الآخر في غالب الاحيان وهذا ما جعل الادارة مختلة وأفكار الموظفين مبلبلة .

ويزعم المسيو دي كاي انه عرف سبب استياء سكان البلاد وان ذلك ناجم عن نزع ملكية بعضهم وارجاعها الى أصحابها الاصليين وقد كانوا ابتاعوها منهم في أثناء الحرب فهذه التدابير وغيرها كقانون الاجارة وقانون تأجيل الدفع (موراتوريوم) وقد وضعت موضع الاجراء لحماية العنصر الماروني الوحيد الذي طلب انتداب فرنسا في خلال الاستفتاء تبعث على استياء فريق من أصحاب الاملاك في بيروت ولكن سورية لم تشعر بشيء من ذلك . واذا أصر المسيو

دي كاي على الزعم بأن هذه التدابير كان لها صدى غير محمود في الانحاء المضطرمة فيها نار الفتنة اعترف بأن ثمت تضامناً بين عناصر البلاد وقد كان يزعم ان هذا التضامن اسم لغير مسمى .

أما التنظيم المزعوم الذي أدخل الى جبل الدروز فانه يبعثنا على لفت النظر الى وقائع جلسة لجنة الانتدابات المعقودة في رومية فان المسيو دي كاي يقر فيه بأن الحاكم الفرنسوي في جبل الدروز كان يلقي في السجن الذين لايخرجون لملاقاته على مسافة ساعة وانه وضع غرامة (ذهبية) في مدينة السويداء لانها لم تجد هرته الضالة وانه كان يعاقب بأشد العقاب الذين كانوا يسعلون لانه كان يعتقد ان للسعال عندهم معنى منكراً .

انظروا كيف يضعون الانتداب موضع الاجراء وانظروا كيف يمدنون الناس اما المحاكم الاجنبية فنقول غير محاذرين لومة لائم في ذلك انها كانت ضربة على استقلال القضاء الوطني وكانت أوخم عاقبة من محاكم القنصليات . فنحن لا نقيم النكير على اختصاص المحاكم القنصلية بل نعلل النفس بأنه سيأتي يوم يكون الغاؤها معتبرا فيه من الضرورات العادلة عند العالم المتمدن ولكننا نعترض على تأليف المحاكم الفرنسوية التي تكلف خزينتنا مبالغ طائلة — ان مرتب الحاجب في هذه المحاكم يزيد على مرتب رئيس محكمة الاستئناف — وهي تنتحل الحق بمحاكمة الوطنيين والاجانب واحتكار كل ما كان للدول الاخرى من الامتيازات والاستئثار بحق السيطرة على المحاكم الوطنية . ولا يظهر الخلل والعجز في معظم هذه المحاكم الا بالتحقيق فيكفي أن تطالع أحكامها وتقابل على أحكام المحاكم الوطنية

ويستنفد المسيو روبير دي كاي مجهوده لينفي الشكوى من الحكومة المنتدبة على النفي بلا محاكمة وغير ذلك من الاعمال الاستبدادية ويذكر مالقيه رجال البوليس من الصعوبة لاكتشاف المعتدي على أسعد بك مدير داخلية لبنان ويقول انه لولا هذا التدبير لما عرف القاتل

وقد فات المسيو دي كاي ان يقول انهم تعودوا ألا يقتصروا على النفي في العقوبة بل ان يلجأوا الى التعذيب فقد كان المتهمون يتظلمون في خلال المحاكمة أمام هيئة المحكمة من تلك المعاملة التي كانوا يعاملونهم بها ليجبروهم على الاقرار

وهذا يبعث على الشك في عدالة مثل هذه المحكمة .

ويعترف ممثل فرنسا الرسمي قائلا ان اتخاذ هذه التدابير الاستبدادية من حين الى آخر لامندوحة عنه ويؤكد انه لم يبق في المنفى الآن الا خمسة وهم ثلاثة وزراء وزعيمان فكلامه هذا ليس عليه مسحة من الصدق لان المقضي عليهم بالاقامة الجبرية في أماكن عينوها لهم كثيرو العدد ولا يزال في أرواد والقدموس وبعبدا وطنيون كعلي ناصر الدين ويزبك والبيطار وفريق من آل حيدر . ويتجاهل المسيو دي كاي هجر كثيرين من الادباء لبلادهم فراراً من الموت أو النفي وينكر انهم قتلوا رمياً بالرصاص مئات من المنكودي الحظ المتهمين بالاشتراك في الثورة من دون ان يحاكموهم . وهو يري من الغضاضة ان يقر بأنهم كانوا ينقلون جثث القرويين الابرياء على ظهور الجمال الى دمشق ليعرضوها اياماً على الانظار فهذه أمثولة عملية يقدمها الوصي للقاصر .

ولدينا مثال آخر ناطق وهو ان احسان بك الجابري عضو وفدنا في أوربا من خمسة عشر شهراً حكم عليه بالاعدام وبضبط مقتنياته لانه اشتغل في سبيل وطنه أمام جمعية الامم وأمام العالم المتمدن

فكأن المساعي السلمية والجهود المحمودة في سبيل السلم جريمة لاتغتفر في نظر السلطة المنتدبة وان الامر الغريب في هذه القضية هو انه بينما يرسل وزير خارجية فرنسا جوازاً الى احسان بك الجابري للشخوص الى باريس لمفاوضة المسيو دي جوفنل ممثل الجمهورية الفرنسوية والمفوض السامي في سورية في ذلك العهد يفاجئونه بذلك الحكم المخالف للذوق الفرنسوي التقليدي وهو لا يزال في عاصمة فرنسا وأجاب المسيو دي كاي بالايجاب على السؤال الذي طرحته عليه الصحافية الاميركية عن اطلاق المدافع على المدن والقرى وقتل ألوف من الابرياء زاعماً انهم كانوا في حالة حرب ولم يتردد عن اطلاق هذا الاسم على ثورة الادباء وجهادهم لتحرير بلادهم ولا يجهل المسيو دي كاي ان الفرنسويين غشو سورية بلا رضى سكانها ووضعوا فيها شكل حكومة استبدادية محقرة لشأنها وحين اضطرت البلاد الى الدفاع عن ذمارها وقد انفتقت بنائق صبرها وتولاها القنوط تجرأوا على الزعم أمام العالم المتمدن الذي يشهد هذه المظالم من سبع سنين بأن هذه الاعمال ناجمة عن حالة الحرب

أجل ان البلاد ثارت على فرنسا ولكن الذين امتشقوا الحسام لمقاتلتها هم الاقلية أما الباقون فانهم لايزالون مقبلين على العمل ساكنين ويقتصرون على الاحتجاج بالطرق السلمية . فهل يجوز والحالة هذه ان تهدم مدن برمتها لان الثائرين يشنون الغارة على مراكز الجنود في المدينة فالتقرير الاجمالي المقدم من قناصل الدول الاجنبية في دمشق وقد نشر في النداء المرفوع من الوفد السوري الى جمعية الامم في ٧ يونيو يكذب مزاعم المسيو روبير دي كاي

وقال المسيو روبير دي كاي أيضاً انهم رأوا في خلال الحرب العظمى ان مدناً غير محصنة من مدن المتحاربين أطلقت عليها المدافع ولكنه ذهل عن القول انه كان للالمان والفرنسويين وسائل الدفاع وقد كان المتحاربون متكافئين في القوة . فهل يا ترى قوة سورية معادلة لقوة فرنسا من هذا القبيل ؟ وأي نعت يطلق على الاعمال التي أتاها الفرنسويون مع شعب صغير أعزل ومجرد من وسائل الدفاع وليس له قوة الا حقه وليس له سلاح الا هدفه الاسمى .

ويؤول المسيو روبير دي كاي على هواه مسألة استنزاف الذهب من البلاد بطريق التغريم فيقول ان التغريم بالذهب عقاب شديد ويؤكد ان الدولة المنتدبة لاتنوي ان تسحب الذهب من البلاد بل تبتغي ان تحفظه لترميم الجهات المهدمة ولدفع نفقات الجيش الفرنسوي ولم يضف شيئاً الى هذا التصريح الا اننا نبدي هذه الملاحظة وهي انه لاشيء يبرر الحجة التي لجأ اليها . فقد مضت ست سنوات والبلاد تئن من ثقل هذه الغرامة الذهبية وكان من جراء ذلك ان سورية التي باتت فريسة للاستبداد نفد معين صبرها ولم تجد لها مخرجا من المأزق الذي نشبت فيه الا اعلان الثورة

أهذه كانت النتيجة التي تتوخاها . يمكن الاجابة بالايجاب على هذا السؤال لان الحرب جرت المنافع على الضباط والجنود الفرنسويين والجنود المأجورين فانهم ما عدا مرتباتهم والعلاوات التي كانوا يقبضونها استطاعوا أن يحرزوا ثروة طائلة فالذهب الذي كان في البلاد استنزف بطريق الغرامة وبمصرف سورية وقد كان هذا الامر الشائن مضراً بسمعة فرنسا ولا يزال . وهم الآن يعملون ليحرزوا كسباً جديداً بتثبيت النقد السوري (عملة الورق) ولكنهم لايحيدون عن المنهاج الذي رسمه مصرف سورية في البلاد

